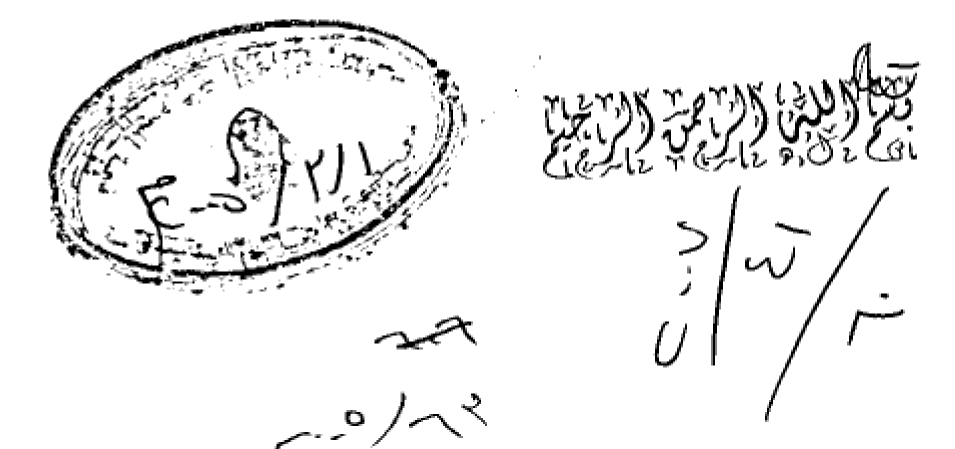


جامعة اليرموك
كلية الآداب
قسم التاريخ

المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية في بغداد في العصر العباسي

(١٤٥هـ - ٣٣٤هـ / ٧٦٢م - ٩٤٦م)

إعداد الطالبة :
فوزية محمد المسلم العليمات

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بكلية الآداب في جامعة اليرموك

إشراف الدكتور :
سليمان عبد الخرابشة

٢٠٠٤م

المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية في بغداد في العصر العباسي
(١٤٥هـ - ٣٣٤هـ / ٧٦٢م م - ٩٤٦م)

إعداد الطالبة :

فوزية محمد المسلم العليمات

بكالوريوس تاريخ – جامعة اليرموك ١٩٩٩م.

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بكلية الآداب في جامعة اليرموك

أعضاء لجنة المناقشة :

١. الدكتور سليمان عبد الخرابشة.................مشرفاً ورئيساً
٢. الأستاذ الدكتور يوسف حسن غوانمة...............عضو لجنة إشراف
٣. الأستاذ الدكتور محمد عبد القادر خريسات.........عضواً
٤. الدكتور نعمان محمود جبران.....................عضواً

الإهداء

إلى رمز العطاء والتضحية .... إلى روح والدي

إلى من فرشت على دربنا فوق الشوك دربًا من السوسن ....

أمي

إلى من عشت معهم حلو الحياة ومرها ....

إخواني وأخواتي

إليكم جميعًا ... حبي ... وشكري ... وتقديري

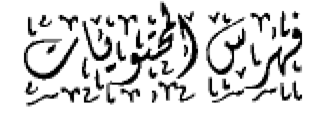
فوزانة

شكر وتقدير

الشكر لله تعالى أولاً وأخيراً، كما أتقدم بجزيل الشكر والعرفان وبالغ الاحترام والتقدير إلى الدكتور سليمان عبد العبد الله الخرابشة الذي تفضل بالإشراف على هذه الرسالة، وقدم لي العون طيلة إعدادها، ومنحني من جهده ووقته الشيء الكثير، فبارك الله في علمه، وجزاه خير الجزاء، كما أتقدم بجزيل الشكر وبالغ الاحترام والتقدير إلى الأستاذ الدكتور يوسف حسن غوانمة الذي تفضل بقراءة هذه الرسالة وإبداء الملاحظات حولها.

قائمة الاختصارات

الاختصار	المعنى
ت	توفي
د. ت	دون تاريخ نشر
د. م	دون مكان نشر
د. ن	دون دار نشر
ص	صفحة
ط	طبعة
ع	عدد
م	ميلادي
مج	مجلد
هـ	هجري
Page	P.
Volume	Vol.



الموضوع | الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وبعد :

يشكل التاريخ الحضاري جانباً هاماً في التاريخ العربي الإسلامي، وقد تزايد الاهتمام بدراسة الجوانب الحضارية في التاريخ الإسلامي، إلا إنه لا يزال بحاجة إلى الكثير من الدراسات، ومن الجوانب الحضارية التي تحتاج إلى الدراسة المؤسسات بمختلف أنواعها، وهي تستحق العناية والدراسة لما قامت به من دور حيوي ومتميز في التاريخ الإسلامي.

تناولت هذه الدراسة المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية في بغداد في العصر العباسي (١٤٥هـ-٣٣٤هـ/٧٦٢-٩٤٦م)، وبالرغم من ان العصر العباسي يبدأ من سنة (١٣٢هـ/٧٤٩م) إلا أنني اعتمدت سنة (١٤٥هـ/٧٦٢م) لتأسيس بغداد في هذه السنة، ولما لهذا الموضوع من أهمية ولرغبتي في دراسة الجوانب الحضارية والإطلاع عليها. كما أن العصر العباسي عصر غني بأحداثه التاريخية، ومن هنا جاء اختياري لهذا الموضوع. وتكمن أهمية الدراسة بعدم وجود دراسات سابقة ومتكاملة حول هذا الموضوع، سوى ما كتب عن بعض هذه المؤسسات مع عدم التركيز على إحصائها والنظام الإداري والمالي لها، ومدى اهتمام خلفاء بني العباس بها، وما قامت به من أدوار: سياسية واقتصادية واجتماعية وأدبية وغيرها.

ومن أبرز الدراسات التي تناولت دراسة مؤسسة واحدة من هذه المؤسسات ما كتبه حمدان الكبيسي في كتابه أسواق بغداد حتى بداية العصر البويهي، وما كتبه أحمد عيسى بك في كتابه تاريخ البيمارستانات في الإسلام، وما كتبه أيمن التميمي في رسالته السجون في العصر العباسي، وقد تطرق محمد الزيود في كتابه التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للعالم العربي الإسلامي لذكر بعض هذه المؤسسات، إلا أن هذه الدراسات لم تتناول المؤسسات في العصر العباسي بشكل متكامل.

وتهدف هذه الدراسة إلى توضيح عدد من القضايا نذكر منها : معرفة العرب المسلمين بالمؤسسات ومدى اهتمامهم بإنشائها، واهتمام خلفاء بني العباس بالجانب الاقتصادي والاجتماعي ودورهم في تشجيع الحركة العلمية، وذلك عن طريق إنشاء المؤسسات المتنوعة وإدارتها على أكمل وجه والإنفاق عليها، والإشراف الحكومي عليها. وكذلك دورها في خدمة المجتمع الإسلامي. ودورها في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأدبية وغيرها.

أما منهج الدراسة فيعتمد على نقد وتحليل بعض الروايات والتركيز على المصادر المعاصرة للفترة التاريخية، كما اعتمد المنهج على تتبع المعلومات والتسلسل التاريخي للأحداث.

وقسمت الرسالة إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، ففي المقدمة تناولت أهمية الدراسة، وسبب اختياري للموضوع، والدراسات السابقة عنه، ومنهج البحث. يليها تحليل لأهم المصادر الرئيسية، وتمهيد يتضمن لمحة تاريخية عن الفترة الانتقالية من العصر الأموي إلى العصر العباسي، ومن ثم توجُّه العباسيون لإنشاء عاصمة جديدة لهم، مع الاهتمام ببناء المؤسسات.

تحدثت في الفصل الأول عن المؤسسات الاقتصادية كالأسواق من حيث : تعريفها وطريقة بنائها، وعددت أشهر أسواق بغداد في هذه الفترة، والسلع المتاجر بها، ومصادرها، وأنواع التجار، ودور السلطة في الإشراف على الأسواق من خلال وظيفة المحتسب وأعوانه. ثم بيان دور هذه المؤسسة في الحياة العامة من سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، كما تحدثت عن الخانات من حيث تعريفها ونشأتها وأنواعها، وعددت أشهر الخانات في بغداد في العصر العباسي، ثم دورها في الحياة العامة. منهياً الفصل بالحديث عن القياسر والوكالات، وما قامت به من دور في خدمة التجارة الداخلية والخارجية.

وتحدثت في الفصل الثاني عن المؤسسات الاجتماعية كالحمامات من حيث : تعريفها ونشأتها وأنواعها والعاملون فيها ودور السلطة في الإشراف عليها، ودورها في الحياة العامة من: سياسية واجتماعية واقتصادية ودينية وأدبية. كما تحدثت فيه

عـن البيمارسـتانات من حيث: تعريفها ونشأتها، مع ذكر لأهم البيمارستانات التي وجدت في هذه الفترة، ودور السلطة في الإشراف عليها، ودورها في الحياة العامة. كما تحدثت فيه عن السجون، من حيث: تعريفها ونشأتها، ثم عددت أهم السجون في تلـك الفـترة، وتناولـت النظام الإداري لها، ومدى اهتمام الخلفاء بالسجناء. منهياً الفصل بالحديث عن دورها في الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية.

وعرّجـت في الفصل الثالث على المؤسسات التعليمية كالمساجد حيث تحدثت فيه عن تعريفها ونشأتها، مع تعداد لأهم المساجد في تلك الفترة، وتحدثت عن النظام الإداري لهـا والإشـراف الحكومـي علـيها، ودورها في الحياة العامة من: علمية واجتماعـية وسياسـية واقتصادية. كما تحدثت فيه عن المكتبات ونشأتها وأنواعها، وعـددت أشـهر المكتـبات التي عرفت في تلك الفترة، وعن النظام الإداري لها، ودورها في الحياة العلمية. وكذلك الكتاتيب من حيث: تعريفها ونشأتها، والمواد التي تـدرّس فـيها. ونظام الدوام فيها، وإشراف الدولة عليها. منهياً الفصل بالحديث عن حوانيت الوراقين ونشأتها ودورها في الحياة العامة.

أما الخاتمة فقد أجملت فيها أبرز وأهم ما توصلت إليه هذه الدراسة.

تحليل لأهم مصادر الدراسة :

أشـــير بداية إلى ندرة المعلومات في المصادر التاريخية، الأمر الذي اقتضى ضرورة البحث عنها والتوسع في المصادر الجغرافية والأدبية وكتب التراجم وكتب الحسبة وغيرها، وكانت أهم المصادر التي أفادت الدراسة منها.

أولاً: المصادر التاريخية:

أ- المصادر المخطوطة :

١. لقــد أفــادت بعض المصادر المخطوطة الرسالة، فعلى سبيل المثال لا الحصر مخطوط "بستان الأطباء وروضة الألباء" لمؤلفه مطران بن أبي نصر بن إلياس (ت٥٨٧هـــ/١١٩١م)، وهو نسخة ميكروفيلم في مركز الوثائق والمخطوطات فـــي جامعة اليرموك، وقد أفادت منه الرسالة في الفصل الثاني تحديداً، بخاصة فـــيمـــا يـــتعلق بالبيمارستانات وتعريفها ونشأتها، كما احتوى المخطوط ترجمة لبعض الأطباء، وأورد فيه المؤلف معلومات عن الحمامات وموظفيها والإشراف عليها.

٢. مخطوط "المغبة والرغبة في معرفة أحكام الحسبة" لمؤلفه محمد بن أحمد القرشي ابـــن الأخـــوة (ت٧٢٩هـ/١٣٢٧م)، وهو نسخة ميكروفيلم في مركز الوثائق والمخطوطـــات فـــي جامعة اليرموك، وقد أفادت منه الرسالة في فصولها كافة، بخاصـــة فيما يتعلق بالإشراف الحكومي على هذه المؤسسات، من خلال وظيفة المحتسب وأعوانه.

ب- المصادر المطبوعة :

١. "تـــاريخ الرسل والملوك" لمؤلفه محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)، ويأتي في مقدمة المصادر التي أفادت منها الرسالة، ومؤلفه معاصر لتلك الفترة الزمنـــية، أفادت منه الرسالة في فصولها كافة، ابتداءً من التمهيد وحتى الفصل الأخير، وبخاصة فيما يتعلق بدور المؤسسات في الحياة العامة.

٢. "تجـــارب الأمـــم وتعاقب الهمم" لمؤلفه أحمد بن محمد بن مسكويه (ت٤٢١هـ/ ١٠٣٠م)، وكـــتابه مـــن أهـــم المصادر التي أفادت منها الرسالة في فصولها،

وبخاصة في الفصل الثاني فيما يتعلق بالسجون وأشهر سجناء تلك الفترة، ودور السجون في الحياة العامة.

٣. كـتاب "تـاريخ بغـداد أو مدنية السلام" لمؤلفه أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، وهو من أهم المصادر التي أفادت منها الرسالة فـي فصـولها كافـةً. فقد أورد فيـه الخطيب البغدادي خططاً شاملة لبغداد ومؤسسـاتها، ومواقع هذه المؤسسات، وبخاصة المساجد والأسواق والحمامات والخانـات، وأدوارها في الحياة العامة، كما اشتمل على تراجم للعلماء والأدباء والـوزراء والكـتّاب، وأفادت منه الرسالة كذلك في الفصل الأخير، فيما يتعلق بالمؤسسات التعليمية ودورها في الحياة العامة.

٤. كـتاب "المنـتظم فـي تاريخ الملوك والأمم" لمؤلفه أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجـوزي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م)، وكتابه عبارة عن سجّل اقتصادي، اجتماعي، علمـي، أورد فيه معلومات واسعة ومفصلة، وقد أفادت منه الرسالة في فصولها كافة.

٥. كـتاب "الكامل في التاريخ" لمؤلفه عز الدين أبي الحسن علي الشيباني ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م)، وقـد اعـتمد فـي رواياته على المؤرخين السابقين كالطـبري والمسـعودي، ولكنه تناول الأحداث بكثير من التفصيل، وأفادت منه الرسـالة فـي فصـولها كاملة، خاصة فيما يتعلق بأدوار المؤسسات في الحياة العامة.

٦. كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" لمؤلفه موفق الدين أحمد بن أبي أصيبعة (ت ٦٦٨هـ/١٢٧٠م)، واشتمل على أسماء العديد من الأطباء والعلماء، وأفادت الرسالة منه في الفصلين : الثاني والثالث، فقد أورد فيه كثيراً من المعلومات عن البيمارسـتانات ونشأتها وأنواعها وأشهر الأطباء، ودورها في الحياة العامة، كما انفـرد ببعض المعلومات في الفصل الثالث عن المكتبات، وأشهر المترجمين في البلاط العباسي.

ثانيا: المصادر الجغرافية:-

إلـــى جانـــب المصادر التاريخية التي أفادت منها الرسالة، فقد اعتمدت على العديـــد من المصادر الأخرى كالمصادر الجغرافية، وبخاصة كتاب "البلدان" لمؤلفه أحمـــد بن يعقوب بن واضح اليعقوبي (ت ٢٨٤هـــ/٨٩٨م)، وكان معاصراً للفترة ، وهـــو عراقي الأصل، وأورد فيه معلومات فريدة عن خطط بغداد وبنائها ووصفها، كمـــا أورد وصفاً جغرافياً دقيقاً لمواقع المؤسسات فيها، وخاصة الأسواق والخانات والحمامـــات والمســـاجد، إضافة إلى العديد من المصادر الجغرافية وبخاصة كتاب "مختصر البلدان" لمؤلفه أبي بكر أحمد بن محمد الفقيه الهمذاني (ت٢٩٠هـــ/٩٠٢م)، وكتاب "الأعـــلاق النفيسة" لمؤلفه أحمـــد بن عمـــر بن رستـــه (ت٣١٠هـــ/٩٢٢م)، وكتاب "المسالك والممالك" لمؤلفه أبي إسحـــاق الاصطخـــري (ت ٣٤١هـــ/٩٥٢م)، وكتاب "التنبيـــه والإشراف" لمؤلفه أبـــي الحسن علـــي بـــن المحـــسن المسعودي (ت ٣٤٦هـــ/٩٥٧م)، وكتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" لمؤلفه شمس الدين أبـــو عبد الله البشاري المقدسي (ت ٣٨٧هـــ/٩٩٧م)، وكتاب "معجم البلدان" لمؤلفه شهاب الدين أبو عبد الله الرومي(ت ٦٢٦هـــ/١٢٢٨م).

ثالثا: المصادر الأدبية:

اعـــتمـــدت الرسالة على المصادر الأدبية، وبخاصة كتابا "الفرج بعد الشدة" "ونشـــواز المحاضرة وأخبـــار المذاكـــرة" للمؤلف أبـــي علي المحسن بـــن علـــي (ت ٣٨٤هـــــ/٩٩٤م)، ومعاصـــر للفترة، وأفادت منهما الرسالة في فصولها كافة. ومؤلفاتـــه عبارة عن سجلات اقتصادية اجتماعية سياسية إدارية، انفرد بذكر العديد من الروايات التي لم يذكرها بقية المؤرخين بخاصة فيما يتعلق بالسجون والسجناء، وفـــيما يتعلق بالمؤسسات الأدبية وبخاصة الكتاتيب. وكان التنوخي يكرر عدداً مـــن رواياتـــه وأخـــباره في الكتابين، ولكـــن بأسلوب وصياغة تختلف نوعاً مـــا. ومن المصادر الأدبية أيضـــاً مؤلفات أبي عثمـــان عمرو بن بحـــر الجاحـــظ (ت ٢٥٥ هـــ/٨٦٨م)، وبخاصة كتاب "البيـــان والتبييـــن" وكتاب "التبصـــر بالتجارة" وكتاب

"الحـــيوان" وكتاب "رسائل الجاحظ"، ومنها كتاب "العقد الفريد" لمؤلفه أبي أحمد بن محمـــد ابـــن عـــبد ربه (ت ٣٢٨هـــ/٩٣٩م)، وكتاب "البصائر والذخائر" "والإمتاع والمؤانســـة" للمؤلـــف علـــي بن محمد بن العباس التوحيدي (ت ٣٨٧هـــ/٩٩٧م)، وكـــتاب "ثمار القلوب في المضاف والمنسوب" لمؤلفه عبد الله البشاري الثعالبي (ت ٤٢٩هـــــ/١٠٨٣م)، وكتاب "المحاسن والمساوئ" لمؤلفه إبراهيم بن محمد البيهقي (ت ٤٧٠هـــ/١٠٧٧م).

رابعاً: كتب الحسبة:-

كمـــا أفادت الرسالة كثيراً من كتب الحسبة، وبخاصة كتاب "نهاية الرتبة في طلـــب الحسبة" لمؤلفه عبد الرحمن بن نصر الشيرزي (ت ٥٨٩هـــ/١١٩٣م)، ويعد مـــن أشهر كتب الحسبة في الإسلام، واعتمدت عليه كتب الحسبة فيما بعد، وأفادت مـــنه الرســـالة في فصولها كاملة، وبخاصة في الإشراف على المؤسسات والشروط الواجـــب التقيد بها في هذه المؤسسات، بالإضافة إلى كتاب "معالم القربة في أحكام الحسبة" لمؤلفه أحمد بن محمد القرشي ابن الأخوة (ت ٧٢٩هـــ/١٣٢٧م).

خامساً: كتب التراجم:-

أفـــادت الرســـالة من العديد من كتب التراجم، وبخاصة كتاب "معجم الأدباء" لمؤلفـــه ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـــ/١٢٢٨م)، وكتاب "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الـــزمان" لمؤلفـــه شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان، (ت ٦٨١هـــ/١٢٨٢م)، وكتاب "الوافي بالوفيات" لمؤلفه صلاح الدين خليل أيبك (ت ٧٦٤هـــ/١٣٦٣م).

التمهيد :

انطلقــت الدعــوة العباسية من الحُميمة[1] الواقعة في منطقة الأردن من جنوب الشـــام على يد محمد بن علي بن عبد الله بن العباس[2]، الذي كان مقيماً فيها [3]، يعتبر المـــنظم الأول للدعــوة العباسية، وابتدأ عمله ببث الدعاة في مختلف الأمصار منذ سنة (١٠٠هــ /٧١٨م) [4].

ومـــرت الدعوة العباسية في مرحلتين : الأولى، الدور السرّي للدعوة وتبدأ من ســنة (٩٨هــ / ٧١٦م) والثانية، الدور العلني للدعــوة، وتبدأ مــن ســنــة (١٢٨هــ/ ٧٤٥م) عندما أرسل الإمام إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس[5] أبا مسلم الخراساني[6] إلى إقليم خراسان[7].

---

[1] الحُمــيمة : مدينة تقع جنوب الأردن قرب البحر الميت، كان يقيم فيها بنو العباس، ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هــ /١٢٢٨م)، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ١٩٩٥، ط١، مج٢، ص٣٠٧

[2] محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب: والد السفاح والمنصور، ولد سنة (٦٠هــ/ ٦٨٢م) وكانت الشيعة تعتقد إمامته بعد وفاة الحسن، توفي سنة (١٢٥هــ/٧٤٢م) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمــد بن أبي بكر (ت ٦٨١هــ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٦٩م، مج٤، ص١٨٦-١٨٨.

[3] ابــن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠هــ/١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر، ١٩٦٥م، مج٥، ص٥٣، العش، يوسف، تاريخ عصر الخلافة العباسية، بيروت، دار الفكر، دمشق، دار الفكر، ٢٠٠٠م، ص١٥.

[4] ابــن الجــوزي، أبو الفرج عبد الرحمن (ت ٥٩٧هــ/١٢٠١م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عطــا ومصــطفى عطــا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م، ط١، مج٧، ص٥٦، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٥، ص٥٣.

[5] إبراهــيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الإمام : توفي سنة (١٣٢هــ/٧٤٩م) الصفدي، صلاح الدين خليل أيبك (ت ٧٦٤هــ/١٣٦٣م)، الوافي بالوفيات، فرانز شتاينز/ فيسبا دون ١٩٧٤م، مج٦، ص١٠٥-١٠٦.

[6] أبــو مسلم الخراساني : عبد الرحمن بن مسلم، مؤسس الدولــة العباسية، أشهر كبار القادة الذيــن قاتــلوا بني أمية، وبعد أن تولــى المنصــور الخلافــة حصلــت خلافات بينهما إلى أن قتلــه المنصور ســنــة (١٣٧هــ/ ٧٧٥م) ابن خلكان، وفيات الأعيان مج٣، ص١٤٥-١٤٧.

[7] خراســان: بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق، وآخر حدودها مما يلي الهند وتشتمل على أمهات المدن، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٣٥٠.

وأعلن الثورة ضد بني أمية سنة (١٢٩هـ/٧٤٦م) [١] واستمر بنو العباس في نشاطاتهم ضد بني أمية حتى وصل أبو العباس السفاح (١٣٢هـ-١٣٦هـ/٧٤٩م-٧٥٤م) إلى الخلافة سنة (١٣٢هـ/٧٤٩م) [٢] أما أولى خطواتهم الفعلية في هذه الدعوة فهي إرسال دعاة من قِبل محمد بن علي بن عبد الله بن العباس إلى إقليم خراسان، لبث الدعوة فيها[٣].

لقد ساهمت الأوضاع السائدة في خراسان في تفجير تلك الدعوة، خاصة وأن خراسان بعيدة عن العاصمة الأموية، هذا فضلاً عن الصراعات القبلية بين القبائل العربية التي تقطن بلاد الشام[٤].

وبعد أن توفي محمد بن علي منظم الدعوة، تولى ابنه الإمام إبراهيم زمام الأمور، وعمل جاهداً على إبراز هذه الدعوة إلى حيز الوجود، وأول ما قام به تعيين أبي مسلم الخراساني قائداً للدعوة في خراسان، واستولى على إقليمها فيما بعد، أما الإمام إبراهيم فقد ألقى القبض عليه مروان بن محمد (١٢٧هـ-١٣٢هـ/٧٤٤م-٧٤٩م) آخر خلفاء الدولة الأموية[٥]،وقد عهد بهذا الأمر إلى أخيه السفاح سنة(١٣١هـ/٧٤٨م)،

---

[١] الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار المعارف، ١٩٦٧م، مج٧، ص٣٥٩، ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٣م)، البداية والنهاية في التاريخ، تحقيق عبد الوهاب فتيح، القاهرة، دار الحديث، ١٩٩٤م، مج١٠، ص٣٣.

[٢] اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن واضح (ت ٢٨٤هـ/٧٩٨م)، تاريخ اليعقوبي، بيروت، دار صادر، د.ت، مج٢، ص٣٤٦، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٥، ص٤٠٨، ابن كثير، البداية والنهاية، مج١٠، ص٤٤.

[٣] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٦، ص٥٦٢، العش، يوسف، الدولة الأموية، دمشق، دار الفكر، ١٩٩٦م، ص٣١٩.

[٤] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٧، ص٢٨٥، العش، تاريخ عصر الخلافة العباسية، ص١٧.

[٥] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج٢، ص٣٤٢، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٧، ص٤٣٥، المسعودي، أبو الحسن علي بن المحسن (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٨٨م، مج٣، ص٢٥٩، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٥، ص٤٢٢، الدوري، عبد العزيز، العصر العباسي الأول، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨٨م، ط٢، ص٤٢.

الـــذي ســـار إلـــى الكوفة في هذه السنة لأخذ البيعة لبني العباس[1]، وأول عمل قام به السـفاح مواجهة القوات الأموية، حيث وجه عبد الله بن علي بن العباس[2] إلى حروب بنـــي أمية في الشام، وكان عدد جيشه يقارب العشرين ألفاً، في حين كان جيش الخليفة مروان بن محمد يقارب مئة وعشرين ألفاً من الجنود[3].

وفـــي ســـنة (١٣٢هـ/٧٤٩م) التقى الجيشان : الأموي والعباسي، في معركة الزاب الشهيرة الحاسمة، التي انتهت بانتصار العباسيين على الأمويين، وهروب مروان بن محمد[4] إلى مدينة حرّان[5]، وبقي يتنقل بين المدن والأمصار إلى أن قتل أخيراً في بوصـــير[6] ســـنة (١٣٢هـ/٧٤٩م)[7]. وكانت تلك المعركة حداً فاصلاً بين فترتين تاريخيتين: الأموي والعباسي.

هـــذا مختصـــر لمجـــريـــات الأحداث وكيفية انتقال الخلافـــة من الأمويين إلى العباسيين وبعد ذلك توجه العباسيون إلى بناء عاصمة جديدة لهم. حيث أنهم لم يستقروا فـــي عاصمة معينة منذ تأسيس دولتهم، فقد اتخـــذ أبو العباس السفاح عدة مدن كمراكز

---

[1] اليعقوبـــي، تـــاريخ اليعقوبي، مج٢، ص٣٤٥، فوزي، فاروق عمر، طبيعة الدعوة العباسية، بغداد، مكتبة الفكر للنشر والتوزيع، ١٩٨٧، ص٢١٠.

[2] عـــبد الله بـــن علي بن عباس بن عبد المطلب: عم المنصور، هزم مروان بن محمد، بايعه أهل الشام بالخلافة، خـــرج على المنصور إلى أن قتله سنة (١٤٧هـ/٧٦٨م) الصفدي، الوفي بالوفيات، مج١٧، ص٣٢١-٣٢٢، الزركلي، خير الدين، الأعلام، د.م، د.ت، ١٩٦٥م، ط٢، مج٤، ص٢٤١.

[3] الطـــبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٧، ص٤٣٧، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٥، ص٤١٧، أبو حبيب، سعدي، مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٢م، ص١٢٣.

[4] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٧، ص٤٣٦، المسعودي، مروج الذهب، مج٣، ص٢٩٠، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٥، ص٤٢١، أبو حبيب، مروان بن محمد، ص١٢٣.

[5] حـــرّان : مديـــنة عظـــيمة، قصبة ديار مضر، وقيل اسمها حاران ثم عربت إلى حرّان، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٢٣٥.

[6] بوصير : اسم لأربع قرى من مصر، قتل فيها مروان بن محمد، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج١، ص٥٠٩.

[7] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج٢، ص٣٤٦، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٧، ص٤٣٨، الدوري، العصر العباسي الأول، ص٤٧، عطوان، حسين، الدعوة العباسية تاريخ وتطور، بيروت، دار الجيل، ١٩٨٤، ص٤٠١

للحكـم في الدولة العباسية، فأقام في بداية أمره في الحيرة ثم انتقل منها إلى الأنبار[١] التـي بـنى فـيها مدينة الهاشمية[٢]، والتي عرفت بهاشمية الأنبار واستمرت عاصمة للعباسيين إلى أن انشأ المنصور (١٣٦هـ-١٥٨هـ/٧٥٤م-٧٧٥م)، مدينة أخرى بين الكوفة والحيرة، وسميت هاشمية الكوفة واتخذها عاصمة[٣]، وبقي المنصور مقيماً فيها، إلـى أن تركها وكره السكن فيها، وذلك بعد ثورة الراوندية[٤] التي قامت فيها[٥]، فأخذ المنصـور يبحـث عن مكان جديد يتخذه موقعاً لـه ولجنده، فوقع اختياره على مدينة بغداد، الواقعة بين دجلة والفرات[٦].

أمـا العوامـل التـي شجعت المنصور على اختيار موقع بغداد تحديداً، فكانت متعددة، منها العوامل السياسية والاقتصادية والصحية وغيرها.

أمـا فـيما يتعلـق بالعامـل السياسـي و الاستراتيجي، فقـد أدرك المنصور أهمية هذا الموقع، ويبدو ذلك من خلال قوله عن هذا الموقع بعد أن وقع اختياره عليه :

---

(١) اليعقوبـي، تـاريخ اليعقوبـي، مج٢، ص٣٥٨، سالم، عبد العزيز، دراسات في تاريخ العرب، العصر العباسي الأول، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٣م، مج٣، ص٣٤٣.

(٢) الهاشمية : مدينة بناها أبو العباس السفاح، واتخذها عاصمة له، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٥، ص٣٨٩.

(٣) اليعقوبـي، أحمد بن يعقوب بن واضح (ت ٢٨٤هـ/٨٩٨م)، البلدان، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م، ص ٢٥، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٥، ص٥٥٧، سالم، العصر العباسي الأول، مج٣، ص٣٤٣.

(٤) الروندية: قوم من خراسان كانوا يقولون بتناسخ الأرواح، ويزعمون أن المنصور ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم، المقدسي، طاهر بن المطهر (ت ٣٥٥هـ/٩٦٦م)، البدء والتاريخ ترجمة كلمات هوار، باريز، د.ن، ١٨٩٩م، مجهـول (ت ٤٨١هـ/١٠٨٩م)، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، تحقيـق عمـر السعيدي، النجف، مطبعة النعمان، ١٩٧٢م، مج٣، ص٢٢٧.

(٥) ابـن الفقيه الهمذاني، أبو بكر أحمد بن محمد (ت ٢٩٠هـ/٩٠٢م)، مختصر البلدان، ليدن، بريل، ١٩٦٧م، ص ١٨٤، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٧، ص٦١٤، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٥، ص٥٥٧-٥٥٨ ، ابـن الطقطقـا، محمـد بـن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م)، الفخري في الأدب السلطانية والدول الإسلامية، بيروت، دار صادر، ١٩٦٦م، ص١٦١.

(٦) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج٢، ص٣٧٣، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٧، ص٦١٤، ماجد، عبد المنعم، العصر العباسي الأول، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٤م، ط٣، مج١، ص٩٧.

Levy, Ruben, Baghdad chronicle, America, cambridge University, ١٩٧٧, P. ١٤.

"هـذا موقـع معسـكر صـالح"[1]. ويمكن أن ندرك هذه الأهمية أيضـاً من الموقـع المحصـن بيـن نهري : دجلة والفرات حيث يشكلان خط الدفاع الرئيسي عن المدينة، بحيث لا يستطيع أحد الوصول إلى العاصمة بغداد بسهولة[2].

كمـا بـنى المنصـور سوراً عظيماً حـول المدينة، وجعل فيـه أربعة أبواب رئيسـية[3]، بحيث لا يستطيع أن يفتح الباب الواحد إلا جماعـة من الرجال، وهذا يدل على أن البناء كان لأهداف عسكرية كذلك، أنظر الملحق رقم (٣).

أمـا فـيما يـتعلق بالعامل الاقتصادي، فقـد كان المنصور يدرك الأهميـة الاقتصـادية والتجارية في بناء عاصمته الجديدة، ويظهر ذلك من قوله عن الموقع بأن المـادة تأتيه من دجلة والفرات "ولا يحمل الجند والرعية إلا مثله"[4] ومما يؤيد مراعاة المنصـور للناحية الاقتصادية في اختيار الموقع، عندما وصف لـه موقع بالقرب من بارما[5]، رفض ذلك الموقع وقال : "إنما أريد موضعاً يرتفق الناس به.. ولا تغلو عليهم فيه الأسعار ولا تشتد فيه المؤونة"[6].

كمـا تظهـر هذه الأهمية كذلك عندما سأل المنصور عن الموقع فقيل له : بأن المـادة والمـيرة تأتيـه مـن المغرب والشام ومصر والهند والجزيرة وغيرهـا عن طريق البر والبحر أيضاً[7].

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٧، ص٦١٤، العميد، طاهر "الأثر العسكري في اختطاط المـدن الإسلامية" مجلة كلية الآداب، بغداد، جامعة بغداد، ع٢٩، ١٩٨١م، ص١٢٢.

[2] ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن (ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م)، مناقب بغداد، بغداد، مطبعـة دار السلام، ١٣٤٢ هـ، ص٨، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٥، ص٥٥٩، ابن كثير، البداية والنهاية، مج١٠، ص١٠٥.

[3] المقدسـي، شـمس الدين أبو عبد الله البشاري (ت ٣٨٧هـ/٩٩٧م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٨٠م، ص١٢١، ابن الجوزي، المنتظم، مج٨، ص٧٦.

[4] ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج١، ص٤٥٨.

[5] بارما : جبل بين تكريت والموصل، شرقي دجلة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج١، ص٣٢٠.

[6] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٧، ص٦١٥.

[7] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٧، ص٦١٧، ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص٨، ابن كثير، البداية والنهاية، مـج١٠، ص١٠٤، ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، تاريخ ابن خلدون كتاب العبر وديـوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م، مج٣، ص٢٤٠.

أمـــا فـــيما يتعلق بالناحية الصحية، فقد حرص العرب منذ القدم على أن يكون المكـــان المختار لبناء المدن خالياً من الحشرات، وقد تنبه المنصور إلى تلك الناحية في اختياره المكان، فقد سأل عن مناخ ذلك الموقع، وعن الحر والمطر وغير ذلك[١] حيث امتاز موقع بغداد بلطف المناخ والهواء[٢].

وبعـــد أن اعـــتمد المنصور الموقع، أحضر العمال من أنحاء البلاد كافة، حتى وصـــل عددهم إلى مئة ألف عامل[٣]، ومن المحتمل أن يكون ذلك الرقم مبالغاً فيه إلا أنه يعكس ضخامة البناء في الوقت ذاته، وأمر المنصور بالبدء بالحفر ووضع الأسس، ووضـــع المنصور أول حجر في البناء، وقال : "ابنوا على بركة الله"[٤] وبدأ البناء في سنة (١٤٥هـــ/٧٦٢م) [٥] واكتمل في سنة (١٤٦هـــ/٧٦٣م) [٦].

---

[١] الطـــبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٧، ص٦١٦، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٥، ص٥٥٨، ابن خلدون، تاريخ ا بن خلدون، مج٣، ص٢٤٠.

[٢] اليعقوبـــي، الـــبلدان، ص١١، ابـــن الفقيه الهمذاني، أبو بكر أحمد بن محمد (ت ٢٩٠هـــ/٩٠٢م)، بغداد مدينة الســـلام، تحقيق صالح العلي، العراق، وزارة الإعلام، ١٩٧٧م، ط١، ص٦٧، ابن رسته، أحمد بن عمر (ت ٣١٠هـــ/٩٢٢م)، الأعلاق النفيسة، ليدن، بريل، ١٨٩١م، مج٧، ص ٢٣٣ القزويني، زكريا بن محمد (ت ٦٨٢ هـــــ/١٢٨٢م)، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، ١٩٩٠م، ص٣١٣، ابن كثير، البداية والنهاية، مج١٠، ص١٥، المدور، جميل نخلة، حضارة الإسلام في دار السلام، مصر، مطبعة الاعتماد، ١٩٣٢م، ص ٢٥.

[٣] اليعقوبـــي، الـــبلدان، ص٢٥، ابن رسته، الأعلاق النفيسة، مج٧، ص٢٣٨، الحسني، عبد الرزاق، بغداد، دائرة المعارف الإسلامية، تهران، منشورات انتشهارات جيهان، د.ت، مج٤، ص٨.

[٤] ابن الجوزي، المنتظم، مج٨، ص٧٢.

[٥] الطـــبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٧، ص٦١٨، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٥، ص٥٥٩، ابن العماد الحنبلـــي، شـــهاب الدين عبد الله بن أحمد (ت ١٠٨٩م/١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمد الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، دمشق، دار ابن كثير، ١٩٨٦م، ط١، مج٢، ص٢٧.

[٦] اليعقوبـــي، تـــاريخ اليعقوبي، مج٢، ص٣٧٩، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٧، ص٦٥٠، ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص٩، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٥، ص٥٧٣.

بناء بغداد:

تقع بغداد بين دجلـــة والفرات[1]، وبنيت سنة (١٤٥هـ/٧٦٢م) [٢] وبقيت مقراً للخلافـــة العباسية حتـــى سقوطها سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) [٣]. وفيمـــا يتعلق بتسميتها، فقـــد جـــاءت علـــى أشـــكال متعددة[٤]، وقيل إن التسمية بغداد تعني هبة الله أو عطية الملك[٥]، ولها عـــدة أسماء، أشهرها دار السلام[٦]. والمدينـــة المدورة[٧]، حيث كانت بغـــداد دائـــرية الشـــكل، وسبب ذلك، حتى لا يكون هناك أناس أقرب من غيرهم إلى العاصـــمة أو دار الخلـــيفة ومركـــز الخليفة[٨]، ولا يعرف في تلك الفترة مدينة مدورة سواها في الدولة الاسلامية[٩].

---

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج٢، ص٣٧٣، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٧، ص٦١٤.

(٢) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)، فتوح البلدان، بيروت، دار الكتب، ١٩٩١م، ص٢٩٣، المقدســـي، أحسن التقاسيم، ص١٢١، الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، تاريخ بغـــداد أو مدينة السلام، تحقيق مصطفى عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م، ط١، مج١، ص٩٠، ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص٨، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٥، ص٥٥٩، العماد الحنبلي، شذرات الذهب، مج٢، ص٢٠٧.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، مج١٣، ص٢٢٦.

(٤) الخطيـــب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١، ص٨١، ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص٦، القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة، ١٩٦٣، مج٤، ص٣٣٠.

(٥) ابن الفقيه، بغداد، ص٢٧.

(٦) ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إبراهيم اللواتي (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، بيروت، دار التراث، ١٩٦٨م، ص٢١٥.

(٧) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٩٣، اليعقوبي، البلدان، ص٢٥، ابن رستة، الأعلاق النفيسة، مج٧، ص٢٣٨، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٥، ص٥٧٤ الحسني، بغداد، دائرة المعارف الإسلامية، مج٤، ص٨.

(٨) الخطيب البغدادي، تاريخ بغـــداد، مج١، ص٩٣، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٥، ص٥٧٤، ابن الطقطقا، الفخري في الآداب، ص١٦٣.

(٩) اليعقوبي، البلدان، ص٢٥، ابن رسته، الأعلاق النفيسة، مج٧، ص٢٣٥، ابن الجوزي، المنتظم، مج٨، ص٧٤، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٩١م، ط٢، مج٩، ص٣٤.

ومـــن أسمائها أيضاً : الزوراء[1]، وقبة الإسلام[2]، وكانت قبل بنائها عبارة عن مـــزرعة للبغداديين يقال لها المباركة[3]، وكان في هذا المكان سوق قديمة تدعى سوق بغداد[4]، وهناك أيضاً قرية قديمة تعرف بقرية بغداد[5].

ولـــو تأملنا هذه الروايات نلاحظ أن اسم سوق بغداد وقرية بغداد يدلان على أن الاســـم الذي أطلق على بغداد، والذي تعرف به إلى يومنا هذا، لم يكن اسماً جديداً، بل كان قديماً. يرجع إلى ما قبل بنائها، ويؤيد ذلك الرأي أن الخليفة المنصور أطلق عليها اسم مدينة السلام، إلا أن بغداد بقي شائعاً، الأمر الذي يؤكد أقدمية هذا الاسم.

وفـــيما يـــتعلق بنفقات بناء بغداد، فذكرت المصادر إنها بلغت حوالي ١٨ مليون دينار[6]، في حين تذكر روايات أخرى إنها بلغت حوالي أربعة ملايين وثمانمائة وثلاثة وثمانيـــن درهمـــا[7]، ويـــبدو أن الرقم الأخير هو الأرجح، فقد ذكر ابن كثير أن تلك الإحصـــائية وجـــدت في خزائن المنصور[8]، وكان لبغداد أثر معماري واضح في بناء

---

[1] الحيدري، صبغة الله إبراهيم (ت ١١٧٨هـ/١٧٧٣م)، تاريخ الحيدرية مقتبس مـــن مؤلفات، نسخة مايكروفيلم في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية، ص١، ابن الفقيه، بغداد، ص٢٧، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٧، ص٦١٥، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١، ص٩٦، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج١ ، ص٤٥٦، الحسـني، عبد الرزاق والدوري، عبد العزيز، بغداد، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٤م، ط١، ص١٣.

[2] الثعالبـــي، أبـــو منصور عبد الله البشاري (ت ٤٢٩هـ/١٠٨٣م)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق إبراهيم صالح، دمشق، دار البشائر، ١٩٩٤م، ط١، مج١، ص٢٨٢.

[3] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٧، ص٦١٩، ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص٧، الذهبي، تاريخ الإسلام، مج ٩، ص٣٤.

[4] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١، ص٥٣.

Levy, Baghdad, p.١١.

[5] التطلي، بنيامين (ت ٥٦٩هـ/١١٧٣م)، رحلة بنيامين، تحقيق عزار حداد، بغداد، المدرســـة الوطنية، ١٩٥٤م، ص١٣١ الهامش.

DurI, A.A, Baghdad, The Encyclopaedi of Islam Leiden, Brill, ١٩٧٩ Vol. ١, p.٨٩٥.

[6] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١، ص٩٠، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج١، ص٤٥٩.

[7] المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٢١، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٥، ص٥٧٥.

[8] البداية والنهاية، مج١٠، ص١٠٦.

المدن الإسلامية التي تم بناؤها فيما بعد كالرافقة[1] التي بنيت سنة (١٥٥هـ، ٧٧١م) [2] حيث بُنيت على نمط مدينة بغداد من حيث: الأبواب والشوارع والأسواق[3]، وكذلك سامراء[4]، التي بنيت سنة (٢٢١هـ/٨٣٦م) على نمط بغداد خاصة في أسواقها، حيث أن المعتصم بالله (٢١٨هـ-٢٢٧هـ/٨٣٣م-٨٤٢م) أفرد "لأهل كل صنعة سوقاً"[5].

وظلت بغداد تحتفظ بقدر كبير من الازدهار الاقتصادي والاجتماعي والنشاط الأدبي والعلمي. وعندما أنشأ المنصور بغداد أبدى اهتماماً خاصاً ببناء المرافق والمعالم فيها، بحيث أصبحت تحتوي الأسواق والحوانيت والدروب والمساجد والحمامات والقصور والأنهار والسكك والأسوار والأبواب الشهيرة والبيمارستانات وغيرها.

ونتيجة للتقدم الحضاري الذي شهدته بغداد في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والعلمية كافة، فقد تنوعت المؤسسات فيها، منها ما هو اقتصادي بحت كالأسواق والخانات، ومنها ما هو اجتماعي كالحمامات والبيمارستانات والسجون، ومنها ما هو تعليمي كالمساجد والمكتبات والكتاتيب وحوانيت الوراقين.

وفي هذا الصدد قال الخطيب البغدادي في وصفها :

"لم يكن لبغداد نظير في الدنيا في جلال قدرها، وفخامة أمرها وكثرة علمائها وتميز خواصها وعوامها، وعظم أقطارها، وكثرة دروبها ودورها، ومنازلها وشوارعها

---

(1) الرافقة : مدينة بناها المنصور على ضفة نهر دجلة، ورتب فيها جنداً من خراسان، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٣، ص١٥.

(2) اليعقوبي، البلدان، ص٢٤، ابن الفقيه، البلدان، ص١٣٢.

(3) ابن الفقيه، البلدان، ص١٣٢، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٨، ص٤٦، ابن الجوزي، المنتظم،مج٨، ص ١٨٣، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٣، ص١٥، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٦، ص٥، ابن كثير، البداية والنهاية، مج١٠، ص١٢٢، ماجد، العصر العباسي الأول، مج١، ص٩٧.

(4) سامراء : مدينة بين بغداد وتكريت، تقع شرقي دجلة، بناها المعتصم بالله، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٣، ص١٧٣-١٧٤.

(5) المسعودي، مروج الذهب، مج٣، ص٥٥، ماجد، العصر العباسي الأول، مج١، ص٢٩٨.

ومساجدها وحماماتها وخاناتها، وطيب هوائها، وعذوبة مائها، واعتدال صيفها وشتائها وربيعها وخريفها"[1].

وأصبحت بغداد مركزاً مرموقاً لم ترق إليه المدن التي شيدت قبلها وبعدها،

[1] تاريخ بغداد، مج١، ص١٣١.

الفصل الأول : المؤسسات الاقتصادية

أولاً : الأسواق:

أولاً : تعريف السوق.

ثانياً : أسواق بغداد.

ثالثاً : أسباب نقل الأسواق.

رابعاً : أشهر الأسواق في بغداد.

خامساً : الإشراف على الأسواق.

أ- المحتسب.

ب- أعوان المحتسب.

سادساً : المؤثرات في الأسواق.

سابعاً : دور الأسواق في الحياة العامة:

١. دور الأسواق في الحياة السياسية.

٢. دور الأسواق في الحياة الاجتماعية.

٣. دور الأسواق في الحياة والاقتصادية.

٤. دور الأسواق في الحياة الثقافية.

ثانياً : الخانات:

أولاً : تعريف الخان ونشأته.

ثانياً : أنواع الخانات.

ثالثاً : الخانات في بغداد.

رابعاً : العاملون في الخانات.

خامساً : دور الخانات في الحياة العامة.

ثالثاً : القياسر والوكالات:

أولاً: تعريف السوق:

ساعد الأمن والاستقرار في العصر العباسي على ازدهار الأوضاع الاقتصادية، بالإضافة إلى العديد من العوامل التي ساعدت على ذلك الازدهار، مثل: خصوبة التربة، والموقع التجاري للعراق، كونه نقطة اتصال بين أواسط آسيا والهند والصين من جهة والجزيرة والشام ومصر وشمال أفريقيا من جهة أخرى[١].

لقد كان العامل الأساسي للازدهار الاقتصادي في العراق عامة وبغداد خاصة تشجيع الخلفاء على الزراعة والصناعة واهتمامهم بإنشاء المؤسسات الاقتصادية كالأسواق المنتشرة في كل ناحية ومحلة في بغداد، وتزويدها بالمرافق الهامة مثل الحمامات والمساجد[٢]، وكذلك الخانات، التي شيدت لخدمة التجارة والتجار منذ بناء بغداد، ومنذ العصر العباسي الأول[٣].

أما السوق فهي كلمة تطلق على أسماء الشوارع والأماكن[٤]، وفي اللغة العربية تعني موضع المبيعات، أو المكان الذي تباع فيه البضائع والأمتعة، والسوق يذكر ويؤنث والجمع أسواق[٥].

وقد ورد ذكر السوق في القرآن الكريم في عدة مواضع، منها قوله تعالى:"وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق"[٦].

---

[١] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٧، ص٦١٧، ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص٨.

[٢] اليعقوبي، البلدان، ص٣١، ابن رستة، الأعلاق النفيسة، مج٧، ص٢٤٢.

[٣] ابن الفقيه، بغداد، ص٥٨، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١، ص٥٩، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٣٤١، الخازن، وليم، الحضارة العباسية، بيروت، دار المشرق، ١٩٩٢م، ط٢، ص٧٨.

[٤] كندرمان، السوق، دائرة المعارف الإسلامية، نقلها إلى العربية أحمد الشنتاوي، تهران، منشورات انتشهارات جيهان، د.ت، مج١٢، ص٣٨٠

[٥] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٩٧٠م، مج١٠، ص١٦٧.

[٦] القرآن الكريم، سورة الفرقان، آية ٢٠.

وقال تعالى : "وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً"[١].

ثانيا: أسواق بغداد:

كانت بغداد قديما عبارة عن قرية تجارية قديماً ، حيث يقام سوق عظيمة في هذا المكان في كل عام وقبل كل شهر، ويتم فيها عمليات البيع والشراء[٢]، وكان لـــه موقع تجـاري بالقــرب مــن دجلة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن لبغداد موقعاً تجاريــاً منذ أقدم العصور[٣]، وبقيت كذلك حتى الفتوحات الإسلامية. فعندما قام العرب المســلمون بالفتوحات الإسلامية، تولى المثنى بن حارثة الشيباني[٤] فتح قرية بغداد[٥]، وأصبحت في العصر العباسي المركز التجاري العظيم للدولة العباسية بسبب موقعهــا الجغرافــي الذي جعلها ترتبط بعــدة مناطق، سواء أكانت داخل العراق أو خارجهــا مثل: الشام وإيران وأواسط آسيا وغيرها[٦].

وعندما وضع المنصــور الخطط الأولــى لمدينة بغداد، أظهر اهتمامه الخاص بالأســواق لكونهــا من أهم المؤسسات الاقتصادية في الدولة، حيث قدر لهــا مساحات واســعة، وأمر بتوسعتها وتعددها، بحيث يكون في كل ناحية سوق شاملة لجميع أنواع

---

(١) القرآن الكريم، سورة الفرقان، آية: ٧.

(٢) ابــن الجوزي، مناقب بغداد، ص٧، الزركاني، خليل "الأسواق في بغداد" مقالة ضمن كتاب بغداد مدينة السلام، بغداد، مركز إحياء التراث، ١٩٩٠م، ص١٣٠.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج١، ص٤٥٦، الدوري، عبد العزيز، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، بيروت، دار المشرق، ١٩٧٤م، ط٢، ص٣٩٩.

(٤) المثــنى بن حارثة الشيباني : من كبار القادة المسلمين، غزا العديد من المناطق مثل العراق وبلاد فارس، وشهد العديــد مــن الوقــائع، ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد الزهري (ت ٢٣٠هـ/٨٤٥م)، الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر، ١٩٨٥م، مج٧، ص٣٩٧، الزركلي، الأعلام، مج٦، ص١٥٨.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١، ص٥٣، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج١، ص٤٥٧، حسن، إبراهيم، تــاريخ الإســلام السياسي الديني والثقافي والاجتماعي، بيروت، دار الجيل، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٦م، ط١٤، مج٢، ص٢٩٨.

Levy, Baghdad, pp. ١١-١٢.

(٦) اليعقوبي، البلدان، ص٢٢-٢٤، الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص١٣٣.

الـــتجارات، كمـــا أمـــر المنصور بأن تزود هذه الأسواق بالمرافق الهامـــة التـــي لا يمكـــن الاســـتغناء عـــنها مثل المساجد والحمامات[1]. والأنهار[2]. وأنشأ أربعة أسواق رئيســـية فـــي أنحـــاء العاصـــمة جميعها، وكانت طريقة بناء هذه الأسواق تتلاءم مع الظـــروف المناخـــية، حيث جعل فيها نوافذ تسمح بدخول أشعة الشمس، وتمنع دخول الأمطار، وقال اليعقوبي في ذلك : "وفيها كواء رومية يدخل منها الشمس والضوء، ولا يدخـــل مـــنها المطر[3]" وكانت هذه الأسواق مقببة بالجص[4] وجدرانها مزخرفة، أما الآجر[5]، فتصنع منه السقوف[6].

ولم تزل أسواق بغداد كذلك داخل المدينة إلى أن قرر الخليفة المنصور تحويلها إلـــى خارج العاصمة بغداد، حيـــث تم نقلهـــا إلـــى الكرخ[7] وباب الشعير[8] وباب المحـــول[9]، وذلـــك في سنة (١٥٧هـ/٧٧٣م) [10] على أن تبقى بعض الحوانيت التي

---

(١) اليعقوبي، البلدان، ص٣١، ابن رسته، الأعلاق النفيسة، مج٧، ص٢٤٢.

(٢) اليعقوبي، البلدان، ص٤٣، ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص١١.

(٣) البلدان، ص٢٦، الأقرطجي، رمزية، بناء بغداد في عهد أبي جعفر المنصور، النجف، مطبعة النعمان، ١٩٧٥م، ص١٢٣، الكبيسي، حمدان "أصالة أنظمة الأسواق في المدينة العربية" مقالة ضمن كتاب أنظمة المدينة العربية، الموصل، دار الحكمة، ١٩٩١م، ص٨٥.

(٤) الجص : كلمة أعجمية تعني المادة التي تطلى بها الجدران، ابن منظور، لسان العرب، مج٧، ص١٠.

(٥) الآجر : الطين المطبوخ، البستاني، بطرس، محيط المحيط، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧٧م، ص٤.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٧، ص٦٥٤، الزركاني "الأسواق في بغداد"، ص١٢٥.

(٧) الكـــرخ : كلمة نبطية تعني جمع الشيء كله في مكان واحد، والكرخ منطقة في العراق، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص٤٤٧.

(٨) باب الشعير : محلة في بغداد، بعيدة نوعاً ما عن نهر دجلة، وترفأ فيها سفن البصرة والموصل، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج١، ص٣٠٨.

(٩) باب المحوّل : محلة كبيرة في بغداد متصلة بالكرخ، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج١، ص٣١٢.

(١٠) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج٢، ص٣٧٤، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٨، ص٥٢، الخطيب البغدادي، تـــاريخ بغداد، مج١، ص٩٨، ابن الجوزي، المنتظم، مج ٨، ص١٩٣، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٦، ص١٣، ابـــن تغـــري بردي، جمال الدين أبو المحاسن الأتابكي (ت ٨٤٧هـ/١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة فـــي ملوك مصر والقاهرة، تعليق محمد حسين، بيروت، دار الكتب العلميـــة، ١٩٩٢م، ط٢، مج٢، ص٣٨، الحاج، حسين، حضارة العرب في العصر العباسي، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٩٤م، ط١، ص ٢٠٧.

تـــباع فيها بعض السلع التي لا يمكن الاستغناء عنها، بحيث يبقى في كل ربع بقّال يبيع البقل والخل[1].

كما جعل المنصور للأسواق مساحات واسعة، حيث جعل عرض السوق أربعين ذراعـــا[2] وطولهـــا فرســـخان[3]، وجعل لكل صناعة سوق خاصة، وكلفّ الربيع بن يونس[4] ببناء هذه الأسواق من ماله الخاص[5]، كما إنه لم يفرض عليها الضرائب طيلة حـــياته داخل المدينة بغداد[6]، إلى أن جـــاء المهدي (١٥٨هـــ-١٦٩هـــ/٧٧٥م-٧٨٥م) وفرض الضرائب عليها، حيث قرر جباية أسواق بغداد سنـــة (١٦٧هــ/٧٨٣م) وجعل عليها الغلة أو الأجرة[7].

وجعـــل الخليفة هذه الأسواق صفوفاً لكـــل سوق، بحيث لا يختلط قوم بقوم، ولا تجارة بأخرى ولا يباع صنف مع غيره، ولا يختلط أصحاب المهن مع سائر الصناعات بغيرهم، وجعل كل سوق مفردة، وكل أهل ينفردون بتجارتهم[8].

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٧، ص٦٥٤، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٥، ص٥٧٥.

(٢) الذارع: في العراق يساوي ٣٢,٩سم ذراع معماري، هنتس، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، عمان، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٧٠م، ص٨٦.

(٣) الفرســـخ : يساوي ثلاثة أميال وكل ميل يساوي ١٠٠٠باع، وكل باع أربعة أذرع، أي أن الفرسخ يساوي ٦كم، هنتس، المكاييل والأوزان، ص٩٤.

(٤) الربيع بن يونس بن محمد بن قرة : كان يشغل منصب الحجابة للمنصور، ومنصب الوزارة للهادي، توفي سنـــة (١٧٠هــ/٧٨٦م) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج٨، ص٤١٣.

(٥) الخطيـــب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١، ص٩٩، ابن الجوزي، المنتظم، مج٨، ص١٩٤، حسن، تاريخ الإسلام، مج٢، ص٣٠٩.

(٦) ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص١٣، الخربوطلي، علي، الحياة الاجتماعية في بغداد منذ نشأتها حتى نهاية العصر العباسي الأول، بغداد، مطبعة الجامعة، ١٩٨٢م، ط١، ص٢٢٠.

(٧) اليعقوبـــي، تـــاريخ اليعقوبي، مج٢، ص٣٩٩، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١، ص١٠٠، ابن الجوزي، المنـــتظم، مج٨، ص١٩٥، الشيخلي، صباح، الأصناف في العصر العباسي، بغداد، وزارة الإعلام، ١٩٧٦م، ص١٥١.

(٨) اليعقوبـــي، الـــبلدان، ص٣٧، الأقرطجـــي، بـــناء بغداد، ص١٦٣، المسري، حسين، تجارة العراق في العصر العباسي، الكويت، جامعة الكويت، ١٩٨٢م، ص٩٨.

واتخذ المنصور إجراءات أخرى ليشجع الناس على الانتقال إلى المكان الجديد، مثل تمليك الناس أراضٍ خارج الأسواق، وإنشاء قصر الخلد على شاطئ نهر دجلة[1].

ثالثاً : أسباب نقل الأسواق :

كان التجار في بغداد يمثلون جانباً كبيراً من سكان بغداد، وذلك بسبب الهجرات المتواصلة إليها للعمل بالتجارة وغيرها، وهذا جعلها تنمو وتزدهر بسرعة غير متوقعة، علاوة على تجار بغداد أنفسهم "فليس من أهل البلد إلا ولهم فيها محلة ومتجر"[2] ويبدو أن هذا التوسع والازدهار وزيادة النشاط التجاري جعل المنصور يفكر بنقل الأسواق خارجها، وأن يعيش بعيداً عن أهل السوق والسوقة[3]، وفيما يتعلق بالأسباب المباشرة لنقل الأسواق، فيمكن أن نستنتج من خلال الروايات أن هناك أسباباً متعددة ومتنوعة ومنها : سياسية واقتصادية وصحية وغيرها.

وفيما يتعلق بالعامل السياسي فيكاد يكون هناك شبه إجماع بين المؤرخين على أن وجود الأسواق داخل بغداد يشكل أخطاراً سياسية، وجاء ذلك بعد أن قدم أحد بطارقة الروم إلى بغداد وسأله المنصور عن رأيه في المدينة وبنائها، فقال البطريق : رأيت أعداءك معك، فقال : من هم؟ قال : السوقة[4]. كما قال : أن عدوك يخترقها في أي وقت يشاء وأنت لا تعلم، وأخبارك مبثوثة في الآفاق ولا يمكنك سترها، والأسواق فيها، والأسواق غير ممنوع منها أحد، فيدخل العدو بحجة التسوق، أما التجار فيترددون

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٨، ص٥٢، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٦، ص١٣، ابن كثير، البداية والنهاية، مج١٠، ص١٢٤، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مج٢، ص٣٨.

(2) اليعقوبي، البلدان، ص١١، ابن رسته، الأعلاق النفيسة، مج٧، ص٢٣٤، الكبيسي، حمدان، أسواق بغداد حتى بداية العصر البويهي، العراق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٧٩م، ص٧٤، العمد، إحسان، تاريخ الدولة العباسية، د.م، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ١٩٩٥م، ط١، ص٣٨٢.

(3) المدور، حضارة الإسلام، ص٢٥، الخربوطلي، الحياة الاجتماعية، ص٢١٨.

(4) ابن الفقيه، بغداد، ص٣٧، مجهول، العيون والحدائق، مج٣، ص٣٦٦، المسري، تجارة العراق،ص٨٨، رمضان، أحمد، حضارة الدولة العباسية، القاهرة، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية، ١٩٧٨م، ص٥٧.

الآفـاق، ومـن الممكـن أن يتحدث هؤلاء بإخبارك[١]، ومن الممكن أن يكـون هناك جواسيس بينهم ويخالطون السوقـة، ويتلقطون الأخبار عن طريقهم[٢].

ومـن الأسباب الأخرى المتعلقة بالعامـل السياسي أيضاً، الاضطراب والشغب الـذي أثـاره محتسـب بغداد أبو عبد الله يحيى بن زكريا[٣]، الذي كـان موالياً لاتباع محمـد بن عبد الله "النفس الزكية"[٤] ويتصل بهـم، لذلك قام بجمع العديـد من الأفراد مـع أهـل أسواق بغداد وقـاد الثورة علـى المنصور إلـى أن قتله المنصور فـي سـنـة (١٥٧هـ/٧٧٣م)، وأمـر بنقل الأسواق من داخل بغداد إلى الكرخ[٥]. ومن الأسباب المتعلقة بالعامل السياسي أيضاً ما ذكر للمنصور من أن تجاراً غرباء "يبيتون فـيها"[٦] وقد يخشى أن يكون منهم الجواسيس، أو من يقوم بمساعدتهم بفتح المدينة ليلاً من جهة الأسواق[٧].

---

[١] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١، ص٩٩، ابن الجوزي، المنتظم، مج٨، ص١٩٤، الكبيسي، أسواق بغداد، ص٧٦، الزركاني "الأسواق في بغداد"، ص١٢٧.

[٢] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١، ص٩٩، المسري، تجارة العراق، ص٨٨.

[٣] يحيى بن زكريا أبو عبد الله : محتسب بغداد زمـن المنصور، توفي سنة (١٥٧هـ/٧٧٣م) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١، ص٩٩.

[٤] محمـد بـن عـبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي : أشهر الأمراء الطالبيين، خرج على المنصور في عدة مـناطق، خاصة بعد أن حبس المنصور والده، وقتل سنة (١٤٥هـ/٧٦٢م) الصفدي، الوافي بالوفيات، مج٣، ص٢٩٧-٢٩٩، الزركلي، الأعلام، مج٧، ص٩٠.

[٥] ابـن الفقـيه، بغداد، ص٢٨، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٧، ص٦٥٣-٦٥٤، مج٨، ص٥٢، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١، ص٩٩، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٥، ص٥٧٤، سعد، فهمي، العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجريين، بيروت، دار المنتخب العربـي، ١٩٩٣م، ط١، ص١٤٩، لسيتر، يعقوب، خطط بغداد في العهود العباسية الأولى، ترجمة صالح العلي، بغداد، المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٤م، ص١٥٨.

[٦] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٧، ص٦٥٣، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مج٣، ص٢٤١.

[٧] ابن الأثير، الكامل، في التاريخ، مج٥، ص٥٧٤، الكبيسي، أسواق بغداد، ص٧٨.

وهـناك أسباب أخرى متعلقـة بالفوضى والإزعاج التي يسبّبها أهـل الأسواق والـتجار، فكانـت تسمع الأسواق وضجيجها مـن قصر الأمارة[1]، وخاصة الفوضى التي تحدث في الأسواق في فترات زيارات الوفود إلى العاصمة بغداد[2].

ومـن الدوافع الأخرى التي جعلت المنصور يقوم بنقل الأسواق من داخل بغداد إلى الكرخ، العامـل الصحي وحماية العاصمة من التلوث، حيث إن الدخان المتصاعد مـن هذه الأسواق نتيجة الصناعات يؤدي إلى التلوث البيئي، وتغطية المدينة وجدرانها باللون الأسود، مما جعله يأمر بنقلها إلى الكرخ[3].

كمـا توجـد عوامل أخرى ثانوية، ساهمت في نقل الأسواق إلى الكرخ، خاصة فـيما يتعلق بالزيادة السكانية، وزيادة أعداد التجار في بغداد، فالفترة ما بين بناء بغداد ومـا بين نقل الأسواق تقارب الاثني عشر عاماً، فمن الممكن أن تؤدي تلك الفترة إلى الزيادة السكانية في بغداد، خاصة وأنها العاصمة الإسلامية في تلك الفترة.

ويبدو أن اختيار المنصور لموقع الكرخ كان اختياراً موفقاً، ووليد تفكير عميق، وذلـك لمكانـة الكرخ التجارة منذ أقدم العصور، ثم جاء المنصور بقطعة من القماش، وحـدد فـيها الأسواق[4]، وأمر أن يبني مسجد جامع لأهل السوق في الكرخ من أجل إقامـة الصلاة فيه[5]، ويمكن تحليـل هذا الإجراء بعزل التجـار وأهل السوق عـن المديـنة ومـنعهم مـن الدخول إليهـا بأي شكل كان، حتـى وإن كان بحجة الصلاة

---

[1] ابن كثير، البداية والنهاية، مج١٠، ص١٠٦، الأقرطجي، بناء بغداد، ص١٦١.

[2] ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص١٤، ابن الجوزي، المنتظم، مج٨، ص٧٨، الخربوطلي، الحياة الاجتماعية، ص ٢١٨، ناجـي، عـبد الجـبار "الكرخ والرصافة" المدينة العربية، الكويت، منظمة المدن العربية، ع٣٢، السنة السابعة، ١٩٨٨م، ص٧٤.

[3] يـاقوت الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص٤٤٨، الزركاني "الأسواق في بغداد" ص٢٨، الخطيب، ياسين، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام، بغداد، دار منشورات البصري، ١٩٦٨م، ص٢٦.

[4] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١، ص٩٩، الخربوطلي، الحياة الاجتماعية، ص٣٥.

[5] ابـن الفقيه، بغداد، ص١٢٨، ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص١٣، ابن كثير، البداية والنهاية، مج١٠، ص١٠٧، رمضان، حضارة الدولة العباسية، ص٥٧، الزركاني "الأسواق في بغداد" ص١٢٩.

خاصة وأن أكثرهم من الغرباء، وزيادة في الحيطــة بنى المنصور مساكن لهم ليتجنب مبيتهم داخل العاصمة بغداد[١].

ومن مظاهر اهتمام المنصور بهــذه المؤسسة الاقتصادية أيضاً، تأمين الأسواق بالمــياه، حيث أوصل المياه إليهــا عن طريق عــدة أنهار، مثل نهــر القلائين[٢]، نهر طابق[٣]، نهر الدجاج[٤] وغيرها، وكانت المسافة بين بغداد والكرخ تبلغ ميلاً[٥].

نلاحظ من العرض السابق أن أسواق بغداد اتخذت شكلاً جديداً وتخطيطاً بارعاً، وتنظــيماً دقيقاً، حتى أن تلك الطريقة في التخطيط والبناء في الأسواق أثرت في المدن الإســلامية الأخرى التي تم بناؤها فيما بعد، وفي أسواقها، كما هي الحال في سامراء، فقد كان لكل صنعة فيها سوقا خاصة لها[٦].

وعندما بنى المتوكل (٢٣٢هــ-٢٤٧هــ/٨٤٧-٨٦١م) مدينة الجعفرية[٧]، جعل في كل ناحية وكل مربعة سوقاً[٨].

---

[١] كوك، ريجارد، بغداد مدينة السلام، ترجمة فؤاد جميل ومصطفى جواد، بغداد، مطبعة شفيق، ١٩٦٢م، ط١، مج ١، ص٤٢، شــاكر، خلــيل "الــتطور التاريخي لمدينة بغداد بعد مرحلة التأسيس" فصل ضمن كتاب بغداد في التاريخ، بغداد، جامعة بغداد، ١٩٩٥م، ص٩٤.

[٢] نهر القلائين : محلة كبيرة في بغداد تقع شرقي الكرخ، وسكانها أهل سنة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٥، ص٣٢٢.

[٣] نهــر طــابق: محلــة كبيرة في بغداد، نهرها يصب في نهر عيسى، تنسب إلى بابك بن بهرام، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٥، ص٣٢١.

[٤] نهــر الدجاج : محلة في بغداد بالقرب من الكرخ في الجانب الشرقي، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٥، ص ٣٢٠.

[٥] الميل : يساوي أربعمائة ذراع شرعية أي ١ الفرسخ، وذلك يعادل ٢كم٢، هنتس، المكاييل والأوزان، ص٩٥.

٣

[٦] اليعقوبي، البلدان، ص٥٨، المسعودي، مروج الذهب، مج٤، ص٥٥، الدوري، العصر العباسي الأول، ص٢٠١، مــاجد، العصر العباسي الأول، مج١، ص٢٩٨، الحاج، حضارة العرب، ص٢٠٧، رمضان، حضارة الدولة العباسية، ص٥٧.

[٧] الجعفرية : محلة كبيرة في بغداد في الجانب الشرقي، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص١٤٤.

[٨] اليعقوبي، البلدان، ص٦٨، الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص١٣٣.

رابعاً: أشهر الأسواق في بغداد:

تعـــددت الأسواق في بغداد وتنوعت، ووجدت فيها الأسواق الرئيسية والأسواق الفرعـــية، وقـــد تحـــدث ابـــن خلدون عن ذلك قائلاً : إن الأسواق نوعان منها ما هو ضروري، ومنها ما هو كمالي[1].

وقد وصفت أسواق بغداد بالزحام الشديد، حتى إن المارة لا يستطيعون اجتيازها لكـــثرة روّادهـــا[2]، وقد تخصص كل سوق من هذه الأسواق بسلعة معينة، ومن خلال أسماء الأسواق التي وجدت فيها، نستدل على التخصص الحرفي الدقيق فيها، حيث كان لكـــل حرفة سوقاً خاصة[3]، وهذا يدل على أن بغداد كما ذكرتها المصادر بأنها "معدن التجار"[4]. وظاهرة التخصص الحرفي في أسواق بغداد يكشف عن دوافع أدت إليها، لا بـــد لنا أن نتحدث عن هذه الأسباب والدوافع فكانت ضرورة الفصل بين السلع المختلفة وعدم اختلاط النفيسة بالوضيعة من أهم دوافع وجود هذا التخصص الحرفي، بحيث لا يخـــتلط مـــثلاً أصحاب الروائح الكريهة بالعطارين وأصحاب الدهون[5]، وما يؤيد ذلك قـــول المنصور عن القصابين : اجعلوهم في آخر الأسواق، فإنهم سفهاء بأيديهم الحديد القاطع[6].

---

[1] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، مقدمة ابن خلدون، مصر، المطبعة الأزهرية، ١٩٣٠ م، ص٣٠٤، ســرور، محمد جمال، تاريخ الحضارة الإسلامية في المشرق، د.م، دار الفكر العربي، ١٩٦٥م، ص١٤٣.

[2] ابن الجوزي، المنتظم، مج٨، ص٧٧، ابن كثير، البداية والنهاية، مج١٠، ص١٠٧.

[3] الشـيرزي، عبد الرحمن بن نصر (ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق الباز العريني، بيروت، وزارة الثقافة، ١٩٨١م، ط٢، ص١١، حسن، تاريخ الإسلام، مج٢، ص٢٥٤.

[4] ابـن الفقيه، بغداد، ص٦١، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٨، ص٤٥٥، الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص١٣٣.

[5] ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص٢٨، سعد، العامة في بغداد، ص٢٥٤، الشيخلي، الأصناف، ص٧٧.

[6] ابن الفقيه، بغداد، ص١٢٨، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١، ص٩٩، الحاج، حضارة العرب، ص ٢٠٧، الزركاني "الأسواق في بغداد" ص١٢٥، الكبيسي "أصلة أنظمة، الأسواق" ص٨٦.

وتسهيلاً لعملية الإشراف والرقابة على الأسواق وتنظيم عمل المحتسب خُصصّت لكل سوق سلعة خاصة به، وتعرف به صناعة معينة أيضاً، كما كانت مساعدة التجار والصناع بعضهم بعضاً، خاصة في أوقات الأزمات سواء أكانت أزمات مالية أو غير مالية، قد أدت إلى إيجاد ذلك التخصص الحرفي الدقيق فيها[1]، كما أن ذلك التخصص يساعد على تسهيل عملية الشراء "فإن ذلك لقاصدهم أرفق ولصنائعهم أنفق"[2].

ونتيجة لهذا التخصص في أسواق بغداد ظهر ما يسمى بالتنظيمات الحرفية التي تدل على التعاون بين أصحاب الحرفة الواحدة، وهي أشبه ما تكون بالنقابات في وقتنا الحاضر، وكانت هذه التنظيمات تخضع لقوانين معينة، وسلم في الرتب، فهناك الشيخ، كشيخ النحاسين، وشيخ البزازين وغيرهما[3]، وكان هؤلاء يستشارون في الصناعة، كما وجدت رتب الأستاذ والخليفة، وكان الخليفة كالنائب في حال غياب الأستاذ الذي كان بمثابة الرئيس[4]، وهناك رتبة العريف أيضاً، فالإمام أبو حنيفة النعمان (ت ١٥٠هـ/ ٧٦٧م) ضرب وسجن لرفضه أن يكون عريفاً على الحاكة، وتوفي في السجن[5].

ويدل التخصص الحرفي، وتلك التنظيمات الحرفية في أسواق بغداد على مدى التنظيم والتطور الذي وصلت إليه تلك المؤسسة الاقتصادية الهامة في العصر العباسي.

أما أشهر الأسواق في بغداد في تلك الفترة فكانت :

---

(1) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م)، رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٦٥م، مج٢، ص٢٠٠-٢٠١، الشيخلي، الأصناف، ص٧٦.

(2) الشيرزي، نهاية الرتبة، ص١١، الزركاني "الأسواق في بغداد" ص١٣٠.

(3) التنوخي، أبو علي المحسن بن علي (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م)، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجي، بيروت، دار صادر، ١٩٧١م، مج١، ص٦٦، الدوري، عبد العزيز، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨٧م، ط٥، ص٦٨.

(4) الصابئ، أبو الحسن هلال بن المحسن (ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م)، الوزراء، تحقيق عبد الستار فراج، د.م، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٨م، ص١٧، الشيخلي، الأصناف، ص١١٢.

(5) مجهول، العيون والحدائق، مج٣، ص٣٦١.

١. سـوق الكرخ : الكرخ عبارة عن قرية قديمة، وسوقها أشهر سوق في مدينة بغداد (وبهـا اليسار ومساكن التجار) [١] أما مساحة سوق الكرخ، فطوله فرسخان، وعرضه فرسخ واحد[٢]، وفيه العديد من أصحاب الحرف والتجارة[٣] وقد وصف الجاحظ أسواق الكرخ بقوله :

وأمـلأ وأحلـىَ لعيَنيِي إنْ مررتُ به   مِن كَرْخ بغدادَ ذِي الرُمانِ والتّوثِ[٤]

"البسيط"

٢. سـوق الرصـافة: [٥]كـان سوق الرصافة سوقاً شهيراً، ووصف بأنه سوق جامع وعظيم[٦]، ويتم فيه بيع مختلف أنواع البضائع[٧].

٣. سوق الثلاثاء: هذا السوق قائم قبل بناء بغداد، وسمي بسوق الثلاثاء لأنه يباع فيه يـوم الـثلاثاء فقـط[٨]، ويقع في الجهة الشرقية من بغداد، ويبدو أن لهذا السوق قيمة اقتصـادية وتاريخية، وذلك كونه قائم قبل بناء بغداد، واستمر يقوم بوظيفته الاقتصادية بعد بنائها، ويدل هذا على أن موقعه موقع تجاري حيوي.

---

[١] الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم الفارسي الكرخي (ت ٣٤١هـ/٩٥٢م)، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال، الجمهورية العربية المتحدة، دار القلم، ١٩٦١م، ص٥٩.

[٢] اليعقوبي، البلدان، ص٣٦-٣٧، الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص١٣٣، الزركاني "الأسواق في بغداد" ص ١٢٥.

[٣] المدور، حضارة الإسلام، ص٢٥.

[٤] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م)، الحيوان، مصر، مكتبة مصطفى البابي، ١٩٦٥م، ط٤، مج٥، ص٣٨٦.

[٥] الرصـافة : مدينة بناها المهدي في بغداد في الجانب الشرقي سنة (١٥٩هـ/٧٧٦م) وعمل بها جامعاً أكبر من جامع بغداد، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٣، ص٤٦.

[٦] ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص٢٦، الخربوطلي، الحياة الاجتماعية، ص١٢٥.

[٧] اليعقوبي، البلدان، ص٤٨، الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص١٣٤.

[٨] اليعقوبـي، الـبلدان، ص٣٧، ابن الفقيه، بغداد، ص٥٨، الخطيب، غاية المرام، ص٣٠، الزيود، محمد، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للعالم العربي الإسلامي، دمشق، منشورات جامعة دمشق، ٢٠٠١م، ص٢١٨، زيادة، نقولا "الأسواق الإسلامية" المقتطف، مج١٠٣، ج١، ١٩٤٣، ص١٣٩.

٤. سوق دار البطيخ: كان سوق دار البطيخ آخر الأسواق التي نقلت إلى الكرخ زمن المهدي[١]، ويبدو أن هذا السوق يشغل مساحة واسعة قبل نقله إلى الكرخ، حيث يشغل درب الزيت ودرب العاج[٢]، ويتم فيه بيع مختلف أنواع الفاكهة[٣].

وقد استخدم بعض الشعراء مصطلح دار البطيخ في أشعارهم كالشاعر أبي الحسن بن لنكك[٤]، الذي قال شعراً يهجو فيه الهيذام كلاب بن حمزة[٥]، شاعر ديار ربيعة قائلاً فيه:

أنتَ ابنُ كلِّ البرايا لكن اقتصرَوا ... على اسمِ حمزةَ وصفاً غيرَ تشميخِ
كدارِ بطيخٍ تحوي كلَّ فاكهةٍ ... وما اسمها الدهرُ إلاّ دارَ بطيخِ[٦]

"البسيط"

وقال الشاعر علي بن الرومي في مدح أبا الصقر إسماعيل بن بلبل وزير المعتمد (٢٥٦هـ-٢٧٩هـ/٧٨٠م-٨٩٢م) ، وكان جوادا كريما:

أجَنَتْ لكَ الوَصلَ أغصانٌ وكُثبانٌ ... منهنّ نوعانِ : تُفاحٌ ورُمّانٌ
غُصُونُ بانٍ عليها الدّهرُ فاكهةٌ ... وما الفواكهُ مما يحمِلُ البانُ

"البسيط"

---

[١] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١، ص١٠٠، الكبيسي، أسواق بغداد، ص٩٠.

[٢] ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص١٤، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٤٧.

[٣] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج١٠، ص١١، كوك، بغداد، مج١، ص٤٧، الخطيب، غاية المرام، ص٢٤، سرور، تاريخ الحضارة، ص١٤٣.

[٤] أبو الحسن بن لنكك : الشاعر البصري، من شعراء البصرة، عاصر المتنبي، وكان أغلب شعره في هجاء شعراء عصره، ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم الأدباء، بيروت، دار المستشرق، ١٩٢٢م، مج١٩، ص٦.

[٥] كلاب بن حمزة : من أهل حران، كان معلماً وعالماً بالشعر، يمدح الوزراء كثيراً في أشعاره، الصفدي، الوافي بالوفيات، مج٢٤، ص٣٥٣.

[٦] الثعالبي، ثمار القلوب، مج٢، ص٧٤٩، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٤١٩.

وهذه القصيدة أطلق عليها الناس اسم "دار البطيخ" لكثرة ذكر الفاكهة فيها، حيث يسمى المكان الذي يتم فيه بيع الفاكهة "دار البطيخ"[1].

٥. سوق العطش: كان سوق العطش سوقاً واسعاً[2]، بناه صاحب شرطة المهدي سعيد الخرسي[3]، وقد أمره المهدي أن يسميه سوق الري، إلا أن التسمية التي غلبت عليه سوق العطش[4]، ويبدو أن ذلك جاء من باب السخرية من هذا السوق[5].

٦. سوق الوراقين: كان سوق الوراقين قائماً، وبخاصة في عهد الخليفة هارون الرشيد (١٧٠هـ-١٩٣هـ/٧٨٦م-٨٠٩م) وعهد الخليفة المأمون (١٩٨هـ-٢١٨هـ/ ٨١٣م-٨٣٣م) فيذكر أن أول من أدخل صناعة الورق إلى الدولة العباسية الخليفة هارون الرشيد[6]، أما الخليفة المأمون فترجم الكتب القديمة إلى اللغة العربية، وخاصة الكتب الطبية، كما اهتم بأسواق الوراقين، ونسخ الكتب على أيدي أشهر النّساخ[7].

وكان يتم في سوق الوراقين بيع وشراء ونسخ وتجليد الكتب[8]، وكان هذا السوق مكاناً لجلوس العلماء والشعراء[9]، وأحياناً تتم فيه المناظرات، وفي سنة (٢٧٩هـ/٨٩٢م) كان سوق الوراقين يشتمل على مئة حانوت ومكتبة لبيع وشراء

---

[1] ابن الطقطقا، الفخري في الآداب، ص٢٥٢-٢٥٣، زيادة "الأسواق الإسلامية" ص١٤١.

[2] اليعقوبي، البلدان، ص٤٦، ابن رستة، الأعلاق النفيسة، مج٧، ص٢٥٢، الخطيب، غاية المرام، ص٣٠.

[3] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١، ص١١٠، ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص٣٣، الخطيب، غاية المرام، ص٣٠.

[4] ابن الفقيه، بغداد، ص٥٦، اليعقوبي، البلدان، ص٤٦.

[5] المسري، تجارة العراق، ص٩٥.

[6] ابن خلدون، المقدمة، ص٣٥٣.

[7] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١٤، ص١٥٥، ابن الجوزي، المنتظم، مج١٠، ص١٧٨.

[8] ابن خلدون، المقدمة، ص٣٥٢، الخازن، الحضارة العباسية، ص٧٦.

[9] ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص٢٦، الخربوطلي، الحياة الاجتماعية، ص٢١٥.

الكتب تقريباً[1]، وكان سوق الحلاويين يحتوي مكتبة فيها قرابة اثنا عشر ألف مجلد[2].

٧. سوق خضير: كان سوقاً مختصاً بالتجار الصينيين، ويحتوي السلع والطرائف الصينية النادرة[3].

كما احتوى سلعاً ثمينة ونادرة مثل: فرو النمر والثعالب وعظام السمك وزيت كبد الحوت والسهام والعنبر والجلود ورقيق الصقالب، حتى وصف سوق خضير بأنه معدن طرائف الصين[4].

٨. سوق دار القطن: كان هذا السوق من أكثر أسواق بغداد تجارة وربحاً، فيذكر أن رجلاً جاء إلى مرو[5]، وشاهد كميات كبيرة من القطن، فأدهشته، فسأل عن البلاد التي تحمل إليها، فقالوا له : بغداد، فقال : كأن أهل بغداد يأكلون القطن أو يبنون به البيوت[6]، وهذه الرواية تدل على حاجة أهل بغداد إلى القطن، وفي الوقت نفسه تدل على حجم ورواج تجارة القطن في بغداد.

٩. سوق البزازين: يقع هذا السوق على نهر البزازين، ويتم فيه الاتجار بالبز (الثياب ومتاع البيت وقيل السلاح) ومعظم تجاره من خراسان، ويتم فيه بيع الخز والحرير والأقمشة[7].

---

(1) اليعقوبي، البلدان، ص٣٥، كمال الدين، جليل، بغداد مركز العلم والثقافة العالمية في القرون الوسطى، بغداد، د.ن، ١٩٨٥م، ط١، ص١٢٨.

(2) ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص٢٨، الخربوطلي، الحياة الاجتماعية، ص٤١.

(3) اليعقوبي، البلدان، ص٤٩، جواد، مصطفى وسوسة، أحمد، دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديماً وحديثاً، العراق، مطبعة المجمع العلمي الملكي، ١٩٨٥، ص١١٤.

(4) ابن رستة، الأعلاق النفيسة، مج٧، ص٢٥٣، ناجي "الكرخ والرصافة" ص٧٨.

(5) مرو : من أشهر مدن خراسان، وقصبة مدن خراسان، ولفظ مرو يعني الحجارة البيضاء، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٥، ص١١٢-١١٣.

(6) ابن الفقيه، بغداد، ص٧٥، سعد، العامة في بغداد، ص١٨٨.

(7) الخطيب، غاية المرام، ص٣١، سرور، تاريخ الحضارة، ص١٤٣.

١٠. سوق باب الشام:[1] يشتمل هذا السوق على جميع أنواع التجارات، ويوصف بأنه عامـر الشوارع والدروب[2]، وأغلب تجارة من: مرو وبلخ[3] وخوارزم[4] ونجارى[5]، وكان لكل أهل بلد في هذا السوق قائد ورئيس[6].

١١. سـوق باب الطاق :[7] سوق رئيسي في بغداد، يوصف بالسوق العظيم[8]، وتباع فيه مختلف أنواع السلع، وكان زمن الرشيد مكاناً يلتقي فيه العلماء والشعراء والأدباء، وأطلق عليه اسم مجلس الشعراء[9].

١٢. سوق يحيى: سوق يجمـع مختلف أنواع البضائع[10]، ويحتوي دكاكيـن الدقاقين (مـن الدقيق أي الطحين) والخبازين والحلاويين، وسمي بذلك نسبة إلى يحيى بن خالد البرمكي[11].

١٣. سوق الهيثم: اسمه بالفارسية (جهار سوق) وتعني الأسواق الأربعـة أو الجهات الأربع، وسوق الهيثـم ينسب إلى الهيثـم بن معاويـة[1]، وهناك العديد مـن الدروب والمنازل التي تنسب إليه[2].

---

(١) بـاب الشام : محلة كبيرة في بغداد، تقع في الجانب الغربي من بغداد، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج١، ص ٣٠٨.

(٢) اليعقوبـي، البلدان، ص٤٠، العلي، صالح، بغداد مدينة السلام، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٥م، مج١، ص٣٣٦.

(٣) بلخ: مدينة شهيرة في خراسان، تشتهر بكثرة غلالها، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج١، ص٤٧٩.

(٤) خوارزم : اسم ناحية وليس مدينة، وقصبتها الجرجانية، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٣٩٥.

(٥) بخـارة : أعظـم مدن مـا وراء النهر، وكانت قاعدة ملك الساسانية منذ القدم، وهـي واسعة البساتين، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج١، ص٣٥٣.

(٦) ابن رستة، الأعلاق النفيسة، مج٧، ص٢٤٨، العلي، بغداد، مج١، ص٣٣٦ المسري، تجارة العراق، ص٩٢.

(٧) بـاب الطاق : محلة كبيرة تقع في بغداد في الجانب الشرقي، وتسمى كذلك طاق أسماء، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج١، ص٣٠٨.

(٨) الأصطخري، المسالك والممالك، ص٥٩، القلقشندي، صبح الأعشى، مج٤، ص٣٣٠.

(٩) جواد وسوسه، دليل خارطة بغداد، ص١١٣.

(١٠) ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص٢٦، الكبيسي، أسواق بغداد، ص١٠٥، الخربوطلي، الحياة الاجتماعية، ص٤٠.

(١١) يحيى بن خالد البرمكي: وزير الرشيد، كان مقرباً منه كثيراً، وبعد أن نكب الرشيد البرامكة سجنه إلى أن مات في السجن سنة (١٩٠هـ/٨٠٥م) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مج٢٠، ص٥-٩.

١٤. سوق الصاغة أو سوق الذهب: كان لهذا السوق بناية شاهقة البناء، لا يوجد أفضل من بنائها في اسواق بغداد[٣]، وكان مخصصاً لبيع الذهب والصاغة، ويشتمل هذا السوق على خمسة عشر دكاناً يتم فيها بيع الذهب وأكثر العاملين في هذا السوق من الفرس[٤].

١٥. سوق العروس : سوق العروس مجمع الطرائف، ويختص هذا السوق بتجهيز العرائس وكان يضرب به المثل في الحسن والجمال، فيقال : "أحسن من سوق العروس"[٥]، ومَنْ يريد أن يصف شيئاً بالحسن والجمال يقول : كأنه سوق العروس، وكانت العادة الجارية باحتفال الناس بتجهيز العرائس بالطرائف والنفائس من هذا السوق[٦].

١٦. سوق الطيور : يقع هذا السوق في باب الطاق[٧]،ويقصد بالطيور هنا الحمام، حيث كانت لأهل بغداد رغبة كبيرة بتربية الحمام، ويتردد على هذا السوق أصحاب هذه الهواية، حيث يتم بيع وشراء الطيور في حوانيت ودكاكين الطيور في بغداد [٨].

١٧. سوق الرياحين: ويتم فيه بيع مختلف أنواع الرياحين والورود والزهور، كما وجد في بغداد سوق المسك[٩].

---

[١] الهيثم بن معاوية : من ولاة الدولة العباسية، خراساني الأصل، تولى الطائف ومكة، وولاه المنصور البصرة، ثم قدم إلى بغداد، وتوفي سنة (١٥٦هـ/٧٧٣م) اليعقوبي، البلدان، ص٣٩ ، الهامش، الزركلي، الأعلام، مج٩، ص١١٥.

[٢] اليعقوبي، البلدان، ص٣٩، العلي، بغداد، مج١، ص١٦٠.

[٣] ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص٢٦، الخربوطلي، الحياة الاجتماعية، ص٢١٥، الشيخلي، الأصناف، ص٧٩

[٤] المدور، حضارة الإسلام، ص٢٥.

[٥] الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (ت ٥١٨هـ/١١٢٤م)، مجمع الأمثال، تحقيق محمد عبد الحميد، بيروت، المطبعة العصرية، ١٩٩٢م، مج١، ص٢٢٨.

[٦] الثعالبي، ثمار القلوب، مج١، ص٤٨٩.

[٧] القزويني، آثار البلاد، ص٣١٥.

[٨] التنوخي، أبو علي المحسن بن علي (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م)، الفرج بعد الشدة، تحقيق عبود الشالجي، بيروت، دار صادر، ١٩٧٨م، ط١، مج٣، ص٩٩، المسري، تجارة العراق، ص٩٨.

[٩] الصابئ، الوزراء، ص٢٦٦.

١٨. سوق الجزارين: ويتم فيه بيع اللحوم، وهو ذاته سوق القصابين الذي قال عنه المنصور : اجعلوا القصابين في آخر الأسواق فإنهم سفهاء بأيديهم الحديد القاطع[1].

١٩. سوق السلاح : وهو من أوائل أسواق بغداد التي تم بناؤها، وتباع فيه الأسلحة والسيوف[2].

٢٠. سوق الجواري: ويتم فيه بيع الجواري والمغنيات[3]، كما وجدت دار الرقيق لبيعهم في مختلف الآفاق[4].

٢١. سوق العتابية : ويتم فيه حياكة الثياب العتابية، التي تحاك من القطن والحرير[5].

٢٢. سوق العطارين: ويضم الصيادلة وأصحاب الدهون، ويقع في الكرخ[6].

٢٣. سوق الدواب: وتباع فيه الحيوانات المختلفة كالخيل والجمل وغيرها[7].

---

[1] ابن الفقيه، بغداد، ص١٢٨، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١، ص٩٩، ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص١٣، الحاج، حضارة العرب، ص٢٠٧.

[2] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٩، ص٣٠٥، الخطيب، غاية المرام، ص٣٠.

[3] ابن كثير، البداية والنهاية، مج١١، ص١٨٣، طه، عبد الواحد "مجتمع بغداد، من خلال حكاية أبو القاسم البغدادي" المورد، بغداد، مج٣، ع٤، ١٩٧٤م، ص٢٢.

[4] اليعقوبي، البلدان، ص٤١، ٥٤، الصابئ، الوزراء، ص١٧٦.

[5] ابن جبير، محمد بن أحمد الأندلسي (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م)، رحلة ابن جبير، بيروت، دار الهلال، ١٩٨١م، ص ١٨٠، متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة، مكتبة الخانجي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧، ط٤، مج٢، ص٣٨٩.

[6] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج٨، ص١٦، متز، الحضارة الإسلامية، مج٢، ص٣٨٩.

[7] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٩، ص٤٥٢، الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت ٣٥٦هـ/٩٦٧م)، الأغاني، القاهرة، دار إحياء التراث، ١٩٦٣، مج٣، ص١٢٢، الكبيسي، أسواق بغداد، ص١٧٠.

٢٤. ســوق النحاسين : وقد عرف بصينية الكرخ، ويوصف بكثرة الإقبال عليه، ويتم فيه بيع مختلف أنواع الصناعات النحاسية، وقد وصفه ريسلر بصورة حية فقال : وكان سوق النحاسين يعج بطرقات المطارق[١].

٢٥. ســوق الأحد: وهذا السوق كسوق الثلاثاء، سوق أسبوعية، وذلك كونه يحمل اسم يوم محدد من أيام الأسبوع[٢].

٢٦. سوق الدادي : يتم فيه بيع الدواء، وأحياناً يتم فيه بيع الخمور سراً[٣].

٢٧. سوق الدجاج: يقع على نهر الدجاج، ويتم فيه بيع الدجاج[٤].

٢٨. سوق باب المحول: سوق شهير وكبير، يحتوي مختلف أنواع الصناعات[٥].

٢٩. ســوق التمار يــن: كــان هذا السوق سوقاً رائجاً، فيذكر الصولي أن هذا السوق فرصت عليه الضرائب[٦].

٣٠. ســوق باعــة الإشنان: (مسحوق النخالة، يستعمل كمادة للغسل) ويتم تخصيص سوق معينة في بغداد لبيع مثل تلك المادة، ويدعى سوق باعة الاشنان[٧].

---

[١] ريسلر، جــاك، الحضارة العربية، تعريف خليل أحمــد، بيروت، منشورات عويــدات، ١٩٩٣م، ط١، ص١٤٩

[٢] سعد، العامة في بغداد، ص٢٥٣.

[٣] ابــن الأخــوة، محمد بن أحمد القرشي (ت ٧٢٩هـ/١٣٢٧م)، المغبة والرغبة في معرفة أحكام الحسبة، نسخة مايكروفيلم في مركز الوثائق والمخطوطات بجامعة اليرموك، ص١٧، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م، ط١، ص٣١٣، المسري، تجارة العراق، ص١٣٦، سعيد، ميرفت، الحسبة في المشرق الإسلامي حتى القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١٩٧٧م، ص٧٦.

[٤] اليعقوبي، البلدان، ص٣٦، ٤٣، الكبيسي، أسواق بغداد، ص١٦٨.

[٥] ابن رستة، الأعلاق النفيسة، مج٧، ص٢٤٤.

[٦] الصــولي، محمد بن يحيى بن عبد الله (ت ٣٣٥هـ/٩٤٦م)، أخبار الراضي بالله والمتقي بالله، نشر ج، هيودن. ون، بيروت، دار المسيرة، ١٩٧٩م، ط٢، ص٢٢٩.

[٧] ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص١٨، ابن الجوزي، المنتظم، مج٨، ص٨١، الخطيب، غاية المرام، ص٢٧.

٣١. سوق الصباغين : يتم في هذا السوق صباغة الخيوط والمنسوجات، حين يستخدم الصباغون في ذلك اللك (نبات يصبغ به وبعصارته) والفوه (عروق، يصبغ ويداوي بها ويطلق عليها اسم عروق الصباغين).

كمـا وجـدت في بغداد أسواق كثيرة ومتعددة أشهرها : سوق الشتاء[1]، سوق الدايـة[2]، ودرب الزعفـران وتباع فيه البز والعطور[3]، وكان يسكنه التجار وأرباب الأمـوال[4]، وسـوق الخياطيـن[5]، وسوق الطعام[6]، وسوق الخميس[7]، وسوق باعة الشوك[8] وغيرها، وللتعرف على مواقع بعض هذه الأسواق، انظر الملحق رقم (٤).

إضافة إلى هذه الأسواق، المتعددة التـي وجدت في داخـل بغداد، كان في كل ناحـية ومحلة سوق جامعة تجمع التجارات، كما وجـد الباعة المتجولون (الطوافون) الذيـن يطوفـون الشـوارع ويبيعون البضائع المتعددة والمختلفة، وكان هؤلاء الباعة المتجولون تحت رقابة الدولة[9].

والمتتـبع لهـذه الخطط في أسواق بغداد، يلاحظ أن هناك أسواقاً تحمل أسماء مـتعددة، بعضـها يحمـل أسماء أماكن، وبعضها يحمل اسم السلعة المعروضة للبيع، وبعضها يحمل أسماء أشخاص بارزين في الدولة، أو أسماء أيام، الأمر الذي يدل على وجود نوعين من الأسواق : المؤقتة أو الأسبوعية والدائمة.

---

(١) القرطبي، عريب بن سعد (ت ٣٦٦هـ/٩٧٦م)، صلة تاريخ الطبري، ليدن، مطبعة بريل، ١٨٩٧م، ص١١٠.

(٢) ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص٢٧.

(٣) ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص٢٨، الخربوطلي، الحياة الاجتماعية، ص٤١.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٤٤٨.

(٥) التنوخي، نشوار المحاضرة، مج١، ص٦٦.

(٦) الصابئ، الوزراء، ص ٢٣٦، ٢٤٣.

(٧) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٩، ص٥٥٦، ٥٦٤.

(٨) ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص١٨.

(٩) التنوخي، نشوار المحاضرة، مج١، ص٢٣٦-٢٣٧، ابن الجوزي، المنتظم، مج١٢، ص١٣٦.

نلاحظ من العرض السابق لأسواق بغداد أن سوق الكرخ تم بناؤه بعد بناء بغداد، وازداد اتساعاً زمن المهدي عندما ضم إليه سوق دار البطيخ، ثم توسع بعد ذلك النشاط التجاري والاقتصادي في أسواق بغداد، وظهر ما يسمى الباعة الطوافون.

أما عن السلع التي كانت تتم المتاجرة بها في أسواق بغداد فهي كثيرة ومتعددة، ومن الصعب حصرها، وكان لهذه السلع مصدران أساسيان : الأول، السلع القادمة من مناطق العراق المختلفة إلى بغداد مثل الكوفة التي تستورد منها العديد من السلع وخاصة الحبوب[١] وكذلك البصرة وخاصة التمور[٢]، ومن واسط الفرش والبسط والأرز[٣].

أما المصدر الثاني للسلع، فكانت السلع القادمة من خارج العراق إلى بغداد، وهي كثيرة ومتنوعة أيضاً وخاصة من الصين والهند، فيأتي من الصين الفضة والعقاقير والكاغد (الورق) والديباج والمسك[٤]، ومن الهند تصل العديد من السلع كذلك، وبخاصة الأحجار الكريمة والياقوت وجوز الهند والبخور والفيلة والعنبر والعود وغيرها من السلع المتعددة[٥].

كما تصل إلى بغداد العديد من السلع من الجزيرة العربية، وبخاصة الإبل والخيل والنعام ومساحيق الغسيل والأحذية والنعال والقنا والرماح وغير ذلك[٦]، ومن الشام الزيت والتفاح والسكر والدقيق[٧]، ومن اليمن الإسكندر (نوع من العلك)

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٨، ص٣٨١.

(٢) اليعقوبي، البلدان، ص٤٤، ابن رستة، الأعلاق النفيسة، مج٧، ص٢٥١، المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٢٤.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١، ص١١٨.

(٤) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م)، التبصير بالتجارة في وصف ما يستطرف في البلدان من الأمتعة الرقيقة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٤م، ط٣، ص٢٦.

(٥) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص٢٥-٢٦، ابن الفقيه، البلدان، ص١٥١، مجهول (ت ٣٧٢هـ/٩٨٤م)، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق يوسف الهادي، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، ١٩٩٩م، ط١، ص٥٣، الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص١٤٠ الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي، ص٦٩.

(٦) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص٢٧، الكبيسي، أسواق بغداد، ص١٧٨.

(٧) اليعقوبي، البلدان، ص٤٤، المسري، تجارة العراق، ص٢٠٥-٢٠٦.

والجوامـــيس والعنبر والثياب والورس (نبات يشبه السمسم يستخدم كعلاج) وغيرها من السلع[1].

ويستورد من أفريقيا: العقاقير والرقيق والعاج والعنبر والتوابل والبخور والفرو والسيوف[2] ومـــن مصـــر الأقمشـــة الصوفيـــة والمنسوجات القطنيـــة والحيوانـــات والقراطـــيس[3] (القـــرطاس بكســـر القـــاف وضمها كل ما يكتب فيه)، ومن المغرب والأندلس : البخور والزئبق والحديد والرصاص والحرير والديباج والكتان[4] وغيرها. بالإضافة إلى العقاقير والنحاس والأقمشة والجواري[5].

ويجلـــب مـــن بـــلاد ما وراء النهر[6] إلى بغداد: المنسوجات والرقيق والأسلحة والسيوف والكاغد[7].

ومن بلاد الروم[8]: العقاقير والذهب والفضة والأرز والأحجار الكريمة والبسط، والنسيج وغيرها من السلع[9]، ومن أرمينية[1]: الصوف والفرش والملح والجياد والكتان

---

(1) الجـــاحظ، التبصـــر بالـــتجارة، ص٢٧، ابـــن الفقيه، البلدان، ص٣٦، مجهول، حدود العالم، ص١٢٤-١٢٥، المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٠٨.

(2) ابن الفقيه، البلدان، ص٢٥٢، الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص١٤١.

(3) الجـــاحظ، التبصـــر بالتجارة، ص٢٧، ابن الفقيه، البلدان، ص٢٥٢، مجهول، حدود العالم، ص١٣٢، المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٨٥ – ١٨٦.

(4) المقدســـي، أحســـن التقاســـيم، ص٢٠٧، ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت ق ٤هـ/١٠م)، صورة الأرض، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ١٩٩٠م، ص١٠٩.

(5) ابـــن الفقيه، البلدان، ص٢٥٢، ابن حوقل، صورة الأرض، ص٩٤-٩٥، الدوري، تاريـــخ العراق الاقتصادي، ص١٤١.

(6) بلاد ما وراء النهر: بلاد ما وراء نهر جيحون في خراسان، وهو إقليم واسع وخصب يمتاز بكثرة المياه والسلع والعمارة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٥، ص٤٥-٤٦.

(7) الجـــاحظ، التبصر بالتجارة، ص٢٨-٢٩، مجهول، حدود العالم، ص٨٤، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٥، ص٤٦، الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي، ص٦٩.

(8) بـــلاد الـــروم: بـــلاد واسعة حدودها من الترك والروس شمالاً وشرقاً، والشام والإسكندرية جنوباً وغرباً البحر والأندلس، وهي أربعة وعشرون عملاً، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٣، ص٩٧-٩٩.

(9) ابن الفقيه، البلدان، ص٢٥٢، مجهول، حدود العالم، ص١٣٦-١٣٧.

والكـتان والصوف والإبرسيم[2] (نوع من الحرير)، والثياب والأسماك والشمع والعسل وغـيرها مـن السـلع[3]، أما من خراسان فيجلب: الذهب والفضة والجواهر والثياب الصوفية والقطنية وغيرها[4].

ويعطيـنا هـذا الحديث عن أسواق بغداد في العصر العباسي صورة وإن كانت تقريبـية عن النشاط الاقتصادي في بغداد، كما وإن الحديث عن السلع المتاجر بها في أسـواقها المـتعددة المصـادر، يبيـن لـنا حجم التبادل التجاري والعلاقات التجارية والاقتصـادية ما بين بغداد ومناطق العالم الأخرى، كما يبين ازدهار الأسواق، وخاصة أسـواق الكـرخ التي أصبحت السوق العظمى في بغداد، ولا تزال بغداد إلى يومنا هذا مركزاً تجارياً مهماً بفضل الموقع التجاري لها، فكانت مركزاً لملتقى الطرق التجارية، حيث توجد فيها شبكة من الطرق البرية والنهرية، فيخرج من بغداد الطريق إلى إيران ثـم إلـى أواسـط آسـيا ويسمى (الطريق الشرقي) أما (الطريق الشمالي) فيؤدي إلى الموصـل والجزيرة، ويربط (الطريق الغربي) بغداد ببلاد الشام ثم مصر، أما (الطريق الجنوبي) فيبدأ من بغداد إلى واسط ثم البصرة[5].

وكانـت الطرق النهرية في بغداد أكثر نشاطاً من الطرق البرية، لوجود نهري : دجلـة والفـرات، حيث شكلا الطريق الرئيسي ما بين بغداد وبعض المناطق الأخرى كالموصل فكان نهر دجلة طريقاً رئيسياً بينها وبين بغداد[6]، أما نهر الفرات فكان يؤدي إلى عدة مناطق، داخل العراق وخارجها[7].

---

(1) أرمينية : إقليم عظيم واسع، يقع في جهة الشمال، وسميت بذلك نسبة إلى أرمينيا بن يافث بن نوح، وهو أول من سكنها، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج١، ص١٦٠.

(2) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص٣١.

(3) مجهول، حدود العالم، ص١١٩، الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي، ص٦٩.

(4) مجهول، حدود العالم، ص٧١.

(5) ابن رستة، الأعلاق النفيسة، مج٧، ص١٨٥-١٨٧، الكبيسي، أسواق بغداد، ص١٨٢.

(6) الصولي، أخبار الراضي بالله، ص١٢٢.

(7) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٨، ص٣٣٨، الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص١٤٣.

كما تحسن الإشارة إلى أنواع التجار الذين وجدوا في تلك الفترة وساهموا بدور كبـير في تنشيط التجارة، وتسهيل عملية التبادل التجاري، سواء أكان بين بغداد وباقي مدن العراق، أو بين بغداد وخارج العراق، فقد وجد هناك ثلاثة أنواع من التجار:

١. <u>الـتاجر الخزّان:</u> يقوم هذا بشراء البضائع المختلفة وخزنها إلى وقت قلتها أو عدم توافـرها، وبالتالـي ارتفـاع أسعارها، ويشترط أن يكون هذا التاجر على إطلاع تام بالبضـائع وأنواعهـا وأسعارها، واختلاف هذه الأسعار من منطقة إلى أخرى، ومدى توفر الأمن في طرق نقل هذه البضائع[١].

٢. <u>الـتاجـر الركّاض:</u> يتنقل هذا التاجـر بين البلدان للاطلاع علـى أسعار البضائع واخـتلافها مـن منطقة إلى أخرى، مع مراعاة نفقات وصول تلك البضائع من بلد إلى آخـر، وقـد يسـتعين هـذا الـتاجر بالوكلاء الموجودين في كل منطقة من المناطق التجارية[٢].

٣. <u>الـتاجر المجهّز:</u> يكون هذا التاجر علـى اتصال مستمر بالوكلاء الموجودين فـي المـناطق التجارية، حيث يقوم هؤلاء الوكلاء بشراء البضائع والسلع المختلفة وإرسالها إليه[٣].

وبالإضافة إلى أنـواع التجّار السالفة الذكر، وجد هناك السماسرة أو الوسطاء، الذين يقومون بترويج عمليات البيع والشراء والوساطة ما بين التجار[٤].

---

(١) الدمشـقي، أبو الفضل جعفر بن علي (ت ق ٦هـ/١٢م)، الإشارة إلى محاسن التجارة وغشوش المدلسين فيها، تعليق محمد الأرناؤوط، بيروت، دار صادر، ١٩٩٩م، ص٦٣-٦٦.

(٢) الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، ص٦٦-٦٧، الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص١٢٥.

(٣) التنوخـي، نشـوار المحاضـرة، مج٢، ص١٦١-١٦٢، الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، ص٦٧-٦٨، الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص١٢٦.

(٤) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص١٢٦.

خامساً: الإشراف على الأسواق:

أولاً : المحتسب[1] :-

قال تعالى : "وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان"[2]. وقال تعالى : "وأوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم"[3]. وقد أكد القرآن الكريم على ضرورة التقيد بالموازين والمكاييل، وقد اهتم الرسول – صلى الله عليه وسلم – كثيراً بأمر الأسواق، فعندما مر بصبرة من الطعام وأدخل يده فيها فنالتها بلل قال : ما هذا يا صاحب الطعام.. من غش فليس منا[4].

وسار الخلفاء الراشدون على سنة الرسول – صلى الله عليه وسلم – حيث كانوا يباشرون بأنفسهم مراقبة الأسواق، فكان عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يتفقد

---

[1] الحسبة: بالكسر اسم من الاحتساب، والاحتساب الأجر، وتعني الحسبة الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله، واحتسبت فيه احتساباً أي طلبت الأجر، ابن منظور، لسان العرب، مج١، ص٣١٤-٣١٧.

[2] القرآن الكريم، سورة الرحمن، آية ٩.

[3] القرآن الكريم، سورة الشعراء، آية ١٨١-١٨٢.

[4] مسلم، الإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ/٨٧٥م)، بيروت،دار ابن حزم،١٩٩٥م، ط١ ، مج١، ص٩٤.

وهـذه الـرواية تظهر أن منصب الحسبة في العصر العباسي كان مدار تنافس بين رجالات الدولة، وهذا التنافس يؤكد أهمية هذا المنصب، كما تظهر هذه الرواية أن الحسبة لا يتولاها إلا أشخاص من ذوي العدل والكفاءة.

ولـم يكـن الـوزراء في بغداد في العصر العباسي أقل اهتماما وتشددا في أمر الحسـبة من الخلفاء أنفسهم، فعندما كتب رجل إلى الحسن بن الفرات[1] يسأله أو يطلب مـنه عمـلاً وقّـع لـه ابن الفرات بخطه قائلاً: "وصلت رقعتك -جعلني الله فداك- والأعمـال كثيرة، غير أنك تكره القضاء، والعمالة فلا تدخل فيها، والحسبة فلا تصلح لك"[2].

كمـا كان الوزير علي بن عيسى[3] متشددا في أمور الأسواق أيضا، وكان يحث المحتسـب علـى ملازمة الأسواق والدكاكين، ومراقبة الموازين، وكان يقول لمحتسب كثـير الجلوس في بيته: "والحسبة فلا تحتمل الحجبة، فطف الأسواق تحل لك الأرزاق، والله لأن لزمت دارك نهارا لأضرمنها عليك نارا"[4].

وممـا يـدل علـى كفاءة الدولة في السيطرة على أمور الأسواق في بغداد في العصـر العباسي إنها تجاوزت أمور الأوزان والمكاييل وغيرها إلى أمور أكثر أهمية ودقة من ذلك سواء أكانت أمورا اقتصادية أو سياسية أو دينية أو غيرها.

ومـن ذلك ما حدث سنة (٢٧٩هـ/٨٩٢م) عندما منع الخليفة المعتضد بالله بيع كتـب الكـلام والجدل والفلسفة، التي كان الوراقون يقومون ببيعها في الأسواق، ومنع أيضـا أن يجلس في الطرقات والأسواق صاحب نجوم أو زاجر (الزجر: العيافة، وهو

---

(١) الحسـن بن الفرات علي بن محمـد بن موسى: ساعد المقتدر في تولي الخلافة، وتولـى ديوان السواد زمـن المعتضـد، والوزارة زمـن المقتـدر ثلاث مـرات، وسجـن ثلاث مـرات إلـى أن توفـي فـي سنـة (٣١٢هـ/٩٢٥م) ابن خلكان، وفيات الأعيان،مج٣،ص٤٢١ – ٤٢٨، الزركلي،الأعلام،مج٥، ص١٤١ – ١٤٢

(٢) الصابئ، الوزراء، ص٢٨١ – ٢٨٢.

(٣) علي بن عيسى بن داؤد بن الجراح: ولد سنة (٢٤٥هـ/٨٥٩م) كان وزيراً للمقتدر والقاهر، عزله المقتدر سنـة (٣٠٤هـ/٩١٧م) وحبسه، ثم أعاده إلى الوزارة، وحبسه، وتوفي في سنة (٣٣٤هـ/٩٤٦م) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١٢، ص١٤ – ١٧، الزركلي، الأعلام، مج٥، ص١٣٣.

(٤) ابن الأخوة، المغبة والرغبة، ص٩٣، ابن الأخوة، معالم القربة، ص٢٢٧.

ضرب من التكهن) وغيره[1]، ومنع القصاص في سنة (٢٨٤هـ/٨٩٧م) من القعود في الطرقات والشوارع، وقرئت الكتب بذلك في محال وأسواق بغداد[2]، واستطاعت الدولة أن تمنع تداول الكتب غير المرغوب فيها في أسواق بغداد، كما حدث سنة (٣٠٩هـ/٩٣١م) من منع مداولة كتب الحسين بن الحلاج[3]، وبيعها وشرائها في أسواق الوراقين[4]، واستطاعت الدولة أن تمنع التعامل بالربا في أسواق بغداد[5].

لقد كانت نفقات الدولة على جهاز الحسبة كبيرةً جداً، بحيث قدرت بحوالي أربعمائة وثلاثين ألفا وأربعمائة وتسعة وثلاثين دينار[6]، وأصبح المحتسب يتقاضى راتبا شهريا مقداره مائتا دينار تقريبا[7]، وهذا يدل على عظم مسؤولية جهاز الحسبة والمشرفين على الأسواق.

ومن خلال العرض السابق للإشراف على الأسواق، نستطيع القول بأن نفوذ المحتسب كان واسعا في تلك الفترة، حتى إنه كان يقوم بحركات التمرد، كما حدث سنة (١٥٧هـ/٧٧٣م) عندما قام يحيى بن زكريا محتسب بغداد بالثورة على المنصور مع أتباع محمد بن عبد الله "النفس الزكية" ومشاركة أهل السوق.

كما نلاحظ أن الإشراف على الأسواق في بغداد في العصر العباسي لم يكن مقتصرا على جهة واحدة كالمحتسب مثلاً، بل كان الخلفاء والوزراء يتولون بأنفسهم

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج١٠، ص٢٨، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٧، ص٤٥٣. ابن الجوزي، المنتظم، مج١٢، ص٣٠٥، ابن كثير، البداية والنهاية، مج١١، ص٦٩، حتاملة، عبد الكريم، البنية الإدارية للدولة العباسية في القرن الثالث الهجري، عمان، د.ن، ١٩٨٥م، ط١، ص١٦٨، حتاملة، عبد الكريم، المعتمد في خلافة المعتضد بالله العباسي، عمان ، جمعية عمان للمطابع التعاونية، ١٩٨٤م، ط١، ص٩١، معروف، ناجي والدوري، عبد العزيز، موجز تاريخ الحضارة العربية، بغداد، وزارة المعارف، ١٩٥٢م، ط٣، ص١٥٦.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج١٠، ص٥٤، ابن الجوزي، المنتظم، مج١٢، ص٣٧٢.

(3) الحسين بن منصور الحلاج: من كبار الفلاسفة، ظهر أمره في بغداد سنة (٢٩٩هـ/٩١٢م) وكان يظهر مذهب الشيعة للملوك العباسيين، ومذهب الصوفية للعامة إلى أن قبض عليه وسجن إلى أن مات، الصفدي، الوافي بالوفيات، مج١٣، ص٧٠-٧١، الزركلي، الإعلام، مج٢، ص٢٨٥

(4) عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ص٩٦، ابن كثير، البداية والنهاية، مج١١، ص١٥٣

(5) الصولي، أخبار الراضي بالله، ص٢٣٤، الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٧٤

(6) ابن الجوزي، المنتظم، مج١٣، ص٦٤.

(7) مسكوية، تجارب الأمم، مج١، ص٢١٧

الإشراف عليها وعلى ما يدور فيها. ونلاحظ كذلك أن الإشراف عليها، لم يكن مقتصرا علـــى الناحـــية الاقتصادية من مكاييل وموازين وغيرهما، بل تجاوز ذلك إلى مختلف الميادين: السياسية والاجتماعية والأخلاقية والأدبية.

ثانيا: أعوان المحتسب:

بعــد ازدهار التجارة في بغداد، وعظم مسؤوليات المحتسب، اتخذ الأعوان والغلمان والمتطوعين الذين يطوفون الأسواق[1]، وكان يشترط في هؤلاء الأعوان والغلمان العفة والهمة والورع[2]، وقد يستعين بالشرطة[3]ليصبح العمل أكثر رهبة وضبطا[4].

كمــا عيــن المحتسب على أهل كل صنعة عريفاً منهم[5]، من صالح أهلها، خبــيرا بصــناعتهم، مشــهورا بالثقــة[6]، وكان هؤلاء الأعوان والغلمان يوافون المحتسـب بالأسـعار والأخـبار، حتى في كثير من الأحيان يرجع المحتسب إلى العريف ليسأله عن المهنة ومدى إتقانها، كونه خبيرا بالصناعة[7].

وكــان مــن واجبات العريف، الإشراف على السلع والبضائع الواردة إلى الأســواق والصادرة عنها، حيث يوجد على كل سوق عريف أو عامل، مثل عامل ســوق البطــيخ، عامل سوق القطن، عامل سوق الغنم، عامل سوق المسك[8]، كما كــان المحتسب يتخذ العيون وينقلون إليه الأخبار من الأسواق[9]، وكان المحتسب يــتولى سلطات واسعة في الإشراف على الأسواق، فالمحتسب المنظم الأول للحياة الاقتصــادية والتجارية في الأسواق، فكان ملازما للأسواق باستمرار يتجول فيها لــيلاً ونهــاراً[10]، وكانــت لـــه دكة يجلس عليها، ويراقب من خلالها الدكاكين

---

[1] الحنبلــي الفراء، محمد بن الحسن (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٧م)، الأحكام السلطانية، تعليق محمد الفقي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م، ص٢٨٤، ابن الأخوة، معالم القربة، ص٢٢٨.

[2] الشيرزي، نهاية الرتبة، ص١٠، حتاملة، البنية الإدارية، ص١٧٢.

[3] الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٨، ماجد، العصر العباسي الأول، مج١، ص١٢١

[4] مسكويه، تجارب الأمم، مج١، ص٢٠٩.

[5] العريف: النقيب،وهو دون الرئيس، والجمع عرفاء، الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ/١٠٠٢م)، الصحاح، تحقيق أحمد عطّار، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٤م، ط٣، مج٤، ص١٤٠٢.

[6] الجاحظ، الحيوان، مج٣، ص١٣

[7] الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٦٥.

[8] الصابئ، الوزراء، ص٢٢٦، سعد، العامة في بغداد، ص٢٦٣

[9] الشــيرزي، نهاية الرتبة، ص١٠، السامرائي، حسام الدين، المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية، د.م، دار الفكر العربي، ١٩٨٣م، ص٣١٧.

[10] ابن الأخوة، معالم القربة، ص٢٢٧.

والطـرقات، ويمـنع المضـايقة فـي الطرقات[1]، والتلاعب بالـدراهم والدنانير والمسكوكات[2]، وابتزاز الأموال[3].

حتى أن طريقة بناء الأسواق والحوانيت تخضع لرقابة المحتسب، حيث لها مخطـط معيـن لا يسـتطيع أحد الخروج عليه، لأن في ذلك تضييق على المارة، فيعمل المحتسب على منع ذلك[4]، كما يشترط أن تكون الأسواق واسعة ومرتفعة، وأن يترك أصحاب السوق للمشاة ممرات خاصة بهم[5].

أمـا فيما يتعلق بالأسعار، فلم يكن من صلاحيات المحتسب تسعير البضائع فـي الأسـواق، وذلك اقتداءً بالرسول – صلى الله عليه وسلم – الذي كان يرفض تسعير المواد الغذائية والسلع[6].

وقد تلجأ السلطة إلى تسعير بعض المواد في حالات الاضطرابات والشغب التـي تحدث نتيجة ارتفاع الأسعار والغلاء، حيث تقوم باتخاذ إجراءاتها من أجل إصـلاح الأسـعار، كمـا هـي الحال في سنة (٣٠٨هـ/٩٢١م) عندما ارتفعت الأسـعار، وأمـر المقـتدر بفتح الأسواق والدكاكين، وبيع الحنطة بنقصان خمسة دنانير في الكر[7] للقمح، وخمسة دنانير في الكر للشعير، إلى أن ساد الهدوء، وعاد السعر إلى ما كان عليه[8].

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص١٨٨.

(2) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٣١٦.

(3) الحنبلي الفراء، الأحكام السلطانية، ص٢٩٩، المدور، حضارة الإسلام، ص١١٦ الحاج، حضارة العرب، ص٢١٠.

(4) ابن الأخوة، المغبة والرغبة، ص٣٩، ابن الأخوة، معالم القربة، ص٧٩.

(5) ابن الأخوة، المغبة والرغبة، ص٣٩، ابن الأخوة، معالم القربة، ص٧٩.

(6) الشيرزي، نهاية الرتبة، ص١٢، ابن الأخوة، معالم القربة، ص٦٦.

(7) الكر : مكيال بابلي الأصل، يساوي ٦٠٩,٣٧٥كغم قمح، هنتس، المكاييل والأوزان، ص٦٩.

(8) عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ص٨٤، مسكويه، تجارب الأمم، مج١، ص٧٥، ابن تغري بردي، الـنجوم الزاهرة، مج٣، ص٢٢٢، فوزي، فاروق عمر، الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية، بغداد، مكتبة المثنى، ١٩٧٧م، ط٢، ص١٣٩.

كمـــا توجّب على المحتسب مراقبة الاحتكار[1] ومنعه في الأسواق، فقد قال الرســـول – صلى الله عليه وسلم – :"من احتكر فهو خاطئ"[2] وقال : "ولا يحتكر إلا خاطئ"[3].

كما إن من واجبات المحتسب الإشراف على أصحاب المهن كافة ومراقبتهم ومـــنعهم من الغش، حيث وضع رجال الحسبة تعليماتهم وتوجيهاتهم إلى أصحاب المهـــن المختلفة، وهذه التوجيهات تشير إلى بعض تعاليم الدين الإسلامي الحنيف التي تحث على النظافة في كل شيء.

ومـــن أصـــحاب المهـــن الذيـــن يشـــرف المحتسب عليهم وعلى عملهم، "الخـــبازون" حيث يأمرهم برفع سقوف أفرانهم، وجعل لها فتحات ومداخن واسعة، ليســـهل خروج الدخان، حتى لا يتضرر منه الناس[4]، كما يلزم الخباز بأن يمسح الفرن من الداخل، وأن تكون الأوعية التي يستعملها في العجين نظيفة ومغطاة، ألاّ يعجن بقدميه... الخ[5].

كما يشرف على الحبوبيين والدقاقين، حيث يمنعهم من احتكار الغلة، وخلط جـــيدها برديئها، كما يشترط عليهم تجفيف الغلة قبل بيعها، لكي لا يثقل وزنها[6]، أما الجزارون والقصابون فيمنعهم من إخراج الذبائح عن أماكن حوانيتهم، حتى لا يتضـــرر بهـــا المارة، كما يأمرهم بعزل لحم الضأن عن لحم الماعز، وعدم غش اللحوم بأي شكل كان[7].

كمـــا يأمر الشوائين والرواسين وقلائي السمك بالنظافة، كما يأمر الطباخين بتغطـــية أوانيهم وحفظها من الذباب بعد غسلها بالماء والأشنان، ويمنعهم من طبخ

---

(1) الاحتكار : جمع الطعام والمواد وخزنها إلى وقت الغلاء، ابن منظور، لسان العرب، مج٤، ص٢٠٩.

(2) مسلم، صحيح مسلم، مج٣، ص٩٩٥.

(3) مسلم، صحيح مسلم، مج٣، ص٩٩٥.

(4) ابن الأخوة، معالم القربة، ص٩٥.

(5) الشيرزي، نهاية الرتبة ، ص٢٢، ابن الأخوة، معالم القربة، ص٩٥.

(6) ابن الأخوة، المغبة والرغبة، ص٤٤، ابن الأخوة، معالم القربة، ص٩٣.

(7) ابن الأخوة، المغبة والرغبة، ص٤٧، ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٠٥.

أنواع مختلفة من اللحم مع بعضها بعضاً[1]. ويلزم باعة الحلوى أن تكون مقاديرهم متساوية، وأن تكون الحلوى ناضجة جيداً، كما يمنع غش الحلوى بخلط أنواع متعددة مع بعضها بعضا[2].

وكان المحتسب يشرف على أرباب البضائع كافة، كالعطارين يمنعهم من غش العطر وخاصة أن أنواعه كثيرة ومتعددة[3]، ويجوز للمحتسب أن يفحص نوع العطر، وذلك بطرق كثيرة ومتعددة، كما يمنع السمانين من الغش في الوزن والكيل، وخلط البضاعة الجيدة بالرديئة، وألاّ يرشوا الماء على التمر لترطيبه وزيادة وزنه، ويلزمهم بحفظ البضائع في أوعية مغطاة واستعمال المذبة باستمرار لطرد الذباب، كما يتفقد موازينهم ومكاييلهم وحوانيتهم[4].

أما البزازون، فكانوا أكثر المهنيين غشاً، وكانت لديهم أساليب متعددة يستخدمونها في الغش والخداع، ومن أشهرها اللجوء إلى أنواع كثيرة من البيع، مثل بيع "النجش" ومعناه أن يزيد المرء في ثمن السلعة، وهو لا يرغب في شرائها، ولكن ليغري غيره في شرائها، وقد نهى الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن بيع النجش وقال : "الناجش آكل ربا وخائن، وهو خداع وباطل ولا يحل"[5]، ومنها "بيع المرء على بيع أخيه" كأن يشتري الشخص سلعة ما، ثم يلقاه رجل آخر ويقول له : ردها وأنا أبيعك خيراً منها بهذا الثمن، وقد نهى الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن هذا النوع من البيع[6].

ومن أساليبهم أيضاً بيع "الملامسة" وهو إذا لمس الشخص الثوب بيده ألزمه البائع شراءه دون أن ينظر إليه[7].

---

[1] الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٣٤، ابن الأخوة، معالم القربة، ص١١٤.

[2] الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٤٠، ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٢١.

[3] ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٢٩-١٣٣.

[4] الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٦٠.

[5] البخاري، الإمام عبد الله بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ/٨٧٠م)، صحيح البخاري، وضع فهارسه محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، بيروت، دار الأرقم، ١٩٩٥م، ص٤٤٤.

[6] مسلم، صحيح مسلم، مج٣، ص٩٣٣، الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٦١.

[7] البخاري، صحيح البخاري، ص٤٤٥، ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٤٠.

ومـــنها "المـــنابذة" كأن يقول البائع للمشتري : بعتك هذا الثوب الذي معي بالـــثوب الـــذي معك، وإذا دفع كل منهما ثوبه إلى الآخر تمت عملية البيع قبل أن يـــنظر إلـــى الثوب، ومنها أيضاً "بيع الحصاة" وهو أن يقول البائع : بعتك ما تقع عليه الحصاة من أرض أو ثوب، وقد نهى الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن هذا النوع من البيع[١].

وعلى المحتسب في هذه الحالات أن يستعين ببعض البزازين، ويكونون من أهـــل الأمانة والصلاح، وعارفين بجميع أحكام البيع، حتى يتمكنوا من ضبط أهل الخـــداع والتحايل على الناس، وأن يجد لهم مقاييس البيع، ويمنع الاتجار بالبز، إلاّ من عرف أحكام البيع، وعقود المعاملات، وما يحل منها وما يحرم[٢].

وقـــد اعـــتاد البزازون الاستعانة بالسماسرة، فيشترط المحتسب في هؤلاء السماسرة الأمانة، بحيث لا يزيدون في سعر السلعة، ولا يأخذ السمسار أجرته إلا مـــن البائع فقط، وعندما يتم البيع يكتب البزاز من جهته اسم السمسار، كما يشترط أن لا يكون السمسار شريكاً للبزاز[٣].

ويشـــرف المحتســـب على الحاكة، وجودة عملهم، وعلى الخياطين، الذين يلـــزمهم بجـــودة التفصـــيل وسعة التخاريص[٤]، واعتدال الأكمام، ويلزمهم بوزن القمـــاش قبل بيعه، كما يمنع الخياطين من مماطلة الناس، ولا يتكلفون للناس عملاً أكـــثر مـــن الأسبوع[٥]. وأن لا يخيطوا لأحد ثوباً ممزقاً، ولا القلانس من الخرق البالـــية، بـــل مـــن الجـــيدة وأن لا يقوون الخرق البالية بالنشأ، لأن في ذلك غش وخـــداع[٦]، أما القطانون فيمنعهم المحتسب من خلط القطن الجديد بالقديم، ويشترط علـــيهم تنظيفه مما يعلق به من الشوائب، وكذلك الحريريون، حيث يشترط عليهم تنظـــيفه جـــيداً، وعـــدم خلطه بالنشأ أو السمن أو الزيت، وكذلك الكتانون، حيث

---

(١) مسلم، صحيح مسلم، مج٣، ص٩٣٢، ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٤٠.

(٢) ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٤٠-١٤١.

(٣) الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٦٤، ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٤٣.

(٤) التخاريص: كلمة فارسية تعني بنيقة الثوب، البستاني، محيط المحيط، ص٦٨.

(٥) ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٤٥.

(٦) الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٦٧-٦٨.

يشــترط علــيهم عــدم خلط الكتان الرديء بالجيد، كما يشترط عليهم تنظيفه من الشوائب[1].

كمــا يتفقد المحتسب سوق الصيارفة، ويراقب طريقة تعاملهم، ومنعهم من الغــش ويراقب موازينهم وصنجهم[2]، ويمنعهم من التعامل بالربا، وكذلك الصاغة الذين يلجأون إلى طرق كثيرة في الغش، حيث يتشدد المحتسب معهم كثيرا[3]، كما منع المحتسب النحاسين من خلط النحاس بغيره من المواد، وكذلك الحدادون، الذين يمــنعون مــن بــيع الحديد على أساس إنه من الفولاذ، ولا يخلطون الحديد القديم بالحديد الجديد[4].

أما النخاسون، فيشترط المحتسب في السماسرة أن يكونوا ذوي عدل وعفة، لأنهم يتسلمون جواري الناس، ويطلب المحتسب من النخاسين عند استلامهم العبيد مــن أحد التجار أن يكتب في دفتره اسم ذلك التاجر لئلا يكون هذا المباع حراً أو مسروقاً[5]، كما يمنعهم من بيع الجارية أو المملوك المسلم لرجل ذمي، ويلزمه أن لا يفــرق بين الجارية وابنها قبل أن يبلغ عمره سبع سنين، وكذلك بائعو الدواب، حيث يمنعهم من بيع دابة حتى يعرف اسم البائع، ويكتب اسمه في دفتره لئلا يكون في الدابة مرض أو تكون مسروقة[6].

ويشــرف علــى التبانين وأصحاب المعاصر والدباغين واللبانين والبقالين وغــيرهم، أي أن المحتســب يشــرف علــى جميع أصحاب المهن والحرف في الأسواق.

---

(1) ابن الأخوة، المغبة والرغبة، ص٦٤، ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٥٢.

(2) الصنجة: كلمة فارسية تعني الميزان، البستاني، محيط المحيط، ص٥٢٠.

(3) ابن الأخوة، المغبة والرغبة، ص٦٥، الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٧٧.

(4) ابن الأخوة، المغبة والرغبة، ص٦٦، الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٧٩. ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٥٨

(5) ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٦٤.

(6) ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٦٥.

وكانت للمحتسب أدوات خاصة يستعملها في عقاب المخالفين والمدلسين، وتوضع هذه الأدوات على دكته، ليراها الناس، وتوقع في قلوب المفسدين الرعب، ويزجر بها أهل التدليس[1]، وتشتمل هذه الأدوات على:

١. **السوط** : يجب أن يكون متوسطاً، لا بالغليظ ولا بالرقيق اللين، بل يكون وسطاً بحيث لا يؤلم الجسم، ويكون من الجلد[2].

٢. **الدّرة** : تتخذ من جلد البقر أو جلد الجمل، وتحشى بنوى التمر، وتستخدم كسوط يضرب به[3].

٣. **الطرطور** : ويكون هذا من اللبد المنفوش بالخرق البالية، مكللاً بالودع والأجراس وأذناب الثعالب[4].

أما أساليب العقاب التي يلجأ إليها المحتسب مع المخالفين، فكانت متعددة أهمها التعزير[5] وقد يكون هذا بالقول، ومنها التوبيخ[6]، والضرب بالسياط دون أن يبلغ أدنى الحدود، ومنها الضرب بالدرة، والتشهير بالمخالفين في الأسواق، كما وقد يستخدم المحتسب عقاب النفي أيضاً[7].

سادساً: المؤثرات في الأسواق:

كانت أسواق بغداد غاية في التنظيم، ومزدهرة اقتصادياً، إلا أن تلك الأسواق كثيراً ما تتعرض إلى العديد من الحوادث والمؤثرات مثل : الاضطرابات والفتن والحرائق وغيرها، وبعضها عائد إلى العامل الطبيعي، مثل الغرق، كما

---

(١) الشيرزي، نهاية الرتبة، ص١٠٨، ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٩٥.

(٢) ابن الأخوة، المغبة والرغبة، ص٧٧، ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٩٥.

(٣) ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٩٥، البستاني، محيط المحيط، ص٢٧٦.

(٤) الشيرزي، نهاية الرتبة، ص١٠.

(٥) التعزير : تأديب دون الحد، والفرق بينه وبين الحد، أن الحد مقدر والتعزير مفوض إلى رأي الإمام، وأن الحد لا يجب على الصبي، والتعزير يشرع عليه، وأن الحد يطلق على الذمي إن كان مقدراً والتعزير لا يطلق عليه وإنما يسمى عقوبة، البستاني محيط المحيط، ص٥٩٨.

(٦) التوبيخ : التهديد والتأنيب، الجوهري، الصحاح، مج١، ص٤٣٣.

(٧) ابن الأخوة، المغبة والرغبة، ص٨٠، الشيرزي، نهاية الرتبة، ص١٠٩.

حـدث سـنة (٢٠٦هـ/٨٢١م) وسنة (٢٧٠هـ/٨٨٥م) عندما انبثق نهر عيسى، وغـرق الدباغون وأصحاب الساج[1] (تجار خشب الساج الذي تصنع منه السفن، ويسـتورد مـن الخـارج خاصة من مصر) كما تعرضت الأسواق إلى الأمطار والفيضانات سنة (٣٣٢هـ/٩٤٤م) عندما تعطلـت الأسواق بسبب الأمطار[2].

ومنها ما هو عائد إلى الظروف والأوضاع السياسية كالفتن والاضطرابات التي حصلت في بغداد في تلك الفترة، وأثرت بدورها على الأسواق والتجار، كما هي الحال في الفتنة بين الأمين (١٩٣هـ-١٩٨هـ/٨٠٩م-٨١٣م) والمأمون، وما رافقهـا مـن أعمال فوضى وشغب أثرت على الأسواق والتجار، ففي سنة (١٩٧هـ/٨١٢م) حاصـر جيش المأمون بغداد ورماها بالنيران، وقام جيش المأمون بعشـر أمـوال التجار وجباية السفن، وكثرت عمليات السلب والنهب، ومنع جيش المـأمون دخـول السـلع والدقيق إلى أسواق الكرخ، الأمر الذي أدى إلى غلاء الأسعار، وهروب كثير من الناس من بغداد[3].

وذكر الصولي في أحداث سنة (٣٢٥هـ/٩٢٧م) هروب الكثير من التجار إلى الشام، وذلك بسبب الظلم الذي وقع عليهم وخاصة المجوس واليهود[4]، وكذلك مـا ذكـره ابـن الجـوزي فـي أحداث سنة (٣٣١هـ/٩٤٢م) من حدوث الفتن والاضـطرابات التي أدت إلى خروج الكثير من التجار إلى الشام ومصر، بسبب تواصل الفتن والاضطرابات في بغداد[5].

وهـذه المؤثرات في الأسواق لها انعكاسات سلبية على التجارة والاقتصاد، إلا أن الملفـت للـنظر فـي هذه المؤثرات على الأسواق في هذه الفترة الحرائق المتكررة، حيث شهدت أسواق بغداد سلسلة من الحرائق المتصلة والمتكررة بشكل غير متوقع، وأثرت سلباً على التجار والأسواق.

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٩، ص٦٦٧.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٨، ص٤١٦.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٨، ص٤٤٥-٤٦١، المسعودي، مروج الذهب، مج٣، ص٤١١-٤١٤

(4) أخبار الراضي بالله، ص٢٥١.

(5) المنتظم، مج١٤، ص٢٧، العلي، بغداد، مج١، ص٥٤.

وما يهمنا في هذا الجانب هو موقف الدولة تجاه هذه المؤسسة الاقتصادية، باعتــبارها من أهم المؤسسات فيها حيث إن الدولة كثيراً ما كانت تقف إلى جانب أهــل الســوق والتجار، وكثيراً ما كان الخلفاء يدفعون تعويضات وأموالاً للتجار وأهــل السوق وأصحاب الحوانيت الذين قد ينالهم ضرر من جراء تلك المؤثرات، ويمكــن ملاحظــة ذلــك من خلال الجدول التالــي، حيث يبين سنوات الحرائق وتأثــيرها، وموقــف الدولــة تجــاه أهل السوق، الذين قد ينالهم ضرر من جراء الحرائق.

السنة	السوق التي احترقت	ملاحظات
١-(٢١٢هـ/٨٢٧م)	سوق الكرخ[1]	
٢- (٢٢٥هـ/٨٣٩م)	سوق الكرخ والخزازين	سمي بحريق الجمل[2]، وقدم المعتصم للتجار حوالي خمسة ملايين دينار[3].
٣- (٢٣١هـ/٨٤٢م)	حريق في بغداد	فرق الواثق أموالاً كثيرة على التجار المتضررين من الحريق[4].
٤- (٢٩٢هـ/٩٠٥م)	سوق باب الطاق	احترق ما يقارب ألف دكان فيها متاع للتجار[5].
٥- (٣٠٣هـ/٩١٥م)	سوق التمارين	احترق السوق كاملاً[6].
٦- (٣٠٧هـ/٩٢٠م)	سوق الكرخ	هلك فيه الكثير من البشر[7].
٧- (٣٠٩هـ/٩٢٢م)	سوق الحذائيين[8]	
٨- (٣١٤هـ/٩٢٦م)	حريق في أكثر من مكان	احترق ما يقارب الألف دكان[9].
٩- (٣٢٣هـ/٩٣٤م)	سوق الكرخ والعطارين وغيرهم	سمي بالحريق الأعظم[10]، وأطلق الراضي للتجار ما يقارب الثلاثة آلاف دينار، وأعطى الهاشميين وأصحاب العقارات المتضررة ما يقارب عشرة آلاف درهم[11].
١٠-(٣٢٦هـ/٩٣٧م)	سوق الثلاثاء[12]	

نلاحظ من الجدول السابق أن الأسواق في بغداد خلال العصر العباسي تعرضت لسلسلة من الحرائق المتكررة، ونلاحظ أن الأضرار التي نجمت عن بعضها كانت كبيرة جداً إلا أن المهم في هذه القضية، موقف الدولة منها، لقد كان

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج٢، ص٤٦١.

(٢) التنوخي، نشوار المحاضرة، مج٢، ص١٠١.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، مج١١، ص٩٩، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، مج٣، ص١١٤، العلي، بغداد، مج١، ص٥٧.

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج٢، ص٤٨٣.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٧، ص٥٣٧، المسري، تجارة العراق، ص١١٢.

(٦) الهمداني، محمد بن عبد الملك (ت ٥٢١هـ/١١٧٣م)، تكملة تاريخ الطبري، تحقيق ألبرت كنعان، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦١م، ط٢، ص١٦، ابن الجوزي، المنتظم، مج١٣، ص١٥٥.

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٨، ص٢٢١، ابن كثير، البداية والنهاية، مج١١، ص١٣١.

(٨) ابن الجوزي، المنتظم، مج١٣، ص١٩٩.

(٩) ابن كثير، البداية والنهاية، مج١١، ص١٦٤.

(١٠) الصولي، أخبار الراضي بالله، ص٦٨، ابن الجوزي، المنتظم، مج١٣، ص٣٤٩، سعد، العامة في بغداد، ص٢٥٦.

(١١) الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، ص٦٢، ابن الجوزي، المنتظم، مج١٣، ص٣٤٩، الشيخلي، الأصناف، ص١٥٥.

(١٢) الصولي، أخبار الراضي بالله، ص١٠٤.

موقف الدولة تجاه أهل السوق والتجار في تلك الحالات موقفاً إيجابياً، ففي كثير من الحالات تقدم الدولة التعويضات إلى هؤلاء التجار.

سابعاً: دور الأسواق في الحياة العامة:

شهدت أسواق العرب منذ أقدم العصور ألواناً مختلفة من الأنشطة والأحداث، فلم تقتصر مهمتها على البيع والشراء فقط، بل كانت للأسواق مشاركات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية كذلك.

وإذا كانت أسواق بغداد مركزاً تجارياً، فهي تمثل بؤرة اجتماعية واقتصادية وسياسية فكل حدث مهم يحدث فيها، يلقى صداه في أسواقها، حيث إن السوق مكان لتجمع العديد من فئات الشعب من تجار وأصحاب حوانيت وعامة أهل بغداد وهم يخوضون في مختلف الأحاديث في تلك الأسواق[1].

أولاً: دور الأسواق في الحياة السياسية:

لعبت أسواق بغداد دروا مهماً في الحياة السياسية في العصر العباسي حيث كان أهل السوق يشتركون في العديد من أعمال الشغب التي تحدث في بغداد في تلك الفترة[2]، كما كانت الجماعات المعارضة للسلطة تتخذ من الأسواق مراكز يتجمعون بها خاصة في أوقات الفتن[3].

وقد لاحظنا سابقاً الحادثة المهمة التي أدت إلى نقل الأسواق من مكان إلى آخر، وهي حالة الشغب التي أثارها المحتسب في أسواق بغداد بمشاركة أهل السوق سنة (١٥٧هـ/٧٧٣م)، وأدت إلى نقل الأسواق، وهذا إن دل على شيء

---

(١) التوحيدي، علي بن محمد بن العباس، (ت ٣٨٧هـ/٩٩٧م)، الإمتاع والمؤانسة، تصحيح خليل منصور، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م، ط١، ص٣٤٦.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٩، ص٢٥٦-٢٥٧.

(٣) الصابئ، الوزراء، ص٥٧-٥٨، أبو طالب، نجيب، الصراع الاجتماعي في الدولة العباسية، تونس، دار المعارف للطباعة والنشر، ١٩٩٠م، ص١٥٨.

فيدل على مكانة أهل السوق ودورهم، بحيث جعلوا خليفة كالمنصور يقوم بنقل الأسواق من داخل بغداد إلى الكرخ[1].

ومن مشاركات أهل السوق في الحياة السياسية، مساهماتهم في الحروب، سواء أكانت حروباً على صعيد داخلي أو خارجي، ومن ذلك ما حدث سنة (١٦٥هـ/٧٨١م) عندما شارك أهل السوق في الحملات التي شنت ضد الروم، حيث كان في هذه الحملة ما يقارب المائة ألف من المتطوعة والمرتزقة وأهل السوق[2].

وكان الخلفاء أحياناً يأخذون بعين الاعتبار دور التجار وأهل السوق ومشاركاتهم في الحياة السياسية، ومن ذلك ما فعله الرشيد عندما بايع لابنه المأمون بولاية العهد بعد ابنه الأمين سنة (١٧٨هـ/٧٩٩م)، حيث أخذ البيعة له من جميع الناس، حتى من أهل السوق[3].

ومن مشاركة أهل أسواق بغداد في الحياة السياسية مشاركاتهم في الحروب الداخلية خاصة في أثناء الفتنة بين الأمين والمأمون، فعندما حدث النزاع بين الأمين والمأمون سنة (١٩٥هـ/٨١٠م) وقف أهل السوق والصنّاع والفعلة إلى جانب الأمين في قتاله مع المأمون[4]، وعندما حاصر جيش المأمون بغداد سنة (١٩٧هـ/٨١٢م) شارك أهل الأسواق والحوانيت في الدفاع عن بغداد، وهذا ما جعل طاهر بن الحسين[5] يسمي أسواق بغداد "دار النَكَث"[6].

ويتضح من موقف الأمين الضعيف وتمكن جيش المأمون من احتلال الجهة الجنوبية من بغداد إنه غيّر موقف أهل الأسواق، فوقفوا إلى جانب طاهر بن

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٧، ص٦٥٣-٦٥٤، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٥، ص٥٧٤.

[2] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٨، ص٥٣، ابن الجوزي، المنتظم، مج٨، ص٢٧٨، الكبيسي، أسواق بغداد، ص٣٦٥.

[3] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج٢، ص٤١٥.

[4] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٨، ص٤٠٦، الشيخلي، الأصناف، ص١٥٧.

[5] طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق : قائد المأمون، حارب الأمين، ولقب بذي اليمينين، توفي سنة (٢٠٧هـ/٨٢١م) ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٢، ص٥١٧-٥١٨.

[6] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٨، ص٤٤٧، مجهول، العيون والحدائق، مج٣، ص٣٣٣، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٦، ص٢٧٢.

الحسين قائد جيش المأمون في الحرب ضد الأمين[1]، وقام تجار الكرخ بمكاتبة طاهر بن الحسين وقالوا له : بأنهم ليسوا من قاتلوه، وإنما قام بذلك صغار الباعة والتجار[2].

وظهر دور التجار في الحياة السياسية مرة أخرى بعد أن توجه المأمون إلى خراسان وترك بغداد، وبايع أهل بغداد إبراهيم بن المهدي[3] بالخلافة سنة (٢٠٢ هـ/٨١٦م)، حيث قدّم التجار الدعم للخليفة الجديد، ويبدو إن ذلك حفاظاً على مركز بغداد السياسي، الذي يفضي بدوره إلى الازدهار الاقتصادي فيها، وخاصة بعد أن تركها المأمون وأقام في خراسان، فقدم إليه عبد الملك بن الزيات[4] عشرة آلاف دينار[5].

وشارك أهل الأسواق في الحروب الخارجية، كما هي الحال في سنة (٢٤٩ هـ/٨٦٣م)، وذلك عندما وجه المستعين بالله (٢٤٨هـ-٢٥١هـ/٨٦٢م-٨٦٦م) جعفراً الخياط ومعه القائد عمر بن عبد الله الأقطع[6] مع ثمانية آلاف مقاتل لغزو الصائفة[7].

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٨، ص٤٦٧، حسن، تاريخ الإسلام، مج٢، ص١٤٨.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٨، ص٤٦٧، المسعودي، مروج الذهب، مج٣، ص٤١٧، المجالي، بيان، المأمون وعصره، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٢م، ص١٦٨.

(3) إبراهيم بن المهدي بن المنصور : أخو هارون الرشيد، بايع لنفسه بالخلافة والمأمون بخراسان ظفر به المأمون عام (٢١٠هـ/٨٢٤م) ومات بسر من رأى، ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج١، ص٣٩.

(4) عبد الملك بن الزيات : التاجر المشهور، توفي في بغداد سنة (٢٣٠هـ/٩٤١م) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١، ص٤٢٨.

(5) الصولي، محمد بن يحيى بن عبد الله (ت ٣٣٥هـ/٩٤٦م) أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، نشر ج هيودت ون، بيروت، دار المسيرة، ١٩٧٩م، ط٢، ص٢٦، الأصفهاني، الأغاني، مج٢٣، ص٤٨، سعيد، محمد " محمد بن عبد الملك الزيات" مجلة المجمع العلي العراقي، بغداد، المجمع العلمي العراقي، ع٣٧، ١٩٨٦ م، ص١٨٥.

(6) عمر بن عبد الله الأقطع : من كبار القادة الشجعان في العصر العباسي، قام بالعديد من الحملات ضد الروم، وكانت آخر حملاته التي قتل فيها في محاربة الروم سنة (٢٤٩هـ/٨٦٣م) ابن الجوزي، المنتظم، مج١٢، ص٢٣، الزركلي الأعلام، مج٥، ص٢١٤.

(7) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج٢، ص٤٩٦.

وكذلــك عندما وجه المعتمد أخاه الموفق لمحاربة الزنج[1] بالبصرة شارك معه خلق كثير من أهل أسواق بغداد متطوعين[2].

وكانــت الدولــة غالــباً مــا تستعين بالتجار ليقدموا إليها بعض الخدمات السياســية، كما هي الحال عندما ولي المعتمد يعقوب بن الليث بن الصفّار[3] ولاية العديــد مــن المــناطق مــثل: خراسان وطبرستان[4] والرّي[5]، إضافة إلى ولاية الشرطة في بغداد، وذلك سنة (٢٦١هـ/٨٧٤م) حيث استعان المعتمد بجماعة من التجار ليرفعوا ذلك الخبر إلى يعقوب الصفار[6].

وكثــيراً ما قام التجار بدور الاستخبارات في بعض الولايات التابعة للدولة العباســية، خاصة في فترات الصراع ما بين العباسيين والبيزنطيين، حيث يقومون بدور الجواسيس، فقد ذكر ابن الجوزي في أحداث سنة (٢٨٨هـ/٩٠٠م) بأن كتب الــتجار وردت مــن الرقة[7] بأخبار مراكب الروم التي كانت بأعداد كبيرة، وإنها ســارت إلــى ناحــية كيسوم[8]، وأخذوا من المسلمين أكثر من خمسة عشر ألف إنسان[9].

---

[1] الــزنج : جماعة من عبيد أفريقية، قاموا بالثورات في العديد من المناطق خاصة في البصرة وواسط ضد الخلافة العباسية، حتى حاربهم الموفق أخيراً سنة (٢٧٠هـ/٨٨٣م) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج ٩، ص٦٥٤-٦٦١، حسن، تاريخ الإسلام، مج٣، ص٢١٦-٢١٩.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٧، ص٢٥٢.

[3] يعقــوب بــن الليــث الصــفار: أشهر القادة، كان يعمل في النحاس، تغلب على العديد من المناطق، وقام بالزحف على بغداد في عهد المعتمد، ونشبت بينهما حروب إلى أن هرب إلى واسط، ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٦، ص٤٠٢-٤٠٣، الزركلي، الإعلام، مج٩، ص٢٦٦.

[4] طبرســان : كلمــة فارسية تتكون من مقطعين، طبر وستان، وهي بلدان واسعة يشتمل عليها هذا الاسم، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص١٤.

[5] الرّي : مدينة بناها المهدي، وبنى بها مسجد جامعاً سنة (١٥٨هـ/٧٧٤م) وهي من أمهات المدن، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٣، ص١١٦-١١٨.

[6] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٩، ص٥١٦، المسري، تجارة العراق، ص٥٩.

[7] الــرقة : مديــنة مشــهورة على الفرات، ومعدودة في بلاد الجزيرة، لأنها تقع في جانب الفرات الشرقي، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٣، ص٥٩.

[8] كيســوم : قــرية مستطيلة الشكل من أعمال سمسياط، تشتمل على أسواق ودكاكين وحصن منيع، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص٤٩٧.

[9] المنتظم، مج١٢، ص٤١٦.

كما قام التجار بدور الرسل بين العاصمة بغداد والولايات الأخرى، فقد ذكر الطبري في أحداث سنة (٢٩٠هـ/٩٠٢م) أن كتب التجار جاءت من دمشق تخبر أن القرمطي هزم طغج[١] أكثر من مرة، وقتل الكثير من أصحابه، فاجتمعت جماعة من تجار بغداد، ومضوا إلى الوزير ليخبروه خبر تجار دمشق[٢]، كما عمل أهل الأسواق كأدلاء ضد القرامطة[٣] ومن يقوم بالتعاون معهم ومراسلتهم، فقد ذكر تجار بغداد للوزير على بن عيسى أن رجلاً شيرازي يتخبر للقرامطة، ويتصل بهم، وذلك سنة (٣١٥هـ/٩٢٧م)، وعندما أحضر الوزير ذلك الرجل، لم ينكر الأخير اتصاله بالقرامطة[٤].

وكثيراً ما استخدم المنصور الأسواق والتجار في المهمات الاستخبارية، فقد كان المنصور يدس غلماناً يقومون بمهمة البيع في الظاهر، وبمهمة التجسس في الباطن[٥]، وكان للمنصور استخباري في الكوفة، يعمل في الصرافة ويدعى ابن مقرن[٦].

كما استخدمت بيوت التجار كملاذ للوزراء والأمراء، خاصة في أوقات الفتن والاضطرابات، ففي أثناء الفتنة بين الأمين والمأمون اختفى الفضل بن الربيع[٧](ت ٢٠٨هـ/٨٢٣م) عند أحد البزازين في باب الطاق، واختفى عبد الله

---

[١] طغج الفرغاني التركي : نائب دمشق، امتدت أيامه إلى أن حاصرة القرامطة وتوفي سنة (٣٠٠هـ/٩١٢م) الصفدي، الوافي بالوفيات، مج١٦، ص٤٥٣.

[٢] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج١٠، ص٩٧-٩٨.

[٣] القرامطة : دعوة بدأت سنة (٢٦١هـ/٨٧٤م) قاموا بالعديد من الحركات والثورات وغارات على قوافل الحجاج كثيراً، إلى أن قتل العديد من رؤسائها، وتم القضاء عليها أخيراً سنة (٣١٦هـ/٩٢٨م) ابن الأثير، الكامل في تاريخ، مج٨، ص١٨١-١٨٢، زكار، سهيل، الجامع في أخبار القرامطة، دمشق، دار إحسان، ١٩٨٧م، ط٣، ص٥٥ وما يليها.

[٤] مسكويه، تجارب الأمم، مج١، ص١٨١، ابن الجوزي، المنتظم، مج١٣، ص٢٦٥.

[٥] مجهول، العيون والحدائق، مج٣، ص٢٣٤.

[٦] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٧، ص٦٣١، الشيخلي، الأصناف، ص١٥٨-١٥٩.

[٧] الفضل بن الربيع : ولد سنة (١٤٠هـ/٧٥٧م) شغل منصب الحجابة للرشيد والأمين وفوض إليه الأمين الكثير من الأعمال، وشغل منصب الوزارة للبرامكة، توفي سنة (٢٠٨هـ/٨٢٣م) ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٤، ص٣٧-٤٠، الزركلي، الأعلام، مج٥، ص٣٥٣.

بـن المعـتز[1](ت ٢٩٦هـ/٩٠٨م) في بيت أحد التجار المشهورين في بغداد[2]، وكذلك الوزير الحسن بن الفرات (ت ٣١٢هـ/٩٢٥م) الذي اختفى عند أحد تجار البز في سوق العطش[3].

كمـا استخدمت الأسواق للتشهير بالمجرمين والخارجين على القانون، كما حـدث سنة (١٤٥هـ/٧٦٢م)، عندما نصب رأس إبراهيم بن عبد الله بن حسن[4] في السوق[5].

كمـا نصـب رأس أحمـد بـن مالك الخزاعي[6] الذي خالف القول بخلق القـرآن[7]، وأغلـظ فـي القول على الواثق. فعندما قتل نصب رأسه في الجانبين الشرقي والغربي[8].

مـن خـلال العرض السابق لدور الأسواق والتجار في الحياة السياسية في بغـداد، نستدل على الأهمية التي كانت تؤديها ويؤديها التجار للدولة ومدى اعتماد الدولة عليهم، سواء في مشاركاتهم في الحروب الداخلية أو الخارجية، ومشاركاتهم فـي تعيين الخلفاء، وقيامهم بدور الرسل والتجسس، واستخدام بيوتهم كملاذ وملجأ لكثير من رجالات الدولة، وغير ذلك من الخدمات.

---

(1) عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم : اتفق مع جماعة من أتباعه لخلع المقتدر وتنصيبه خليفة، إلى أن قـبض عليه اتباع المقتدر وقتلوه سنة (٢٩٦هـ/٩٠٨م) ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٣، ص٧٦-٧٧.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، مج١٣، ص٨١، ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٣، ص٧٦-٧٧.

(3) الصابئ، الوزراء، ص٢٨، ابن الجوزي، المنتظم، مج١٣، ص١٣٤، المسري، تجارة العراق، ص٦٠.

(4) إبراهـيم بـن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب : خرج على المنصور في البصرة، وبايعه أربعة آلاف مقـاتل، وكان بينه وبين المنصور وقائع متعددة إلى أن قتله أحد قادة المنصور، الصفدي، الوافي بالوفيات، مج٦، ص٣١-٣٢، الزركلي، الأعلام، مج١، ص٤١.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، مج٨، ص٨٨.

(6) أحمـد بـن مالك بن نصر الخزاعي: من أشراف بغداد، بايع جماعة من أهل بغداد على الأمر بالمعروف والنهـي عـن المـنكر، وعندما علم الواثق بذلك قتله سنة (٢٣٧هـ/٨٤٦م). الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج٥، ص ٣٨٢-٣٨٨، الزركلي، الأعلام، مج١، ص٢٥٠

(7) خلـق القرآن : ظهرت مسألة خلق القرآن زمن المأمون بين العلماء والمتكلمين، وبدأ الخلاف حول خلق القـرآن في البصرة ثم انتقل إلى بغداد بين المعتزلة وأهل السنة، وكان المأمون يميل إلى رأي المعتزلة في خلق القرآن، وناصب العداء لكل من خالفه، واستمرت هذه المحنة زمن المعتصم ثم الواثق، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١٠، ص٧٧-٧٨.

(8) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج٥، ص٣٨٥، ابن كثير، البداية والنهاية، مج١٠، ص٣٣١.

ويلاحـــظ أن دورهـــم تجـــاه السلطة والدولة في كثير من الأحيان لصالح السـلطة، ووقوفهم إلى جانبها، لأن مصلحتهم تتطلب ذلك، حتى ينعموا بالاستقرار السياســي الذي يؤدي بدوره إلى الاستقرار الاقتصادي والانتعاش التجاري، ونشر الأمن على الطرق التجارية.

ثانياً: دور الأسواق في الحياة الاجتماعية:

قامــت أســواق بغداد بدور هام في حياة بغداد الاجتماعية، حيث كان أهل الســوق يســاهمون فــي الاحــتفالات والمناسبات المفرحة التي تحدث في بغداد، فــيظهرون الزينة وملامح البهجة، كما يشاركون في المناسبات المحزنة، حتى أن كثــيراً مــنهم يســارعون إلى إغلاق أسواقهم وحوانيتهم. فعند عودة الخليفة إلى العاصــمة بعد غياب طويل، يظهر أهل السوق علامات الفرح والسرور، كما هي الحــال عندما عاد الخليفة المأمون من خراسان إلى بغداد سنة (٢٠٤هـ/٨١٨م)، حيث ازدحمت شوارع بغداد وطرقاتها، احتفاءً بعودة المأمون[1].

كما تعكس أسواق بغداد المناسبات المحزنة، فعندما تعرض الإمام أحمد بن حنــبل (ت ٢٤٠هــــ/٨٥٦م) إلـــى مرض، وتوفي على أثره فيما بعد، فيذكر أن الناس خرجوا إلى الشوارع والطرقات وتعطلت الحركة في الأسواق[2]، كما أغلقت الأســواق فــي ســنة (٢٧٥هــ/٨٨٨م) عندما توفي أحمد بن الحجاج المروزي المعــروف بغــلام خليل[3]، وحضر الناس جنازته والصلاة عليه، لأنه رجل عابد وزاهد[4].

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، مج١٠، ص١٢٧، حسن، تاريخ الإسلام، مج٢، ص٦٢.

(2) الســبكي، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب (ت ٧٧١هــ/١٤١٤م)، طبقات الشافعية الكبرى، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٠م، ط٢، مج١، ص٢٠٣.

(3) غــلام خلــيل : أحمــد بــن محمد بن غالب الحجاج المروزي، كان رجلاً زاهداً وعالماً، وله العديد من الأحاديث توفي سنة (٢٧٥هــ/٨٨٨م) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج٥، ص٢٨٣-٢٨٥.

(4) الخطيــب الــبغدادي، تــاريخ بغداد، مج٥، ص٢٨٥، ابن الجوزي، المنتظم، مج١٢، ص٢٦٧ ابن كثير، البداية والنهاية، مج١١، ص٥٨.

وأدت الأسواق أدواراً اجتماعية أخرى، فعندما تصدر قرارات أو بلاغات يتم إعلانها من خلالها، ففي سنة (٢٨٢هـ/٨٩٥م) نودي في الأسواق والأرباع في بغداد عن النهي عن إيقاد النيران ليلة النيروز[١]، وصب الماء في ذلك اليوم[٢].

ومن مشاركات الأسواق في المناسبات المفرحة ما حدث في بغداد سنة (٣٠٥هـ/٩١٧م)، عندما تزينت أسواق بغداد وأظهر اصحاب الدكاكين علامات الفرح والسرور، وأضاءت فيها الشموع، احتفاءً بمقدم رسول ملك الروم إلى بغداد، من أجل عقد الهدنة بين الطرفين[٣].

واستخدمت الأسواق مرة أخرى لإصدار القرارات والبلاغات عام (٣٠٨ هـ/٩٢٠م) عندما وقّع المقتدر لعلي بن عيسى بأن يتولى الأعمال في السواد[٤] والأهواز[٥] وأصفهان[٦]، وتقليد العمال من قِبله، وأن يكتب عنه كتاباً إلى العامة، يقرأ في الشوارع والأسواق[٧].

وكانت عودة الحاج إلى بغداد من ضمن المناسبات الاجتماعية التي تظهر آثارها في أسواق بغداد، فعندما يقترب موعد عودة الحجاج ينشر أهل بغداد الزينة في أسواقها، كما حدث سنة (٣١٩هـ/٩٣٠م) عندما قدم مؤنس الخادم من الحج، فأظهر أهل بغداد في تلك المناسبة الفرح والسرور، كما وأظهروا الزينة، وتم

---

[١] النيروز : اليوم الجديد، وهو عيد الربيع، أول يوم من أيام السنة الشمسية، حيث يتم الاحتفال في ذلك اليوم، ويتم إيقاد النار ورش الماء، التنوخي، نشوار المحاضرة، مج٨، ص٢٤٦ القلقشندي، صبح الأعشى، مج٢، ص٤١٩-٤٢٠.

[٢] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج١٠، ص٥٣، ابن الجوزي، المنتظم، مج١٢، ص٣٧١.

[٣] مسكوية، تجارب الأمم، مج١، ص٥٣، لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، بيروت، دار إحياء التراث، ١٩٧٩م، ط٢، ص٢١٩.

[٤] السواد : رستاق العراق وضياعها التي افتتحها المسلمون زمن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – وسمي بالسواد لسواد زرعه بالأشجار والنخيل، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٣، ص٢٧٢.

[٥] الأهواز: سبع كور بين البصرة وفارس، لكل منهن اسم ويجمعهن اسم الأهواز، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج١، ص٢٨٤-٢٨٥.

[٦] أصفهان : مدينة مشهورة تتألف من مقطعين، أصب وتعني البلد بالفارسية وهان اسم فارس، أي بلاد الفرسان، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج١، ص٢٠٦.

[٧] مسكويه، تجارب الأمم، مج١، ص٧٥.

نصـــب القـــباب فـــي الأســـواق[1]. كما نصبت القباب في سوق باب الطاق سنة (٣٣٣هـــ/٩٤٤م)، وذلـــك تعبيراً عن فرحتهم بعودة الخليفة المتقي (٣٢٩هــ-٣٣٣هــ/٩٤٠م-٩٤٤م) من هيت[2] إلى بغداد[3].

ثالثاً: دور الأسواق في الحياة الاقتصادية:

كانـــت الأسواق في بغداد أشهر مراكز التبادل التجاري، وعصب الاقتصاد فـــي الدولـــة، وأهم أوجه للنشاط الاقتصادي، ولم تكن الأسواق تقتصر فقط على التبادل التجاري والنشاط الاقتصادي، بل كان لأسواقها مشاركات متعددة في الحياة الاقتصادية خاصة في أوقات الأزمات الاقتصادية، مثل ارتفاع الأسعار. كما حدث ســنة (٢٧٢هـــــ/٨٨٥م)[4]، وسنة (٣٠٧هــ/٩٢٠م)[5]، وسنة (٣٠٨هــ/٩٢١م) عــندما ارتفعــت الأسعار، ونشبت الاضطرابات في الأسواق نتيجة لذلك، إلى أن أمر المقتدر بتخفيض الأسعار، وعادت الأمور إلى طبيعتها[6].

كمـــا قـــدم التجار في بغداد في كثير من الأحيان مساعدات للدولة لمرات مــتعددة، حتى تستطيع الدولة تخطي الأزمات ومعالجة المشاكل الاقتصادية، حيث أن الـــوزراء فـــي حالـــة الأزمات المالية كثيراً ما يلجأون إلى التجار ويستلفون

---

[1] عريـــب القرطبـــي، صلة تاريخ الطبري، ص١٥٧، ابن الجوزي، المنتظم، مج١٣، ص٢٩٩، ابن كثير، البداية والنهاية، مج١١، ص١٧٧.

[2] هيـــت : بلـــدة على الفرات من نواحي بغداد، تقع فوق الأنبار، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٥، ص ٤٢١.

[3] الصولي، أخبار الراضي بالله، ص٢٨٠، الكبيسي، أسواق بغداد، ص٣٦٦.

[4] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج١٠، ص١٠، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٧، ص٤٢٠.

[5] مســكوية، تجارب الأمم، مج١، ص٧٤، الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، ص٢١، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٨، ص١١٦، الشيخلي، الأصناف، ١٥٦.

[6] عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ص٨٤، مسكويه، تجارب الأمم، مج١، ص٧٥، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مج٣، ص٢٢٢، فوزي، الخلافة العباسية، ص١٣٩ العلي، بغداد، مج١، ص٣١٤.

الأموال منهم، فكان الوزير علي بن عيسى إذا لم يكن لديه مال استلف من التجار على سفاتج[1]، وذلك لسد الأزمات المالية[2].

ومما يؤيد دور التجار في الحياة الاقتصادية واعتماد الدولة عليهم وقت الأزمات المالية، قول الخليفة الراضي عن هؤلاء التجار مثل الحسين بن الجصاص الجوهري[3] وغيره سنة (٣٢٢هـ/٩٣٣م) "يجمل بمثلهم الملك، ويلجأ المهم إليهم"[4].

وعندما تتعرض الدولة إلى الأزمات المالية، يقوم التجار بمساعدتها من خلال شراء الغلال ودفع أثمانها سلفاً. فعندما تعرضت الدولة لأزمة مالية زمن المعتضد بالله أقر الوزير عبد الله بن سليمان بن وهب[5] بيع الغلال على التجار، ودفع أثمانها سلفاً[6].

وكثيراً ما ألزمت الدولة التجار بتقديم المساعدات المالية لها، وذلك عن طريق تقديم الأموال إليها كقروض حتى لو اضطرت الدولة إلى استخدام القوة مع هؤلاء التجار، ففي سنة (٣٢٤هـ/٩٣٥م) عندما حدث الغلاء في الأسعار وقلة في المؤن وتأخر أرزاق الجند، لجأت السلطة إلى مياسير التجار، وطالبتهم بالأموال مقابل كتابة السفاتج لهم بذلك[7].

---

(1) السفتجة : كلمة فارسية تعني الشيء المحكم، وهي أن تعطي مالاً لرجل له مال في بلد تريد أن تسافر إليه فتأخذ لمن عنده المال من ذلك البلد أن يعطيك مثل مالك الذي دفعته إليه، البستاني، محيط المحيط، ص ٤١٢، الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص١٣١-١٣٢.

(2) الصابئ، الوزراء، ص٩٣.

(3) الحسين بن عبد الله ابن الجصاص الجوهري : التاجر المشهور، لعب دوراً في الحياة السياسية والاقتصادية في بغداد، الصابئ، الوزراء، ص٢٤٥.

(4) الصولي، أخبار الراضي بالله، ص١٦.

(5) عبد الله بن سليمان بن وهب : وزير المعتضد في سنة (٢٧٨هـ/٨٩١م) ولد سنة (٢٢٦هـ/٨٤١م) وتوفي سنة (٢٨٨هـ/٩٠١م) الصفدي، الوافي بالوفيات، مج١٩، ص٣٧٣-٣٧٤.

(6) التنوخي، نشوار المحاضرة، مج١، ص٨٠.

(7) الصولي، أخبار الراضي بالله، ص٧٦.

ثانياً :الخانات

أولاً : تعريف الخانات ونشأتها

ثانياً : أنواع الخانات

ثالثاً : الخانات في بغداد

رابعاً : العاملون فني الخانات

خامساً : دور الخانات في الحياة العامة

ويعـــرف لويس ماسينون الخانات بقوله : الخانات ضرب من الفنادق التي تتكدس البضائع فيها لدى وصول القوافل[١]. وفيما يتعلق بالتسمية، فيذكر أن أصل كلمة خان فارسية[٢]، وهناك من يعتقد بأنها تركية الأصل[٣].

والخانـــات اصطلاحاً عبارة عن بناء على هيئة مربع يتراوح طوله ما بين عشـــرة إلـــى ســـتين مـــتراً، وسمك جدارُه يتراوح ما بين متر إلى متر ونصف، ويحـــتوي البناء طبقتين، وكل طبقة تحتوي العديد من الحجرات، وحجرات الطابق العلـــوي مخصصـــة كغرف لسكن التجار، أما الطابق الأرضي فيحتوي عدداً من الحجرات تحفظ فيها البضائع، كما كانت تحتوي المساجد الصغيرة لإقامة الشعائر الدينية، كما تتوفر فيها أماكن خاصة للدواب وغيرها[٤].

وكانـــت الخانـــات تضـــم الحمامات في بعض الأحيان[٥]، وأحياناً تستخدم سطوحها للنوم، كما وتتوفر فيها أماكن مخصصة للعائلات[٦].

ووصف الواسطي بناء هذه الخانات، وشكلها الخارجي والداخلي، فذكر أن الخانـــات عبارة عن مبنى من طابقين، يحتوي الدور الأول حجرات متلاصقة وفي الدور العلوي توجد شرفة ذات سياج وحجرات متجاورة ذات أبواب، ويفصل بينها أعمدة ذات تيجان[٧].

---

(١) ماســينون، لويـــس "الهيئات الحرفية والمدينة الإسلامية" ترجمة أكرم فاضل، المورد، بغداد، مج٢، ع١، ١٩٧٣م، ص١٣.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٣٤١.

(٣) صروف، يعقوب و نمر، فارس، "معنى خان" المتقطف، مج٢٦، ١٩٠١م، ص٩٤٧.

(٤) القزوينـــي، آثـــار الـــبلاد، ص٥٣١، عاشور، سعيد "الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية" عالم الفكر، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مج١١، ع١، ١٩٨٠م، ص١٢٣.

(٥) Elisseeff, khan, Encyclopaed ia of Islam, Leiden, Brill, ١٩٧٩, vol Iv, p.١٠١١

(٦) التنوخي، الفرج بعد الشدة، مج٤، ص١٤٦.

(٧) عكاشة، ثروت، فن الواسطي من خلال مقامات الحريري، مصر، دار المعارف، ١٩١٩م، ص٦٧، سعد، العامة في بغداد، ص٣٤١-٣٤٢.

وتطــورت الخانـــات ومرافقها فيما بعد، بحيث أصبحت تحتوي الحمامات والمخازن التي يتم فيها خزن مختلف أنواع البضائع[1]، ونظراً لأهمية الخانات في الـــتجارة ودورهـــا في الحياة الاقتصادية، فقد اهتم خلفاء بني العباس بها، فقاموا بإنشـــائها كمـــا بـــنوا المحطـــات على طرق القوافل، وكانت هذه الخانات واسعة ومحصنة[2].

والهــدف مـــن إقامـــة هـــذه الخانات، تقديم الخدمات والمساعدات للتجار والمســـافرين وإيجـــاد مـــأوى لحيواناتهم وبضائعهم[3]، بالإضافة إلى قيامها بدور تجـــاري حيـــث يتوفر فيها أماكن لعرض البضائع والتزود بالمياه، وإقامة الغرباء والأجانـــب[4]، بالإضـــافة إلى خدمة التاجر الركّاض، وقد قال الرصافي شعراً في الخانات :

نزلـــتُ الخـــانَ فـــي بلـــدي كأنـــي	أخـــو ســـفرٍ تقاذفَـــهُ الـــدروبُ
وعشـــتُ معيشـــةَ الغـــرباءِ فـــيه	لأنـــي الـــيومَ فـــي وطني غريبُ[5]

"الوافر"

ويصـــف البلاذري (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) ثغراً من ثغور انطاكية[6] قائلاً : "وكانـــت منازلها كالخانات"[7]، وهذا يدل على أن الخانات وجدت منذ فترة مبكرة من العصور الإسلامية.

---

[1] الرفاعـــي، أنـــور، الإســـلام فـــي حضـــارته ونظمـــه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والفنية، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٦م، ط٣، ص٣١٥.

[2] الخازن، الحضارة العباسية، ص٧٨، سلوم، انتصار، الأهمية الاقتصادية والزراعية لجنوب بلاد الشام في العصر العباسي الأول والثاني، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ٢٠٠١م، ص١٤١.

[3] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٦، ص٥٦٧.

[4] ابن الجوزي، المنتظم، مج١٢، ص١٨١.

[5] التنوخي، نشواز المحاضرة، مج٦، ص١٢٥.

[6] أنطاكـــية : بلـــد كبير من أشهر بلدان الروم، تقع على الشاطئ، وأنطاكية عبارة عن حصن واسع ومنيع، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج١، ص٢٧٠.

[7] فتوح البلدان، ص١٧١، الزيود، التاريخ الاقتصادي، ص٢٢١.

ويذكر الطبري أن الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩هـ-١٠١هـ/٧١٧م-٧١٩م) كتب إلى عامله على سمرقند[١] سليمان بن السرّي سنة (١٠١هـ/٧٢٠م) : "أن اعمل خانات في بلادك فمن مر بك من المسلمين فأقرّوهم يوماً وليلة، وتعهدّوا دوابهم، فمن كان به علّة فأقروه يومين وليلتين، فإن كان منقطعاً به فقوّه بما يصل به إلى بلده"[٢].

وأنشأ عمر بن عبد العزيز داراً للضيافة وخانات لخدمة المسافرين، حيث بنى الجحفة[٣] على طريق الشام ومكة المكرمة لخدمة التجار والمسافرين[٤]، كما أنشأ الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك (١٠٥هـ-١٢٥هـ/٧٢٤م-٧٤٣م) الخانات، وكان ذلك قرب قصر الحير الغربي[٥]، وزالت آثار هذا الخان بحيث لم يبق منه سوى البوابة التي وضعت في متحف دمشق[٦].

ثانيا: أنواع الخانات:

الخانات نوعان في بغداد في العصر العباسي، منها ما أقيم داخل المدن وعرف بخان التجار، ومنها ما شيد خارجها، وخاصة على الطرقات الخارجية والتجارية، ويسمى خان المسافرين الذي ينزله المسافرون[٧].

وقد أنشئت الخانات على الطرق التجارية والخارجية للدول التي كانت لها علاقات تجارية مع العاصمة بغداد، فكانت هذه الطرق تحتوي خانات أنشئت

---

[١] سمرقند : من بلاد ما وراء النهر، وهي قصبة يتبع إليها عدة مدن، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٣، ص٢٤٨.

[٢] تاريخ الرسل والملوك، مج٦، ص٥٦٧.

[٣] الجحفة : قرية كبيرة على طريق المدنية من مكة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص١١١.

[٤] زواهرة، تيسير، "طرق التجارة والحج في بلاد الشام في العصر العباسي" مقالة ضمن كتاب بلاد الشام في العصر العباسي، عمان، مطبعة الجامعة الأردنية، ١٩٩٢م، ص١٧١.

[٥] قصر الحيرة الغربي : قصر أموي يقع في بادية الشام بين تدمر وقرية القريتين ينسب بناؤه إلى الخليفة هشام بن عبد الملك، الريحاوي، عبد القادر، العمارة الإسلامية خصائصها وآثارها في سورية، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٧٩م، ص٦١.

[٦] رجب، غازي، العمارة العربية في العصر الإسلامي في العراق، بغداد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ١٩٨٩م، ص٢١.

[٧] التنوخي، الفرج بعد الشدة، مج٤، ص٥٧، الرفاعي، الإسلام في حضارته، ص٣٢٣.

لتحقـيق أهداف اقتصادية وتجارية بالدرجة الأولى، وهي عبارة عن ملجأ للتجار والمســافرين، كمـا تـتم فـيها عمليات البيع والشراء، وتقدم للتجار خدمة حفظ البضائع، كما يخصص فيها أماكن لإيواء الحيوانات[1].

فكانت الطرق التجارية ما بين العراق وبلاد الروم، التي يجلب منها العديد مـن السـلع والبضائع وخاصة العقاقير والأحجار الكريمة والنسيج وتشتمل على العديـد من الخانات التي تخدم التجار صيفاً وشتاءً، ويكون مكان إنشائها قريباً من القـرى والسـكان، ومن مصادر المياه كذلك، وتشتمل هذه الخانات على المرافق الهامة والأطعمة والأعلاف للدواب[2].

أمـا الـنوع الآخر من الخانات، فهي التي أقيمت داخل بغداد لإيواء التجار والقوافـل الذين لا مأوى لهم وقد عرف بخان التجار، وينزله التجار، مثل الخانات التي وجدت داخل المدينة بغداد[3].

ثالثاً: الخانات في بغداد :-

شـيدت الخانـات فـي بغداد منذ نشأتها[4]، وكانت ممتدة في الشوارع في الجانبين الشرقي والغربي منها[5]، ومن أشهرها في بغداد في تلك الفترة :

١. خان وردان :

أول خـان بُني في بغداد، ويقع في الجانب الشرقي من بغداد، ويعود بناؤه إلى العصر العباسي الأول، وينسب إلى وردان أحد قادة الخليفة المنصور[6].

٢. خان أبو زياد :

---

(١) ابن رستة، الأعلاق النفيسة، مج٧، ص٣٤٣.

(٢) القزويني، آثار البلاد، ص٥٣٢، المسري، تجارة العراق، ص٣١٨.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج٣، ص٣٥٥، الخطيب، غاية المرام، ص٢٩.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١٠، ص٥٩، سعد، العامة في بغداد، ص٣٤١.

(٥) ابن السويدي، أبو الخير عبد الرحمن بن عبد الله (ت ١٢٠٠هـ/١٧٨٦م)، تاريخ بغداد، حديثة الزوراء في سـيرة الـوزراء، نسـخة مايكروفيلم في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية، ورقة ٤١، كوك، بغداد، مج١، ص٥٢-٥٣.

(٦) ابن الفقيه، بغداد، ص٥٨، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٣٤١.

وبُـنى هذا الخان في عهد الخليفة المنصور، وكان صاحبه من سواد الكوفة ممـن وسـمه الحجاج بن يوسف[1] من النبط[2]، وذلك لتمييزهم عن سائر الناس، وكان أبو زياد يعمل في حانوت في الكوفة، ثم انتقل إلى بغداد، وأقام في خان أبي زياد[3].

٣. خان عطشان :

مـن أشـهر الخانـات في بغداد، تم بناؤه سنة (١٦١هـ/٧٧٨م) ويقع بين كـربلاء[4] والنجف[5]، ويختلف تخطيط هذا الخان عن باقي الخانات المعروفة في العراق، ويحتوي فناءً محاطاً بالعديد من الحجرات المتشابهة، وشكله مستطيل، وله أربع زوايا ركنية وسمكها أكبر من سمك جدار الخان بحوالي مترين، وأبوابه من الحديـد الثقـيل بحيـث يمكن إغلاقه جيداً[6]، ويحتوي بداخله عدداً من الغرف، وحائطه مزخرف بزخارف من الطوب[7].

---

[1] الحجـاج بـن يوسف الثقفي: قائد داهية سفاك دماء، تقلد امرة العساكر، وقاتل عبد الله بن الزبير، وقتله وفرق جموعه، وقمع العديد من الثورات في العراق، وبنى مدينة واسط، ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج ٢، ص٢٩-٣٢، الزركلي، الأعلام، مج٢، ص١٥٧.

[2] النـبط : لفـظ يطلقه العرب على الفلاحين الذين ليسوا جنوداً ولا رعاة، كما يطلق عليهم لفظ السريان، ويـتكلمون الآرامية، المسعودي، أبو الحسن علي بن المحسن (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م)، التنبيه والإشراف، ليدن، مطبعة بريل، ١٩٦٧م، ص٣٦-٣٧.

[3] ابن الفقيه، بغداد، ص٥٧، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١، ص١١١.

[4] كـربلاء : موقـع بالقرب من الكوفة، قتل فيه الحسين بن علي – رضي الله عنه – وتسمى كرب وبلاء، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص٤٤٥.

[5] النجف : مكان قرب الكوفة، بالقرب منه قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٥، ص٢٧١.

[6] سامح، العمارة في صدر الإسلام، ص٧٧.

[7] سليمان، سوسن، آثارنا الإسلامية، العمارة في صدر الإسلام والعصر العباسي الأول، القاهرة، دار نهضة الشرق، ٢٠٠٠م، ط١، ص١٥٢.

٤. خان عاصم :

ونسب هذا الخان إلى محمد بن عاصم أبو جعفر[1]، الذي أطلق عليه الخطيب البغدادي صاحب الخانات[2]، ويبدو إنه يمتلك سلسلة من الخانات، وقد أمر المتوكل بقتله سنة (٢٤١هـ/٨٥٣م) لأنه سب الصحابة، مثل: أبي بكر وعمر وعائشة[3]، وبقي هذا الخان قائماً إلى أيام الخليفة المستظهر بالله (٤٨٧هـ-٥١٢ م/١٠٩٤م-١١١٨م) الذي نقض ذلك الخان وأنشأ دار الرياحين مكانه، ويوجد وراء هذا الخان دكاكين عديدة تقابله حوانيت كثيرة وأماكن لبيع الذهب[4]. ويبدو أن هذا الخان يحتل أهمية تجارية واقتصادية، وذلك كونه محاطاً بالأسواق والحوانيت وأماكن بيع الذهب.

٥. خان السندي :

هذا الخان موجود في بغداد، ويقوم بمهمات علمية علاوة على المهمة الأساسية الاقتصادية التي أنشئ من أجلها[5]، كما ذكر اليعقوبي عدداً من الخانات في بغداد مثل: خان الحكم[6]، خان النجائب[7]، الذي كان بجواره اصطبل يدعى اصطبل الموالي[8]، كان مكاناً للدواب.

ومن خانات بغداد كذلك، خان اليمانية[9]، وخان حامد في درب الزعفران[10]، وخان إسحاق الواقع في حي الكرخ[11].

---

(١) محمد بن عاصم أبو جعفر : كان في بغداد يدعى صاحب الخانات، وكان يقال له عاصم منسوباً إلى أبيه، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج٣، ص٣٥٥.

(٢) تاريخ بغداد، مج٣، ص٣٥٥.

(٣) حمادة، محمد ماهر، الوثائق السياسية والإدارية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٦٧م، مج٢، ص٤٠١، صقر، نادية، مطلع العصر العباسي الثاني، السعودية، دار الشروق، ١٩٨٣م، ص١٩٣.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٤٢٠، الخطيب، غاية المرام، ص٢٨.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١٣، ص٣٢١.

(٦) تاريخ اليعقوبي، مج٢، ص٤٥١.

(٧) البلدان، ص٣٣، العلي، بغداد، مج١، ص٢٠١.

(٨) ابن رستة، الأعلاق النفيسة، مج٧، ص٣٤٣.

(٩) العلي، بغداد، مج١، ص٢١.

(١٠) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج٧، ص٣١٤.

(١١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١١، ص٣٣٣.

وخان دلّة[1]، وغيرها.

نلاحظ من ذلك أن الخانات في بغداد حملت أسماء متعددة ومتنوعة، بعضها يعـود إلـى صاحب هذا الخان مثل : خان وردان، خان أبو زياد، خان عاصم أو نسبة إلى المكان الذي يقع فيه الخان، أو نسبة إلى التجار الذين خصصت لهم هذه الخانات مثل خان اليمانية. وقد قال شاعراً في خانات بغداد :

يـا مَنْ يؤم إلـى بغدادَ مجتهـداً   أرحْ مطيّك بين الحَبْس والخـان[2]

"البسيط"

رابعاً: العاملون في الخان:

تألف طاقم العاملين في الخان من عدة أشخاص، ولكل خان شخص مسؤول عن إدارته وتجهيزه بكل ما يحتاج إليه من اللوازم، ويهتم بإدارته، كما وجد هناك صاحب الخان[3].

كمـا وجـد فـي الخـان عدد من العاملين، مثل: المنادون، كاتب العدل، السمسـار، المقيّم لتقييم البضائع وأسعارها، المترجم، وخاصة في الخانات الواقعة فـي الـثغور[4]. كما وجد في الخانات من يقوم بحراستها وحراسة البضائع فيها والتجار والأمتعة خوفاً من سرقتها، وكان يسمى حارس الخان[5]، وكان التجار في الخانات وغيرها من المراكز التجارية ينشئون نقابة متخصصة تدعى "نقابة التجار" ويـتم تعيين رئيس وأعضاء لها من التجار، تتولى مراقبة الغش وأنواعه، وضمان سلامة المعاملات التجارية[6].

---

[1] التنوخي، الفرج بعد الشدة، مج٢، ص٥٨، ٥٩.

[2] ابن الفقيه، البلدان، ص١٥٨.

[3] التنوخي، الفرج بعد الشدة، مج٤، ص١٤٦.

[4] الرفاعي، الإسلام في حضارته، ص٣٢٣، الزيود، التاريخ الاقتصادي، ص٢٢٢

[5] التنوخي، الفرج بعد الشدة، مج٤، ص١٤٦، التنوخي، نشوار المحاضرة، مج٢، ص٩٩

[6] لوبون، حضارة العرب، ص٢١٧

خامسا: دور الخانات في الحياة العامة:

أنشئت الخانات في الأصل لأغراض تجارية وأهداف اقتصادية، حيث يتم فيها البيع والشراء وخزن البضائع، ويجد التاجر فيها الحماية والراحة والأمان، إلا أن الخانات في الوقت نفسه لها أدوار أخرى في الحياة العامة في بغداد، سواء أكانت سياسية أو أدبية أو ثقافية أو اجتماعية أو دينية وغيرها. كما قامت بدور تعليمي، وساعدت في تعليم روادها النازلين فيها، وإن كان دورها التعليمي ثانوياً إذا ما قورن بالتعليم في المؤسسات الأخرى، فكانت ملجأ للطلبة والعلماء والشعراء والمحدثين، فيذكر أن عبد الله بن المبارك[1] (ت ١٨١هـ / ٧٩٧م)، كان كثير التردد على طرسوس[2]، ويجمع الأحاديث، وكان ينزل في الطريق في خان في الرقة، وذلك للراحة والعلم والمذاكرة[3]. وكانت تعقد حلقات الحديث فيها، فكان ابن حماد الضبي[4](ت ٢٣٩هـ/٨٥٣م) يحدث في خانات بغداد سنة(٢٣٠هـ/ ٨٤٤م) [5]، ونوح بن حبيب القومسي[6] (ت ٢٤٢هـ/٨٥٢م) يقوم بمهمة التعليم في خان السندي في بغداد سنة (٢٤٠هـ/٨٥٤م) [7].

ويشير قيام الخانات بالأدوار العلمية في بغداد في العصر العباسي إلى أن المجتمع حاول استغلال كل ما من شأنه أن يساهم في بناء الحركة العلمية والثقافية، حتى وإن كانت مؤسسات اقتصادية.

---

[1] عبد الله بن المبارك: عالم الحديث، كان جامعا للعلم وشاعرا من أهل خراسان، قدم إلى بغداد وحدث فيها إلى أن توفي سنة (١٨١هـ/٧٩٧م) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١٠، ص١٥١-١٦٧.

[2] طرسوس: بلدة تقع بثغور الشام بين انطاكية وحلب، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٢٨.

[3] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١٠، ص١٥٨.

[4] كميت بن حماد الضبي الوراق: كان عالما ومحدثاً، توفي في بغداد سنة (٢٣٩هـ/٨٥٣م)، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج٧، ص٣٠٥.

[5] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج٧، ص٣٠٥، نجم، فائق، "التعليم في بغداد" مقالة ضمن كتاب بغداد في التاريخ، بغداد، جامعة بغداد، ١٩٩٥م، ص٤٣٦، أبو زريق، ناصر، دور العصر العباسي في توسيع دائرة الفكر التربوي الإسلامي، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك ١٩٩٥م، ص١٠١.

[6] نوح بن حبيب القومسي: قدم إلى بغداد وحدث بها، وتوفي سنة (٢٤٢هـ/٨٥٥م) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١٣، ص٣٢١-٣٢٢.

[7] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١٣، ص٣٢١.

كمـــا كـــان للخانات في بغداد في العصر العباسي أدوار اجتماعية، فكانت مكانـــا للفقراء والمسافرين والرحالة[1]، والمرضى[2]، كما تعتبر مؤسسات نشطة اجتماعـــيا وخاصة أن بعضها مخصص لجالية من الجاليات الأجنبية، حيث يلحق بها كنيسة صغيرة للتجار، ويسمح لهم بإحضار الخمور، لكي يتوفر لهم داخل هذه المؤسسة مناخ يتوافق مع معيشتهم وتجاراتهم[3].

كما كان للخانات في بغداد أدوار دينية، فكثير من الخانات كانت تحتوي في الطـــابق العلـــوي غرفاً للسكن، ومسجداً صغيراً لإقامة الشعائر الدينية، وكانت تتم رواية الأحاديث في بعضها[4]. ويذكر التنوخي أن قاضيا كان يلقي دروساً في الفقه والشريعة في أحد خانات بغداد [5].

مـــن خـــلال العرض السابق للخانات ونشأتها وتطورها نستطيع القول أن العـــرب المســـلمين أنشأوا المحطات ودور الضيافة منذ بداية العصور الإسلامية، وكانـــت هـــذه المحطـــات تقدم الخدمة للتجار والمسافرين، وتقوم بوظيفة الخانات ذاتها، وبعد ذلك بدءوا ببناء الخانات على الطرق التجارية، وتطورت فيما بعد من حيث المرافق، وأصبح فيها مساجد وحمامات وغيرهما.

لقـــد وجدت الخانات في بغداد بنوعيها: خان التجار والمسافرين، وقد بلغت هـــذه الخانـــات مستوى عالياً من التنظيم، حيث وجد فيها الموظفون الذين يقومون بتنظيم هذه المؤسسة، ولم يقتصر دورها في بغداد في العصر العباسي على الدور الاقتصادي فقط، بل تجاوزت ذلك إلى أدوار أخرى: اجتماعية وتعليمية ودينية.

---

[1] ابن الجوزي، المنتظم، مج١٢، ص١٨١، المدور، حضارة الإسلام، ص٢٤.

[2] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٦، ص٥٦٧.

[3] عاشور "الحياة الاجتماعية" ، ص١٢٤.

[4] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج٧، ص٣٠٥، مج١٣، ص٣٢١.

[5] نشوار المحاضرة، مج١، ص٩٧.

ثالثا: القياسر والوكالات

مـــن المفترض وجود القياسر والوكالات في تلك الفترة إلا أن دورها كان ثانويـــا إذا ما قورن بالمؤسسات الاقتصادية الأخرى، وكانت القياسر تنشأ للأجانب علـــى اختلاف جنسياتهم، ويذكر ياقوت الحموي، إنها سميت بذلك نسبة إلى مدينة قيسارية[١] الواقعة على ساحل بحر الشام[٢].

والقياســـر كلمة محرفة من اللاتينية (Caesarea) وتقوم بمهمة الأسواق، وهـــي عبارة عن أبنية مستطيلة أو مربعة الشكل، وتأتي على هيئة سوقٍ واسعة، تحفـــظ فـــيها البضائع الأجنبية، وتضم دكاكين قد تزيد على عشرين دكانا ويعلوها طابق ثانٍ، وأحيانا تشتمل على خمسة إلى ستة طوابق، وقد تلحق بمسجد أيضا[٣].

وقـــد شـــبهها ابـــن جبير بالخانات وحولها الدكاكين والأسواق وأبوابها من الحديـــد[٤]، محكمة الإغلاق، وتحتوي حجرات لإقامة التجار مقابل الأجر، ويصل عدد الحوانيت فيها ما بين ثلاثين إلى أربعين حانوتاً، وأحيانا يتم استخدام سطوحها لبناء الرباع التي تحتوي مساكن للتجار وغير التجار[٥].

وتوجد هذه القيساريات على الطرق التجارية والمحطات، ويتم فيها الاتجار بكميات كبيرة من الإنتاج المحلي والأجنبي، كما إن الحماية فيها متوفرة، بحيث يتم إغلاقهـــا لـــيلا عـــلاوة على وجود حارس أو أكثر لحمايتها[٦]. وقد أنشأ العرب المســـلمون القياســـر منذ بداية الفتوحات الإسلامية، فبعد أن فتح المسلمون مصر

---

[١] قيسارية: بلدة تقع على ساحل بحر الشام، وتعد من أعمال فلسطين، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص٤٢١.

[٢] ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص٤٢١.

[٣] ابن كثير، البداية والنهاية، مج١٤، ص٢٣٦.

[٤] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ١٨٩.

[٥] المقريـــزي، تقـــي الدين أحمد (ت ٨٤٥هـــ/١٤٤١م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٨٨م، مج٢، ص ٥٦١، غوانمة، التاريخ الحضاري، ص٨٣، سرور، تاريخ الحضارة، ص١٦١.

[٦] عزب: خالد، فقه العمارة الإسلامية، مصر، دار النشر للجامعات، ١٩٧٧م، ط١، ص٥٥.

وبنوا الفسطاط[1] أنشأوا فيها القياسر، وفي العصر الأموي، أنشأ هشام بن عبد الملك قيساريه للاتجار بالبز. وفي سنة (٣٣٠هـ/٩٤١م) أنشأ محمد بن طغج[2] قيساريه بدر للاتجار بالمنسوجات[3].

إما الوكالات فكانت تقوم بوظائف مزدوجة من حيث الخزن والتسويق ويسمى صاحبها صاحب دار الوكالة، وهي عبارة عن مخازن كبرى يتم فيها بيع مختلف أنواع البضائع، كما تعرف بدار الوكالة[4]، وتشتمل على طوابق، يتم خزن البضائع في الطابق الأرضي، وفي الطابق العلوي مساكن للتجار، وتعرف باسم صاحبها أو باسم البضاعة المباعة فيها، وقد تنشأ من قِبل الحكومة أو الأثرياء، وتقوم بوظيفة الخان نفسه[5].

أما مكان إقامتها ففي الغالب تقام داخل المدن التجارية أو بالقرب من مراكز التجارة وذلك لخدمة التجار والتجارة[6]، وهي عبارة عن مبنى محاط بالأسواق، ويحتوي على عدداً من الحجرات، وأحياناً تحتوي ثلاثة أو أربعة طوابق، الأرضي يخصص للحوانيت التي تفتح على الشارع من أجل التجارة، وأحياناً يلحق بها مسجد صغير لإقامة الشعائر الدينية[7].

ويتضح مما تقد أن القياسر ودور الوكالة عبارة عن مؤسسات اقتصادية مكملة للأسواق، تهدف إلى تنشيط التجارة، وحفظ البضائع والأموال، ومكاناً للسكن والإقامة[8]، فلا تختلف في وظائفها كثيراً عن الخانات[9].

---

(1) الفسطاط: ضرب من الأبنية، وقيل هي الخيمة التي بناها عمر بن العاص أثناء فتحه لمصر في عهد عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص٢٦١.

(2) محمد بن طغج الأخشيدي: ولد ببغداد، وتولى أمارة الديار المصرية، وولاه الراضي على مصر والشام والحجاز، وتوفي في دمشق ودفن في القدس، الصفدي، الوافي بالوفيات، مج٣، ص١٧١، الزركلي الأعلام؛ مج٧، ص٤٤.

(3) البلوي، عبد الله بن محمد المدني (ت ٣٣٠هـ/٩٤١م)، سيرة أحمد بن طولون، تحقيق محمد كرد علي القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٧٠م، ص٥١، ٨١، ١٨٠.

(4) القلقشندي، صبح الأعشى، مج٤، ص١٨٧، المقريزي، الخطط المقريزي، مج٢، ص٢٥٦.

(5) المقريزي، خطط المقريزي، مج٢، ص٥٧٦.

(6) عاشور، سعيد عبد الفتاح وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، مصر، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦م، ص٣٠٠.

(7) عزب، فقه العمارة، ص٥٥.

(8) ابن كثير، البداية والنهاية، مج١٤، ص٤٣٦.

(9) المقريزي، خطط المقريزي، مج٢، ص٥٥٧، حسن، تاريخ الإسلام، مج٣، ص٣٣٧.

الفصل الثاني : المؤسسات الاجتماعية

أولاً : الحمامات:

أولاً : تعريف الحمام ونشأته.

ثانياً : الحمامات في بغداد.

ثالثاً : أنواع الحمامات.

أ- الحمامات الخاصة.

ب- الحمامات العامة.

رابعاً : العاملون في الحمامات.

خامساً: الإشراف على الحمامات.

سادساً : دور الحمامات في الحياة العامة.

١. دور الحمامات في الحياة السياسية.

٢. دور الحمامات في الحياة الاجتماعية.

٣. دور الحمامات في الحياة الاقتصادية.

٤. دور الحمامات في الحياة الدينية.

٥. دور الحمامات في الحياة الأدبية.

ثانياً : البيمارستانات:

أولاً : تعريف البيمارستان ونشأته.

ثانياً : البيمارستانات في بغداد.

أ- البيمارستانات العامة.

١. بيمارستان الرشيد.

٢. بيمارستان البرامكة.

٣. البيمارستان الصاعدي.

٤. بيمارستان بدر غلام المعتضد.

٥. بيمارستان الحربية.

٦. البيمارستان المقتدري.

٧. بيمارستان السيدة.

٨. بيمارستان ابن الفرات.

٩. بيمارستان بجكم.

١٠. بيمارستان الراضي.

ب- البيمارستانات المتخصصة.

١. بيمارستان المجذومين.

٢. بيمارستان الأمراض العقلية.

٣. بيمارستان السجون.

٤. البيمارستانات المتنقلة.

أ- البيمارستان المدني.

ب- البيمارستان العسكري.

ثالثاً : أ. التنظيم الإداري للبيمارستانات.

١. ناظر البيمارستان.

٢. رئيس البيمارستان.

٣. رؤساء الأقسام.

٤. الأطباء.

٥. الصيادلة.

٦. الممرضون.

ب- النفقات .

١. رواتب وصلات الأطباء والموظفين.

٢. نفقات البيمارستان.

أولاً : الحمامات

أولاً : تعريف الحمام ونشأته

ثانياً : الحمامات في بغداد

ثالثاً : أنواع الحمامات

رابعاً : العاملون في الحمامات

خامساً : الإشراف على الحمامات

سادساً : دور الحمامات في الحياة العامة

١. دور الحمامات في الحياة السياسية
٢. دور الحمامات في الحياة الاجتماعية
٣. دور الحمامات في الحياة الاقتصادية
٤. دور الحمامات في الحياة الدينية
٥. دور الحمامات في الحياة الأدبية

أولاً: تعريف الحمام ونشأته :

عرفت بغداد المؤسسات الاقتصادية في العصر العباسي، كما حفلت بالمؤسسات ذات الصبغة الاجتماعية المتعددة الأنشطة، التي قام الخلفاء بإنشائها والاهتمام بها، وقامت هذه المؤسسات بنشاط اجتماعي ملحوظ، وساهمت بدور كبير في الحياة العامة في بغداد، مثل : الحمامات والبيمارستانات والسجون[١].

والمعنى الحرفي للحمام هو المسخن، ويسمى بالفارسية جاميكان[٢]، ويعرّف البستاني الحمام بقوله : المغسل المعروف، والجمع حمامات، والحمّامي حافظ الحمام وصاحبه[٣]، وقد ظهرت الحمامات منذ أقدم العصور، فيذكر أن أبقراط[٤] أول من اتخذ الحمامات، وقيل أن سليمان بن داؤود – عليهما السلام – أول من اتخذها، وضعها له الجن[٥].

ووجدت الحمامات عند اليونان والرومان بنوعيها : العامة والخاصة، كما كانت هناك حمامات خاصة للرجال، وحمامات خاصة للنساء، وهي منظمة بحيث قسمت إلى ثلاثة أقسام : قاعة الحمام الباردة، قاعة الحمام المعتدلة، قاعة الحمام الساخنة[٦].

---

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١، ص١٢٣، حتاملة، المعتمد، ص١١١.

(٢) هيوار، الحمام، دائرة المعارف الإسلامية، نقلها إلى العربية إبراهيم خورشيد، تهران، منشورات انتشارات جيهان، د.ت، مج٨، ص٦٨.

(٣) محيط المحيط، ص١٩٧.

(٤) أبقراط : طبيب يوناني قديم يدعى أبو الطب، وضع عهداً يسمى عهد أبقراط، ومارس مهنة الطب في عدة مناطق، توفي وعمره خمس وتسعون سنة، ابن أبي اصيبعة، موفق الدين أحمد (ت ٦٦٨هـ/١٢٧٠م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٦٥م، ص٤٣-٤٤.

(٥) المقريزي، خطط المقريزي، مج٢، ص٥٣٦.

(٦) ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٦٦، غوانمة، التاريخ الحضاري، ص٢٢٦، بشير، محمد "الحمامات تاريخها، فوائدها، أنواعها" المقتطف، ع٦٧، ١٩٢٥م، ص٣٢٢.

أمـــا عن الحمامات الإسلامية، فيذكر أن فكرتها وتقسيمها جاءت من فكرة الحمامات عند اليونان والرومان[١]، وكان الرسول – صلى الله عليه وسلم – يسمح للرجال بدخول الحمامات من أجل النظافة بشرط ارتداء المئزر[٢].

واشتهرت الحمامات في العصر الأموي بنوعيها: العامة والخاصة، وكانت تشـــيد فـــي الأماكن الرئيسية، ويخصص لها مداخل رئيسية[٣]، وكان حمام قصير عمرة[٤] في تلك الفترة من أشهر الحمامات، والذي يعود بناؤه إلى عصر الوليد بن عـــبد الملك[٥] وكانت هذه الحمامات قد شيدت من قبل الأمويين، وكانت دمشق من أكثر المدن شهرة في حماماتها في تلك الفترة، فيذكر أن الوليد بن عبد الملك عندما بـــنى المســـجد الأمـــوي خطب في أهل دمشق قائلاً : تفخرون على الناس بأربع خصـــال: تفخرون بمائكم وهوائكم وفاكهتكم وحماماتكم، فأحببت أن يكون مسجدكم الخامسة[٦].

---

[١] مـــتز، الحضارة الإسلامية، مج٢، ص٢٢٣، أبيض، أنيس، بحوث في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، لبنان، جروس بروس، ١٩٩٤م، ط١، ص٥٨.

[٢] ابن الحاج، محمد بن محمد (ت ٧٣٧هـ/١٣٣٦م)، المدخل، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٢م، ط٢، مج٢، ص١٧٤، حتي وآخرون، تاريخ العرب، ص٤٠٦.

[٣] الروســـان، محمد، تطور الحمام في بلاد الشام في العصر الإسلامي المبكر في ضوء المصادر التاريخية والمستجدات من الاكتشافات الأثرية، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ١٩٨٩م، ص٧٧.

[٤] حمـــام قصـــير عمـــرة: يقع على بعد ٨٥ كم إلى الشرق من عمان، وفيه عدة حجرات وشيد من الحجر المتوسط، الروسان، تطور الحمام، ص٩٠.

[٥] غوانمة، التاريخ الحضاري، ص٢٢٦، بيشه، غازي "نقش عربي من قصر المشتى وأهميته" حولية دائرة الآثار العامة، عمان، مج٢٧، ١٩٨٣م، ص٧.

[٦] النعيمـــي، عبد القادر بن محمد (ت ٩٧٨هـ/١٥٧٠م)، الدارس في تاريخ المدارس، بيروت، دار الكتب، ١٩٩٥م، مج٢، ص٢٩٤.

ثانياً: الحمامات في بغداد:

اهتم خلفاء بني العباس بانشاء المؤسسات الاجتماعية المخصصة لخدمة العامة في بغداد في العصر العباسي، وخاصة الحمامات التي بدأوا بإنشائها منذ عهد المنصور في مختلف أنحاء بغداد بناءً على أمر من المنصور[١]، حتى أصبحت الحمامات مضرباً للأمثال[٢]، وبقيت كذلك حتى فترات متأخرة. وظاهرة تعدد الحمامات في بغداد إن دلت على شيء فإنما تدل على مدى الاهتمام بالنظافة، ومدى التقدم الحضاري والعمراني فيها[٣].

وتعدد الحمامات جعل المؤرخين يهتمون بإحصائها في هذه الفترة، فيذكر إنه في الجانب الشرقي من بغداد في أوائل القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي بلغ عدد الحمامات حوالي خمسة آلاف حمام[٤]، وفي أوائل القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي بلغ حوالي عشرة آلاف حمام[٥]، أما زمن المقتدر فوصل عددها إلى سبعة وعشرين ألف حمام تقريباً[٦]، وقدرت بإحصائية أخرى بحوالي ستين ألف حمام[٧].

---

[١] اليعقوبي، البلدان، ص٣١، ابن رستة، الإعلان النفيسة، مج٧، ص٢٤٢، العمد، تاريخ الدولة العباسية، ص ٣٨٠، عبد الرؤوف، عصام، دراسات في تاريخ الدولة العباسية، القاهرة، دار الفكر ١٩٩٩م، ص٦٧.

[٢] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١، ص١٣١، ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص٢٤، حسن، تاريخ الإسلام مج٢، ص٣٠٧، الخربوطلي، الحياة الاجتماعية، ص٢٤٠.

[٣] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مج١، ص٤٠٢، العش، تاريخ عصر الخلافة العباسية، ص٢٥٩.

[٤] اليعقوبي، البلدان، ص٥٠، متز، الحضارة الإسلامية، مج٢، ص٢٢٥، الزيود، التاريخ الاقتصادي، ص ٤٤٦، محمود، حسن أحمد والشريف، أحمد، العالم الإسلامي في العصر العباسي، القاهرة، دار الفكر، ١٩٨٢م، ط٥، ص٢٤٦.

[٥] اليعقوبي، البلدان، ص٤٣، ماجد، العصر العباسي الأول، مج١، ص١٠٤، رمضان، حضارة الدولة العباسية، ص٥٥.

[٦] ابن الفقيه، بغداد، ص٢٣، ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص٢٤، حتي وآخرون، تاريخ العرب، ص٤٠٦، ليسنر، خطط بغداد، ص١٢٦.

[٧] ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص٢٤، ابن الجوزي، المنتظم، مج٨، ص٨٢، الأربلي، عبد الرحمن بن سنبط (ت ٧١٧هـ/١٣١٧م)، خلاصة الذهب المسبوك، تصحيح مكي السيد جاسم، بغداد، مكتبة المثنى، د.ت، ص٧٦، عواد، ميخائيل، صور مشر ن حضارة بغداد في العصر العباسي، بغداد، دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٦م، ط٢، ص١٠٧.

الحمــام يعطــي ثلاثاً من المآزر، ولكل مئزر وظيفة محددة، الأول يتزر به عند دخوله الحمام، والثاني يجفف به الجسم من الماء والرطوبة، والثالث يتزر به عند الخــروج من الحمام، ويلبس من يريد الدخول أحذية خشبية ونعالاً خاصة، لحماية القدمين من الرخام الشديد الحرارة[1].

أمــا نظــام التصــميم الداخلــي للحمام، فيتكون الحمام من ثلاث بيوت أو مــراحل: الأول، البيــت البارد والثاني، البيت المسخن، والثالث البيت المجفف أو الحــار[2]، ويهدف هذا التصميم للحمام إلى عدم تعرض الشخص إلى تأثير الهواء نتـيجة انــتقاله من مكان إلى آخر مختلف تماما في درجة الحرارة، أنظر الملحق رقــم (٥) وإذا وجــد من كان فقيرا أو غريبا تتم مساعدته في هذه الحالة بإعطائه مئزرا إعارة أو إيجاراً[3].

أمــا أرضــية الحمامات فتفرش بالرخام، ويطلى النصف الأسفل من بيت الاســتحمام أو البيت الحار بالقار (مادة تشبه الصلصال) ويجلب من عين تنبع به تقــع بيــن البصرة والكوفة، ويجلب منها، ويطلى به جدران الحمام[4]، أما الجزء العلــوي من بيت الحمام فيطلى بالجص الأبيض الناصع، ويوجد به أحواض، وكل حــوض يحــتوي أنبوبا للماء البارد وآخر للماء الحار، ويتم تسخين المياه بالموقد الخــاص كما استعملت في الحمام العديد من الأدوات كالصابون[5]، وورق السدر (ورق عــريض مدور أوراقه خشنة وله العديد من الاستعمالات) وورق الخطمي (نــوع من الأعشاب، أوراقه مستديرة، وله العديد من الاستعمالات والفوائد، منها:

---

(١) هيوار، الحمام، دائرة المعارف الإسلامية، مج٨، ص٦٨.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، مج١، ص٣١٤، الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٨٦، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٨، ص٣٠١، ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٦٦.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، مج١٠، ص٨١، الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٨٨.

(٤) ابــن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٨٣، ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص٢١٧، الأقرطجي، بناء بغداد، ص١٤٠، حتي وآخرون، تاريخ العرب، ص٤٠٧، متز، الحضارة الإسلامية، مج٢، ص٢٢٥.

(٥) الخطيــب الــبغدادي، تــاريخ بغداد، مج١، ص١٣٠، ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص٢٤، ابن الجوزي، المنتظم، مج١٢، ص٣٨٢.

٧- **المدلّك:** يقوم بتدليك جسم المستحم[١].

٨- **الزبال**[٢]: يتولى تنظيف الحمام من الأوساخ[٣]، وهناك أيضا: السقّا[٤] وكناس الوقـود[٥] والخادم[٦] وغيرهم. ويوجد بكل حمام موظفون لكل قسم، وربما يصل عـدد هـؤلاء الموظفين إلى الضعف، وكانت هذه الخدمات تقدم للزبائن والرواد مقـابل أجـر معيـن لهذه الخدمات[٧]. أنظر الملحق رقم (٦) أما الحمام الخاص بالنسـاء، فيعمل به نساء يشرفن على سير العمل والمحافظة على الآداب العامة، والفصـل في المنازعات التي تحدث بين النساء، كما كان المحتسب يفرض بدوره على هؤلاء العاملين شروطا معينة يجب التقيد بها[٨].

وكانـت الحمامـات في العصر العباسي ما تتعرض للسرقة كثيراً ، حيث تسـرق ملابس وأحذية روّاد الحمام، وتخصصت جماعة من اللصوص بهذا النوع من السرقات، بحيث يسرقون أو يبدلون ثيابهم العتيقة بما هو أجدد منها[٩]، ويذكر الصـولي في هذا الصدد في أحداث سنة (٣٢٧هـ/٩٣٩م) ونتيجة لغلاء الأسعار ومـا رافـق ذلك من فتن واضطرابات، قامت العامة في بغداد بسرقة ثياب رواد الحمامات[١٠].

• خامسا: الإشراف على الحمامات:

خضـعت الحمامات لمراقبة الدولة عن طريق المحتسب، تفاديا لأي مشاكل أو خلل في النظام، وهو مسؤول عنها من النواحي كافة، سواء أكانت معمارية أو

---

(١) الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٨٨، عاشور "الحياة الاجتماعية"، ص١٢٠.
(٢) ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص٢٤، الأربلي، خلاصة الذهب المسبوك، ص٧٦.
(٣) زيدان، تاريخ التمدن، مج٢، ص٤٣٠.
(٤) ابـن الجوزي، المنتظم، مج٨، ص٨٢، العش، تاريخ عصر الخلافة العباسية، ص٢٥٨، الأقرطجي، بناء بغـداد، ص١٣٩، غوانمة، يوسف، تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي، الزرقاء، دار الحياة للنشر والتوزيع، ١٩٨٢م، ص١٣٧.
(٥) ابن الفقيه، بغداد، ص٩١، ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص٢٤.
(٦) مسكويه، تجارب الأمم، مج١، ص٢٨٩، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٨، ص٣٠٠.
(٧) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١٤، ص٤١٣، ياغي، الحياة الاجتماعية، ص٧٧
(٨) الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٨٧، ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٦٧.
(٩) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج٦، ص٣٨٤، الخربوطلي، الحياة الاجتماعية، ص٢٤١.
(١٠) أخبار الراضي بالله، ص١٣٣.

صـــحية أو أخلاقـــية وغيرها، وكثيراً ما تعرض موظفو الحمامات إلى العقوبات والحبس[1].

فكـــان المحتسب يشرف على الحمامات من الناحية المعمارية، بحيث يكون البـــناء سليماً، ويشترط فيه أن يكون واسعاً، حتى تنتشر الحرارة بسهولة فيه، كما إن الضوء كان من أهم الشروط التي يجب أن تتوافر في الحمام، وأن يكون الماء غزيـــراً والوقـــود خالياً من الدخان والروائح الكريهة، ويفضل استخدام الوقود من الحطب والسرو والبلوط والشعير والتوت وأشباهها[2].

واشـــترط على العاملين فيها غسلها وتنظيفها بالماء أكثر من مرة في اليوم، كمـــا يستعمل المواد الخشنة لتنظيفها أكثر[3]، كما يأمرهم بغسل الأحواض في كل يـــوم مـــن الأوساخ المتعلقة في المجاري، والتي قد تؤدي إلى تغيير لون ورائحة الماء[4].

كما يأمر المحتسب الموظفين في الحمامات بإشعال البخور والمواد المعطرة أكثر من مرة في اليوم[5] ويأمر صاحب الحمام بتوفير المآزر في الحمام لتأجيرها للناس، وخاصة الغرباء الذين يرتادون الحمامات[6]، وأن تكون هذه المآزر واسعة عريضـــة[7]، كما يأمر الناطور بالحفاظ على ملابس الزبائن من السرقة، ويشترط فـــي الحـــلاق عدم تناول الأطعمة التي من شأنها أن تؤذي الزبائن كالبصل والثوم وغيرهما[8].

ومـــن الشـــروط العامة أيضا في الحمامات، منع دخول أصحاب الأمراض المعدية كالجذام[9]

---

(1) التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ص١٩٤

(2) إلياس، بستان الأطباء، ص١٠، المناوي، النزهة الزهية، ص٦١.

(3) ابن الأخوة، المغبة والرغبة، ص٦٧، الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٨٧، ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٦٧

(4) الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٨٧، ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٦٧.

(5) ابن الأخوة، المغبة والرغبة، ص٦٨، الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٨٧، ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٦، غوانمة، تاريخ نيابة بيت المقدس، ص١٣٧، زيادة، الحسبة والمحتسب، ص١١٩.

(6) الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٨٨، ابن الجوزي، المنتظم، مج١٠، ص٨١.

(7) ابن الأخوة، المغبة والرغبة، ص٦٨، الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٨٨.

(8) ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٦٨.

(9) الجـــذام: مرض معدي يظهر على الجلد بشكل بقع، وهو خبيث كالسرطان، يبدأ باللون الأحمر ثم يتحول إلـــى اللـــون الأسود، ابن سينا، الحسين بن عبد الله بن علي (ت ٤٢٨هـ/١٠٧٢م)، القانون في الطب، بيروت، دار صادر، ١٩٨٨م، مج٣، ص١٤٠-١٤١.

والـــبرص[1]، ويلـــزم القـــيّم أثـــناء الصـــعـــود إلـــى الخـــزانة لفـــتح المـــاء إلـــى الأحـــواض أن يغســـل رجلـــيه قبل الصعود إليها[2]، كما يمنع أي شـــخص من دخول الحمام بغير مئزر[3]، ويلزم أصحاب الحمامات إنشاء شبكات صرف خاصة لتصريف مياه الحمامات، بدلا من تصريفها في نهر دجلة[4].

سادسا: دور الحمامات في الحياة العامة:

١- دور الحمامات في الحياة السياسية:

شـــارك أصحاب الحمامات وروادها في الحياة السياسية، وبدأت مشاركتهم مـــنذ الفتـــنة بين الأمين والمأمون، فعندما وقف تجار الكرخ إلى جانب الأمين في الـــبداية وبعد ضعف موقف الأمين، تحول موقف تجار الكرخ إلى جانب المأمون، وأخـــبروا قـــائد المأمون طاهر بن الحسين أن الذين قاتلوه هم أصحاب الحمامات وليس تجار الكرخ[5].

واستخدمت الحمامات أماكن للعقاب في العصر العباسي، حيث شهدت عدداً مـــن حـــالات القـــتل والتعذيب، ومن ذلك ما حدث زمن الأمين عندما حُبس رجلٌ يدعـــى قمامة في الحمام ورفعت درجة حرارة الحمام إلى أن مات فيه[6]. وتكرر

---

(1) البرص: مرض مزمن يصيب الجلد، يؤثر في لونه، وهو من مقدمات الجذام، ولا يبرأ أبدا، ويسبب تخزق في الجلد مع خشونة شديدة، ابن سينا ، القانون في الطب، مج٣، ص١٨١-١٨٢.

(2) الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٨٨

(3) ابن الجوزي، المنتظم، مج١١، ص٣٣٤، السامرائي، المؤسسات الإدارية، ص٣٢٣

(4) ابن الجوزي، المنتظم، مج١٦، ص١٦٦، أبيض، بحوث في تاريخ الحضارة، ص٥٧.

(5) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٨، ص٤٦٨.

(6) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج٢، ص٤٣٤، ابن النجار، الحافظ محب الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين (ت ٦٤٣هـــ/١٢٤٥م)، ذيـــل تـــاريخ بغداد، تحقيق مصطفى عبد القادر، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م، مج١٦، ص٣٦.

ذلـــك زمن المأمون، حيث قتل وزيره الفضل بن سهل[1] في الحمام سنـــة (٢٠٢ هـ/٨٢٢م) [2].

كمــا استخدم موظفو الحمامات في المهمات الاستخبارية، كونهم يختلطون كثيراً بالناس ويعرفونهم، ففي سنة (٢٣١هـ/٨٤٦م) كان صاحب الشرطة إسحاق ابن إبراهيم[3] يبحث عن أحمد بن مالك الخزاعي، الذي خالف القول بخلق القرآن، وبايعــه العديــد من الأشخاص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولم يجده إلــى أن دل علــيه أحــد موظفــي الحمامات، وأخبر صاحب الشرطة عنه وعن أتباعه[4].

وســاهم أصحاب الحمامات في الحياة السياسية في أثناء الفتنة التي رافقت تولــي المســتعين الخلافة سنة (٢٤٨هـ/٨٦٢م) حيث قام أصحاب الحمامات في بغداد بالدفاع عنها[5].

٢- دور الحمامات في الحياة الاجتماعية:

كــان للحمامــات في بغداد دور اجتماعي في العصر العباسي، فلم تقتصر أهميتها على كونها أماكن للنظافة فقط، بل كان لها نشاطها الاجتماعي، فالحمامات أمكنة لتناقل الأخبار والأحداث من سياسية واجتماعية[6]، وكثيرا ما كان أصحابها يشاركون ويساهمون في أحداث الشغب مع عامة الناس في بغداد[7].

---

(١) الفضــل بــن سهل: يلقب بذي الرئاستين لتدبيره السيف والقلم، خدم المأمون وقتله سنة (٢٠٢هـ/٨٢٢م) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١٢، ص٣٣٦-٣٣٩، الزركلي، الإعلام، مج٥، ص٣٥٤.

(٢) الطـبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٨، ص٥٦٥، الأزدي، جمال الدين أبــو الحسن علي بــن منصور (ت ٦١٣هـــ/١٢١٦م)، أخبار الدولة المنقطعة، تحقيق عصام هزايمة وآخرون، اربد، مؤسسة حمادة، دار الكــندي للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م، مج٢، ص٣٣٦، ابن وادران، حسين بن محمد (ت ١١٧٢هـ/ ١٧٦٧م)، تــاريخ العباسيين، تحقيق المنجي الكعبي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م، ط١، ص ٢٨٥، المجالــي، المأمون وعصره، ص٢٤٦، ص٣١١.

(٣) اســحاق بــن إبراهيم بن مصعب بن زريق: تولى الشرطة زمن المأمون وزمن المتوكل وامتحن العلماء بخلق القرآن توفي سنة (٢٣٥هـ/٨٥٠م) الصفدي، الوافي بالوفيات، مج٨، ص٣٩٦-٣٩٧.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٧، ص٢١.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٩، ص٢٥٧، الشيخلي، الأصناف، ١٥٧-١٥٨.

(٦) الاصفهاني، الأغاني، مج٣، ص٣٠٥، ابن الجوزي، المنتظم، مج١١، ص٣٣٢.

(٧) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٩، ص٢٥٦-٢٥٨، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٧، ص١١٨

والمـــريض إذا دخل الحمام دل ذلك على شفائه، والسجين إذا دخل الحمام دل ذلـــك علـــى بـــراءته، فعندما أطلق الرشيد الوزير يعقوب بن أبي داؤد[١] من السـجن أمـر بإدخالــه الحمام وإعطائه ملابس جديدة ليرتديها[٢]، وعندما أطلق المعتضد محبوساً في سنة (٢٥٦هـ/٨٧٠م) أمر بإعطائه مالاً وكسوة وإدخاله إلى الحمـام[٣]. ويذكـر إن الوزيـر الحســن بن الفرات عندما حبس في دار زيدان القهرمانة[٤]، وبعد أن خرج تم إدخاله إلى الحمام بدلت ثيابه[٥].

كمــا كانت الحمامات مسرحاً لمظاهر اجتماعية، تزدحم بالناس خاصة في أيــام الجمع، وهذا يشير إلى ارتباطها بصلاة الجمعة، كما أدت الحمامات خدمات اجتماعــية لبعض فئات المجتمع البغدادي، كما هي الحال في العيارين[٦] وغيرها من الفئات الأخرى، حيث يلجأون إليها وينامون فيها[٧].

وحملــت جــدران الحمامات عدداً من الرسومات والصور، فأحياناً تحمل صــور نســاء أو ملــوك أو أباطــرة سواء أكانت طبيعية أو حيوانية كالأشجار والســيوف والــرماح والســفن والحــيوانات، وتعود تلك الرسومات إلى العصر البيزنطــي والحضــارة اليونانــية، واستمرت في العصر الإسلامي، وأشهر تلك

---

(١) يعقوب بن أبي داؤود السلمي: من كبار الوزراء في الدولة العباسية، شــغل منصب الوزارة للمهدي سنــة (١٦٣هــ/٧٧٩م) ثم عزله وحبسه، توفي سنة (١٨٧هـ/٨٠٢م)، ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٧، ص١٩-٢٤.

(٢) التنوخي، الفرج بعد الشدة، مج٢، ص٢٣٧، ابن الطقطقا، الفخري في الآداب، ص١٨٦.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، مج١٢، ص١٠٤-١٠٦.

(٤) زيدان القهرمانة: من أشهر النساء في الدولة العباسية، كانت من ذوات النفوذ والسلطان، ولعبت دروا في الحياة السياسية في العصر العباسي، كحالة، أعلام النساء، مج٢، ص٤٣.

(٥) التنوخي، الفرج بعد الشدة، مج٢، ص٤٨، الصابئ، الوزراء، ص١٢٠.

(٦) العــيارون: فــئة من اللصوص والغوغاء الفقراء، لعب هؤلاء دورا مهما في بغداد في العصر العباسي، وظهــر العيارون على شكل تنظيمات، وكان دورهم الأساسي في أثناء الفتنة بين الأمين والمأمون سنة (١٩٧هــ/٨١٢م) المسعودي، مروج الذهب، مج٣، ص٤١١.

(٧) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٨، ص٤٦٨، أبو طالب، الصراع الاجتماعي، ص٢٢٧.

الرسومات طائر، وجهه وجه إنسان، ومنقاره منقار نسر، وله أجنحة ومخالب في يديه، يطلق عليه العنقاء[1].

٣- دور الحمامات في الحياة الاقتصادية:

ساهمت الحمامات كذلك في الحياة الاقتصادية، فكانت تفتح وتقدم الخدمات للرواد والزبائن مقابل قدر معين من الأجر[2]، ويذكر الثعالبي أن حمام بوران في بغداد كان ذا مردود اقتصادي كبير، بسبب إقبال الزبائن عليه بشكل كبير[3].

وشـــارك أصـــحاب الحمامات بالأحداث والفتن التي حصلت نتيجة ارتفاع الأســعار وقلـــة المؤون. ففي سنة (٣٢٧هـ/٩٣٩م)، شارك أصحاب الحمامات بأعمال الشغب التي حصلت بسبب ارتفاع الأسعار[4]، وكثيرا ما كانت تغلق نتيجة لتدهور الأوضاع الاقتصادية، كما هي في الحال في سنة (٣٣٢هـ/٩٤٧م) عندما زادت الأســعار، وارتفعــت بعــد أن تعطلت المزروعات وتهدمت المنازل بسبب غزارة الفيضانات، الأمر الذي أدى إلى إغلاق العديد من الحمامات في بغداد[5].

---

[1] المسعودي، مروج الذهب، مج٢، ص٢٦، متز، الحضارة الإسلامية، مج٢، ص٢٢٤، الخربوطلي، الحياة الاجتماعية، ص٢٤٢.

[2] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١٤، ص٤١٣، باغي، الحياة الاجتماعية، ص٧٧.

[3] ثمار القلوب، مج١، ص٤٨٨

[4] الصولي، أخبار الراضي بالله، ص١٣٣.

[5] ابن الجوزي، المنتظم، مج١٤، ص٣٤، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٨، ص٤١٦.

٤- دور الحمامات في الحياة الدينية:

أما عن دورها في الحياة الدينية، فقد ارتبطت العبادات الإسلامية بالاغتسال والتطهر، وقد وردت آيات قرآنية تحث على ذلك، وجاء في قوله تعالى: "فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطّهرين"[١]، وقوله تعالى: "إن الله يحب التوّابين ويحب المتطهرين"[٢]، وتأتي أهمية الحمامات الدينية بارتباطها بالمساجد، وهذا ما فعله المنصور عندما أمر ببناء الحمامات والمساجد جنبا إلى جنب[٣] كما كان يتم فيها رواية الأحاديث فكان إسحاق المروزي[٤](ت ٢٣٨هـ/٨٥٤م)، يقوم برواية الأحاديث في حمامات بغداد[٥].

٥- دور الحمامات في الحياة الأدبية:

وكانت لها مشاركات أدبية حيث إن أصحابها كانوا يستخدمون الأشعار في إعلاناتهم، ويتم فيها إلقاء الأشعار، فقد كان رجل في بغداد يلقي شعراً على سوار القاضي[٦](ت ٢٤٥هـ ٨٥٩م)، في حمامات بغداد[٧].

---

[١] القرآن الكريم، سورة التوبة، آية ١٠٨.

[٢] القرآن الكريم، سورة البقرة: آية ٢٢٢.

[٣] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١، ص١٣٠، ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص٢٤، ابن الجوزي، المنتظم، مج٨، ص٨٢، ابن كثير، البداية والنهاية، مج١٠، ص١٠٩، العش، تاريخ عصر الخلافة العباسية، ص٢٥٨، زيدان، تاريخ التمدن، مج٢، ص٤٣٠.

[٤] إسحاق بن إبراهيم المروزي : ولد سنة (١٦١هـ/٧٧٠م) كان يحفظ ما يقارب السبعين ألف حديث، يلقب ابن راهويه، توفي سنة (٢٣٨هـ/٨٥٣م) الصفدي، الوافي بالوفيات، مج٨، ص٣٨٦-٣٨٨.

[٥] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج٦، ص٣٤٩.

[٦] سوار بن عبد الله التميمي القاضي: قاضي الرصافة، توفي سنة (٢٤٥هـ/٨٥٩م) الصفدي، الوافي بالوفيات، مج١٦، ص٣٧-٣٨.

[٧] ابن الجوزي، المنتظم، مج١١، ص٣٣٢-٣٣٣.

ب- النفقات :

١. رواتب وصلات الأطباء والموظفين

٢. نفقات البيمارستانات

رابعاً : نظام المعالجة في البيمارستانات

خامساً : الإشراف على البيمارستانات

سادساً : دور البيمارستانات في الحياة العامة

أولاً: تعريف البيمارستان ونشأته :-

البيمارستان كلمة فارسية الأصل مركبة من مقطعين، بيمار وتعني المريض أو العليل، وستان وتعني داراً أو موضعاً أو مكاناً[1]، ثم اختصرت هذه الكلمة لتصبح مارستان، وأصبحت تطلق على مستشفى المجانين فيما بعد[2].

وكانت البيمارستانات الإسلامية من أبرز الإبداعات في الحضارة الإسلامية، وأعجب بها الرحالة المستشرقون، وقد وصفتها المستشرقة الألمانية هونكة بقولها : إن كل مستشفى مع كل ما فيه من ترتيبات ومختبر وصيدلية ومستودع وأدوية في أيامنا هذه، إنما هي في حقيقة الأمر نصب تذكار للعبقرية العربية، كما إن كل حبة من حبوب الدواء مذهبّة أو مسكرة إنما هي تذكار صغير ظاهر يذكرنا باثنين من أعظم أطباء العرب ومعلمي بلاد الغرب[3].

ويذكر أن أول من أوجد البيمارستان أبقراط، حيث خصص مكاناً في حديقته لمداواة المرضى أطلق عليه اسم "أصدولين" أي مجمع المرضى[4]، أما في العصر الإسلامي فكانت أول مستشفى هي خيمة رفيدة الأنصارية[5]، التي بناها الرسول – صلى الله عليه وسلم – في مسجده بالمدنية المنورة وذلك أثناء غزوة

---

[1] إلياس، بستان الأطباء، ص٣، ابن جلجل، أبو داؤد سليمان بن جلجل الأندلسي (ت ٣٠٠هـ/٩١٢م)، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، ١٩٥٥م، ص٧٨

[2] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مج٣، ص٢١٦، عيسى بك، أحمد، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، بيروت، دار الرائد العربي، ١٩٨١م، ط٢، ص٤.

[3] هونكة، زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال الدسوقي، بيروت، دار الجيل، دار الآفاق الجديدة، ١٩٩٣م، ط٨، ص٣٣٤-٣٣٥.

[4] إلياس، بستان الأطباء، ص٣، المقريزي، خطط المقريزي، مج٣، ص٥٤٥، ابن وادران، تاريخ العباسيين، ص٤٤٣.

[5] رفيدة الأنصارية : أسلمت وغزت مع الرسول – صلى الله عليه وسلم – سبع غزوات، وكانت تداوي الجرحى في الغزوات وشهدت خيبر مع الرسول – صلى الله عليه وسلم – ابن سعد، الطبقات الكبرى، مج٨، ص٤٥٥.

في بغداد، حيث انتشر نوعان من الوباء: الأول يسمى حنينا والثاني الماسرا، وكانت الحنينا سليمة، أما الماسرا فكانت عبارة عن طاعون قاتل[1].

ويذكر ابن الجوزي في أحداث سنة (٣٢٤هـ/٩٣٦م) وفيها وقع الطاعون، واقترب بذلك الموت وخاصة بين الضعفاء، وكان يحمل على النعش أكثر من شخص، وربما بقي الموتى على الطريق، وربما ألقي في الحفرة الكبيرة أكثر من شخص[2]. أما في سنة (٣٢٩هـ/٩٤٠م) فقد ذكر ابن الأثير وقوع وباء في هذه السنة، وكثر الموت حتى كان يدفن في القبر الواحد جماعة دون غسل ولا صلاة[3]، كما انتشر الوباء في سنة (٣٣٠هـ/٩٤١م) [4].

ويبدو أن هذا الواقع الصحي، وهذه السلسلة من الأمراض في بغداد، كانت من أهم العوامل التي أدت إلى انتشار البيمارستانات فيها، وذلك لمعالجة المرضى، كما يضاف إلى العوامل السالفة الذكر اهتمام الخلفاء بالناحية الطبية، وبناء البيمارستانات، وتقديم الأموال والهبات للأطباء[5].

ثانيا: البيمارستانات في بغداد:-

وجدت البيمارستانات في بغداد في العصر العباسي، وكانت نوعان :

أ- البيمارستانات العامة

أبدى العباسيون اهتماماً كبيراً بانتشار البيمارستانات في أنحاء بغداد كافة، حتى بلغ عددها في مطلع القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وبالتحديد في سنة (٣٠٤هـ/٩١٦م) خمسة بيمارستانات، يتقلدها رئيس الأطباء سنان بن ثابت[6].

---

(1) تاريخ الرسل والملوك، مج١٠، ص١٤٧.

(2) المنتظم، مج١٣، ص٣٥٧.

(3) الكامل في التاريخ، مج٨، ص٣٧٧.

(4) الكامل في التاريخ، مج٨، ص٣٩١.

(5) القفطي، أخبار العلماء، ص٩٤، عيسى بك، تاريخ البيمارستانات، ص٢٩.

(6) ابن كثير، البداية والنهاية، مج١١، ص١٣٥، متز، الحضارة الإسلامية، مج٢، ص٢٠٦.

وكـــان يـــتم اختـــيار أفضل الأماكن لتشييد البيمارستانات عليها، حيث يتم اختـــيار المواقـــع ذي الصـــفات الجمالية والصحية، بحيث يكون المكان قريباً من مصـــادر المياه[١]، كما طبق العرب التجربة في اختيار المواقع الصحية، فالطبيب محمـــد بـــن زكريا الرازي[٢] (ت ٣٢٠هـ/٩٣٢م)، عندما أراد أن يختار موقعاً لتشييد البيمارستان في بغداد، اعتمد التجربة في ذلك المكان حيث أحضر قطعاً من اللحـــم، ووضع كل قطعة في حي من أحياء بغداد، واعتمد المكان الذي تأخر فيه فساد قطعة اللحم[٣].

وكـــان يتم تشييدها على الربوات الجميلة[٤] والأماكن المطلة على الأنهار، فالبيمارستانات في بغداد قريبة من الأنهار كنهر دجلة[٥]، وسبب ذلك سهولة توفير المياه إليها.

ومن أشهر البيمارستانات في هذه الفترة :

١. بيمارستان الرشيد :

ويســـمى البيمارســـتان الكبير، شيد في عهد الخليفة هارون الرشيد، وامتاز بالدقـــة والتنظـــيم والترتيـــب[٦]، وكان على طراز البيمارستانات الفارسية، وكان مجهـــزاً بالأدوية والمستلزمات، واستقدم لـــه الرشيد الأطباء، من جند يسابور[٧]،

---

[١] ابـــن أبـــي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٤١٥، أبو الرب، صلاح، الطب والصيدلة عبر العصور، عمان، الأهلـــية للنشر والتوزيع، ١٩٩١م، ص١٢٤، عبد القادر، ماهر، دراسات وشخصيات في تاريخ الطب العربي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩١م، ص٣٠١، هونكة، شمس العرب، ص٢٢٩.

[٢] محمـــد بـــن زكريا الرازي، الطبيب الشهير، قدم إلى بغداد وعمره ثلاثون سنة، وله العديد من المؤلفات الطبية، أشهرها الحاوي في الطب، توفي سنة (٣٢٠هـ/٩٣٢م) القفطي، أخبار العلماء، ص١٧٨.

[٣] السعيد، المستشفيات الإسلامية، ص١٠٥، كمال الدين، بغداد مركز العلم، ص٩٨.

[٤] ابـــن أبـــي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٣٠٢، الخطيب، حنيفة، الطب عند العرب، بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٨٨م، ص٢١٨.

[٥] ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٣٠٢، السعيد، المستشفيات الإسلامية، ص١٠٤، عواد، صور مشرقة، ص١١٤.

[٦] ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٢٤٥، أبو الرب، الطب والصيدلة، ص١٢١.

[٧] جـــند يســـابور : مديـــنة أسسها سابور الأول، وجعلها سكناً لشعب اليونان، فتحت زمن الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص١٧٠.

وأســند رئاســة إلى طبيب هندي يدعى دهشتك[1]، إلا أن ذلك الطبيب سرعان ما تــرك رئاسته، فاختار الرشيد ماسوية الخوزي[2]، ورشحه لرئاسته، وكان ماسويه قد خدم في بيمارستان جند يسابور مدة أربعين عاماً[3].

٢. بيمارستان البرامكة[4]:

أنشأ البرامكة بيمارستاناً في بغداد، وعينوا لرئاسته طبيباً هندياً[5].

٣. البيمارستان الصاعدي :

بُنــي هذا البيمارستان في عهد الخليفة المعتضد بالله في باب المحوّل، وقد أنفــق علــيه الخلــيفة وعلى أرزاق الأطباء والموظفين فيه ما يقارب الأربعمائة وخمسين ديناراً في الشهر، وذلك أثمان الطعام والدواء والرواتب للموظفين[6].

٤. بيمارستان بدر[7] غلام المعتضد:

بنــي هــذا البيمارســتان في زمن الخليفة المعتضد بالله، أنشأه بدر مولى المعتضــد بالله وأسماه بإسمه[8]. في المخرّم[9]، وكانت النفقة على هذا البيمارستان مــن وقــف شجاع[10] أم المتوكل، وكانت كبيرة جداً. وتقدّم نفقاته على غيره من أبواب النفقات الأخرى، فعندما قدّم المتولي للنفقة عليه نفقات بني هاشم على نفقات

---

(١) دهشــتك : من أشهر الأطباء الهنود، قلده الرشيد رئاسة بيمارستانة، وكان رئيساً لبيمارستان جند يسابور، القفطي، أخبار العلماء، ص٢٥٠-٢٥١.

(٢) ماســويه الخــوزي : كــان طبيباً لجند يسابور، تولى رئاسة البيمارستان الكبير ورئاسة تلاميذه، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٢٤٥.

(٣) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٢٤٥، السعيد، المستشفيات الإسلامية، ص١٩٣، عواد، صور مشرقة، ص١١١.

(٤) الــبرامكة : أسرة فارسية قامت بتنظيم وإدارة شؤون الدولة العباسية خاصة زمن الرشيد، وكان من أبرز رجالاتهــا خــالد بــن بــرمك، الذي شغل منصب الوزارة إلى أن نكبهم الرشيد سنة (١٨٧هـ/٨٠٣م) الطــبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٨، ص٢٨٧ وما يليها، العبادي، أحمد مختار، دراسات في التاريخ العباسي الأندلسي، بيروت، دار النهضة ١٩٧١م، ٨٤.

(٥) ابــن الــنديم، الفهرســت، ص٣٠٥، مــتز، الحضــارة الإســلامية، مج٢، ص٢٠٥، عيسى بك، تاريخ البيمارستانات، ص١٧٨.

(٦) الصابئ، الوزراء، ص٢٧، متز، الحضارة الإسلامية، مج٢، ص٢٠٦.

(٧) بدر مولى المعتضد، أبو النجم : يلقب ببدر الحمامي، تولى الإعمال في مصر، وعاد إلى بغداد، توفي سنة (٣١١هـ / ٩٢٣م) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج٧، ص١٠٨-١٠٩.

(٨) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٣٠١، متز، الحضارة الإسلامية، مج٢، ص٢٠٠.

(٩) المخرّم : محلة في بغداد بالقرب من الرصافة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٥، ص٧١.

(١٠) شــجاع أم المــتوكل: مــن أشهر النساء في العصر العباسي، وكانت تنفق العديد من الأموال والصدقات والصلات، توفيت سنة (٢١٨هـ/٨٦٢م) كحالة، أعلام النساء، مج٢، ص٢٨٦.

البيمارستان كتب إليه علي بن عيسى كتاباً مبيناً فيه ضرورة تقديم نفقات البيمارستان على غيره، وذلك لضعف من يلجأ إليه من المرضى وغيرهم، ويتوجب توفير الطعام والعلاج والكساء لهم، فقال في ذلك الكتاب :

"وأنت أكرمك الله تقف على ما ذكره، وهو غلط جداً، والكلام فيه معك خاصة فيما يقع منك يلزمك، وما أحسبك تسلم من الإثم فيه، وقد حكيت عني في الهاشميين قولاً لست أذكره وكيف تصرفت الأحوال في زيادة المال أو نقصانه أو وفوره أو قصوره، لا بد من تعديل الحال فيه بين أن تأخذ منه، وتجعل للبيمارستان قسطاً، بل هو أحق بالتقديم على غيره، لضعف من يلجأ إليه، وعظيم النفع به، فعرفني أكرمك الله ما النكتة في قصور المال ونقصانه في تخلف نفقة البيمارستان، هذه الشهور المتتابعة، وفي هذا الوقت خاصة مع الشتاء واشتداد البرد، فاحتل بكل حيلة لما يطلق لهم ويعجل حتى يدفأ من في البيمارستان من المرضى والممرورين بالدثار والكسوة والفحم، ويقام لهم القوت. ويتصل لهم العلاج والخدمة، واجبني بما يكون منك في ذلك، وانفذ لي عملا يدلني على حجتك، واعن بأمر البيمارستان فضل عناية إن شاء الله تعالى"[1].

٥- بيمار ستان الحربية[2]:

• تذكر بعض المصادر إنه في سنة (٣٠١هـ/٩١٣م) تفشت الأمراض في الحربية[3]، ويبدو أن ذلك كان عاملا مساعداً لبناء بيمارستان الحربية في المكان نفسه والفترة الزمنية نفسها تقريبا، حيث أنشأ الوزير علي بن عيسى سنة (٣٠٢ هـ/٩١٤م) هذا البيمارستان، وأنفق عليه أموالاً كثيرة[4]، ورتب له الأطباء والأرزاق، وقلده طبيباً شهيراً بالترجمة، كما أمر الوزير علي بن عيسى سنة

---

(١) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٣٠٢، الخطيب، الطب عند العرب، ص١٧٧-١٧٨.

(٢) الحربية: محلة في بغداد شهيرة تنسب إلى حرب أحد قادة المنصور، وتبعد عن بغداد حوالي ميلين فقط، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٢٣٧.

(٣) إلياس، بستان الأطباء، ص٥٣، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٨، ص٨٥.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، مج١١، ص١٣٠، الخطيب، الطب عند العرب، ص٢٠٥، عواد، صور مشرقة، ص١١٢.

(٣٠١هـ/٩١٣م) بتوفير الأدوية والأشربة وإصلاح البيمارستانات التي تحتاج إلى الإصلاح[١].

ثم زاد عدد البيمارستانات فيما بعد، حتى وصل عددها في بداية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي في سنة (٣٠٤هـ/٩١٦م) تحديداً خمسة بيمارستانات[٢]، وفي سنة (٣٠٦هـ/٩١٨م) أنشئ بيمارستانان كبيران وهما:

٦- **بيمارستان المقتدري:**

أنشأه المقتدر بالله سنة (٣٠٦هـ/٩١٨م) [٣] في باب الشام، وأشرف على إنشائه الطبيب سنان بن ثابت[٤]، وخصص المقتدر أموالا طائلة للنفقة عليه[٥]، وعين له أشهر الأطباء وينفق عليه في كل شهر مائتي دينار[٦]، وسمي بالبيمارستان المقتدري، نسبة إلى الخليفة المقتدر[٧].

٧- **بيمارستان السيدة:**

أنشأته السيدة شغب[٨] أم المقتدر في سنة (٣٠٦هـ/٩١٨م)، ويقع هذا البيمارستان على نهر دجلة في سوق يحيى[٩]، افتتحه سنان بن ثابت في السنة

---

[١] مسكويه، تجارب الأمم، مج١، ص٢٨، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٨، ص٦٨-٦٩، النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق أحمد كمال، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م، مج٢٣، ص٣٧، الدوري، عبد العزيز، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، بغداد، مطبعة السريان، ١٩٤٥م، ص٢٢٢.

[٢] ابن كثير، البداية والنهاية، مج١١، ص١٣٥، متز، الحضارة الإسلامية، مج٢، ص٢٠٦.

[٣] ابن الجوزي، المنتظم، مج١٣، ص١٧٨، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٨، ص١١٥، القفطي، أخبار العلماء، ص١٣٣، ابن أبي اصيعة، عيون الأنباء، ص٣٠٢.

[٤] ابن الجوزي، المنتظم، مج١٣، ص١٧٨، العلي، بغداد، مج١، ص٣٤٠.

[٥] القفطي، أخبار العلماء، ص١٣٣، الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٢٥٠.

[٦] ابن الجوزي، المنتظم، مج١٣، ص١٧٨، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٣٠٢، الديوه جي، سعيد، الموجز في الطب، الكويت، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ١٩٨٩م، ط(١)، ص٧٠.

[٧] القفطي، أخبار العلماء، ص١٣٣، ابن ابي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٣٠٢.

[٨] السيدة شغب: أم الخليفة المقتدر بالله، قامت بتدبير أمور الدولة عندما تولى المقتدر الخلافة وذلك بسبب صغر سنه، توفيت سنة (٣٢٠هـ/٩٢٩م) الصفدي، الوافي بالوفيات، مج١٦، ص١٦٧-١٦٨، الزركلي، الإعلام، مج٣، ص٢٤٥.

[٩] ابن الجوزي، المنتظم، مج١٣، ص١٧٨، القفطي، أخبار العلماء، ص١٣٣، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٣٠٢.

نفسها[1]، وكان مبلغ النفقة عليه ستمائة دينار في الشهر[2]. وبدأ المرضى يتعالجون فيه في السنة نفسها، ورتب سنان له الأطباء والموظفين، وتولى رئاسته، فكان هو المشرف على الأطباء فيه[3]. أما الإدارة المالية له فكانت تحت إشراف طبيب آخر، وكان بيمارستان السيدة أول بيمارستان نسوي، أي من إنشاء النساء[4].

٨- بيمارستان ابن الفرات:

شيده الوزير الحسن بن الفرات سنة (٣١١هـ/٩٢٣م)[5]، وأنفق عليه مائتي دينار في الشهر[6]، وعين ثابت بن سنان لرئاسته[7]، وخصص الوزير هذا البيمارستان لمعالجة العاملين لديه من أي مرض قد يتعرضون إليه، بحيث يتعالجون فيه دون مقابل[8]. وكانت الكثير من البيمارستانات تقدم الخدمة مجانا، فكان الخلفاء أو الأمراء أو الأثرياء ينشئون بيمارستانات ويوقفونها لخدمة الناس، وينفقون عليها ما تحتاجه من الطعام والدواء ورواتب الموظفين[9].

---

(١) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٣٠٢، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مج٣، ص٢١٦، زيدان، تاريخ التمدن، مج٣، ص٢٠٦.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، مج١٣، ص١٧٨، القفطي، أخبار العلماء، ص١٣٣، ابن كثير، البداية والنهاية، مج ١١، ص١٣٧.

(٣) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٣٠٢، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مج٣، ص٢١٦، السعيد، المستشفيات الإسلامية، ص٢١١، متز، الحضارة الإسلامية، مج٢، ص٢٠٧.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مج٣، ص٢١٦

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، مج١٣، ص٢٢٠.

(٦) ابن كثير، البداية والنهاية، مج١١، ص١٥٨، عيسى بك، تاريخ البيمارستانات، ص١٨٤.

(٧) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٣٠٤-٣٠٥، ياغي، الحياة الاجتماعية، ص٧٣.

(٨) الخطيب، الطب عند العرب، ص٢٠٧، هونكة، شمس العرب، ص٢٣١.

(٩) الصابئ، الوزراء، ص٢٤، ٢٧، حتاملة، المعتمد، ص٩٠.

مــن المــرض، فعندما مر عمر بن الخطاب – رضي الله عنه- بأرض الجابية[1] على قوم مصابين بالجذام، صرف لهم جزءا من المال[2]، إلا أن الاهتمام الحقيقي بهــذه الفئة كان في العصر الأموي، عصر الوليد، الذي أنشأ مستشفى للمجذومين وأجرى عليهم الأموال[3].

وفي العصر العباسي، فقد اهتم الخلفاء كذلك بالمجذومين واعتنوا بهم، فكان المنصــور يوصـــي بالاعتناء بهم، وأنشأ المهدي دور المرضى وأمر بأن تجرى الأمــوال علـــى المجذوميـــن[4]، وأنشـــأ المأمون بيوتاً خاصة لمعالجة المرضى المصابين بالجذام، نظراً لحساسية هذا المرض وأثره على الأفراد[5].

٢- مستشفى الأمراض العقلية:

انشـــأ فـــي بغـــداد أول بيمارســـتان للأمراض العقلية، وخصص لمعالجة المجانيـــن فقط، وهو دير هزقل[6]، الذي يقع إلى الجنوب من الطريق إلى واسط،

---

(١) الجابـــية: قرية من أعمال دمشق بناحية الجولان تقع في شماله، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص ٩١.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص١٣٥.

(٣) الطـــبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٦، ص٤٣٧، عيسى بك، تاريخ البيمارستانات، ص١٠، عبد القادر، ماهر "البيمارستانات ومجالس التعليم الطبي في العالم الإسلامي" فصل ضمن كتاب أعمال مؤتمر الطب والصيدلة عند العرب، مصر، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨م، ص١٣٥.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٨، ص١٤٢، ابن الجوزي، المنتظم، مج٨، ص٢٥٦، المقدسي، البدء والتاريخ، مج٦، ص٩٦، الدوري، العصر العباسي الأول، ص٩٨، ماجد، العصر العباسي الأول، مج١، ص١٥٣.

(٥) الخطيب، الطب عند العرب، ص٢٣٠-٢٣١.

(٦) ديـــر هزقل: دير مشهور، أصله هزقيل ثم حرف إلى هزقل، ويقال هو المراد بقوله تعالى: "أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها"، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٥٤٠.

وكـــان يضـــرب به المثل في تجمع المجانين[1]، حيث يقال للشخص المجنون كأنه من دير هزقل، لأنه مكان يعالجون فيه[2].

وقـــال الشـــاعر عـــن ثابـــت بن يحيى[3] كاتب المأمون، وكان من الكفاءة والقدرة والرئاسة، وكان أحمق، حيث ضرب بعض كتّابه بأداة أصابت رأسه فقال الشاعر:

كأنّـــه مِـــنْ ديـــر هِـــزقلْ مفلـــت ـــــ حـــردٌ يجـــرُ سلاســـل الأقـــيادِ[4]

(الكامل)

وكانت الرعاية تشمل هؤلاء المرضى، وكان البيمارستان يحتوي عدداً من الأدوات التي تستعمل في العلاج كالسلاسل والسياط وغيرهما[5].

ويذكـــر أن أول بيمارســـتان للأمراض العقلية تم إنشاؤه، وذلك قبل إنشاء مشـــفى الأمراض العقلية في أوروبا بحوالي سبعمائة سنة، حيث كان يتم علاجهم علـــى أنهـــم مسكونون بالشياطين، ولم تقتصر مشافي الأمراض العقلية على بغداد فقط، بل انشأت كذلك في الموصل والبصرة[6].

٣- بيمارستان السجون:

شـــمل الاهـــتمام الطبـــي أيضـــا المساجين، حيث تم تخصيص بيمارستان لمعالجـــة هـــؤلاء الســـجناء، وأول من أوجد هذا النوع من البيمارستانات الخليفة

---

(1) الطـــبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٨، ص٦٦٠، ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد (ت ٣٢٨هـــ/ ٩٣٩م)، العقد الفريد، شرح وتصحيح أحمد أمين وآخرون، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٣م، مج٦، ص١٦٧، متز، الحضارة الإسلامية، مج٢، ص٢٠٦.

(2) الجـــاحظ، أبـــو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـــ/٨٦٨م) ،البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، مطابع الدجوى، ١٩٧٥م، مج٢، ص٢٤٣.

(3) ثابت بن يحيى: وزير المأمون وكاتبه، ولد سنة (١٥٥هـــ/٧٧٣م) توفي سنة (٢٢٠هـــ/٨٤٠م) الصفدي، الوافي بالوفيات، مج١٠، ص٤٧٢-٤٧٤.

(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٨، ص٦٦٠، الثعالبي، ثمار القلوب، مج٢، ص٧٦٢، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٥٤٠، الصفدي، الوافي بالوفيات، مج١٠، ص٤٧٤.

(5) متز، الحضارة الإسلامية، مج٢، ص٢٠٦.

(6) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٢٤٩، أبو خليل، شوقي، الحضارة العربية الإسلامية، دمشق، دار الفكر، ١٩٩٤م، ص٥١٥.

المقتدر بالله عندما كتب وزيره علي بن عيسى إلى سنان بن ثابت سنة (٣٣١هـ/ ٩٢٤م) مدير البيمارستانات لافتاً انتباهه إلى المساجين وضرورة المحافظة على صحتهم، وتوفر الأطباء والأدوية لهم، فقال: "فكرت -مد الله في عمرك- في أمر من في الحبوس... فينبغي أن تفرد لهم الأطباء يدخلون إليهم في كل يوم، وتحمل إليهم الأدوية والأشربة، ويطوفون في سائر الحبوس، ويعالجون فيها المرضى ويزيحون عللهم فيما يحتاجون إليه من الأدوية والأشربة، ويتقدم بأن تقام لهم المزورات لمن يحتاج إليها منهم"، فعمل سنان بن ثابت على ذلك(١).

وكان الخلفاء يوصون بمعالجة السجناء إذا ما وجدوا ضرورة لذلك، ومن ذلك ما قاله الطبيب ثابت بن سنان بأن الخليفة الراضي بالله أوصاه بمداواة الوزير محمد بن علي بن مقلة(٢) فكان مسجوناً، وقطعت يده، فدخل إليه ثابت بن سنان وعالجه بأمر من الخليفة الراضي بالله(٣). وهذه العناية الصحية بالسجناء هي ترجمة لتعاليم الإسلام والعقيدة الإسلامية التي تحث على احترام الإنسان وكرامته وتقديره(٤).

---

(١) القفطي، أخبار العلماء، ص١٣٢، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٣٠١، عيسى بك، تاريخ البيمارستانات، ص١٢، التميمي، أيمن، السجون في العصر العباسي، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١٩٩٧م، ص٢٦١.

(٢) محمد بن علي بن مقلة: وزير المقتدر والقاهر والراضي، كان شاعرا، سجن وقطعت يده ولسانه، توفي سنة (٣٢٨هـ/٩٤٠م) الصفدي، الوافي بالوفيات، مج١٢، ص١٤٣، الزركلي، الأعلام، مج٧، ص١٥٧-١٥٨.

(٣) إلياس، بستان الأطباء، ص٦٢، مسكويه، تجارب الأمم، مج١، ص٣٨٧، الثعالبي، ثمار القلوب، مج١، ص٤٣٥، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٣٠٥-٣٠٦.

(٤) الدجاني، باسم "المستشفيات في الحضارة الإسلامية" مقالة ضمن كتاب جوانب علمية في الحضارة الإسلامية، تحرير عبد القادر عابد وعز الدين الخطيب التميمي، عمان، جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية، ١٩٨٤م، ص٣٦٣.

٤- البيمارستانات المتنقلة:

أ- البيمارستان المدني:

خصص هذا النوع من البيمارستانات لمعالجة المرضى الذين تحول ظروفهم دون الوصول إلى البيمارستانات العامة بسهولة، كما هي الحال في المناطق البعيدة والنائية، أو في المناطق التي تتفشى فيها الأمراض والأوبئة[١]، وتخلو من البيمارستانات، حيث يرسل الخلفاء في هذه الحالات الأطباء إلى تلك المناطق، وهي مزودة بالأدوية والأدوات اللازمة والآلات وغيرها[٢].

وأول من فعل ذلك الوزير علي بن عيسى في سنة (٣٣١هـ/٩٤٢م) عندما كتب إلى سنان بن ثابت قائلا: "فكرت في من في السواد وأهله، فإنه لا يخلو أن يكون فيه مرضى لا يشرف عليهم متطبب لخلو السواد من الأطباء، فتقدم -مد الله في عمرك- بإنفاذ متطببين وخزانة للأدوية والأشربة يطوفون في السواد، ويقيمون في كل صقع منه مدة ما تدعو الحاجة إليه ويعالجون من فيه من المرضى، ثم ينتقلون إلى غيره" ففعل سنان ذلك[٣].

وعندما وصل هؤلاء الأطباء إلى سورا[٤]، كتب سنان بن ثابت إلى الوزير علي بن عيسى يخبره بأن سكان تلك المنطقة من اليهود، وأنهم بحاجة إلى العلاج، فوقع الوزير بقوله: "فهمت ما كتبت به ... ، فإذا أفضل عن المسلمين ما لا يحتاجون إليه صرف في الطبقة التي بعدهم، فاعمل - أكرمك الله - على ذلك، واكتب إلى أصحابك به، ووصهم بالتنقل في القرى والمواضع التي فيها الأوباء الكثيرة والأمراض الفاشية[٥].

---

[١] ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٣٠١، الديوه جي، الموجز في الطب، ص٧٧.

[٢] القفطي، أخبار العلماء، ص١٣٢-١٣٣، هونكه، شمس العرب، ص٣٢٩.

[٣] ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٣٠١، عيسى بك، تاريخ البيمارستانات، ص١٢-١٣، الديوه جي، الموجز في الطب، ص٧٦.

[٤] سورا: موضع في العراق من أرض بابل، كان مكانا لإقامة السريان، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٣ ، ص٢٧٨.

[٥] القفطي، أخبار العلماء، ص١٣٢، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٣٠١، العش، تاريخ عصر الخلافة، ص٢٤٦.

ب- البيمارستان العسكري:

يخصـــص هــذا النوع من البيمارستانات لمرافقة الجيوش، وقد عرف هذا البيمارســتان مــنذ عصــر الرسول -صلى الله عليه وسلم- وكان أول مستشفى عسكري، كما عرف في العصر الأموي عندما بنى عبد الله بن الزبير[1] خيمة في ناحية المسجد الحرام لمعالجة المرضى والمصابين، وهذا النوع من البيمارستانات يحمــل على الحيوانات، واستمر استخدام هذا النوع من البيمارستانات في العصر العباســي، منذ عهد الخليفة المنصور، فعندما وجه ابنه المهدي في إحدى الحملات إلــى الــرّي، أخرج معه الأطباء والصيادلة والأدوات اللازمة لمعالجة المرضى والمصابين[2].

---

[1] عبد الله بن الزبير بن العوام: فارس من قريش، بويع بالخلافة، وحكم على الحجاز واليمن ومصر والعراق وخراسان وبعض مناطق الشام إلى أن جاء الحجاج الثقفي إلى مكة والزبير في المسجد ونصب المنجنيق ورمــى ابن الزبير وقتله في سنة (٧٣هـ/٦٩٣م) الصفدي، الوافي بالوفيات، مج١٧، ص١٧٢-١٧٨، الزركلي، الإعلام، مج٤، ص٢١٨.

[2] ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٢٢٠، الخطيب، الطب عند العرب، ص٢٢٨.

ثالثاً: أ- التنظيم الإداري للبيمارستانات:

كانت البيمارستانات تسير وفقاً لنظام معين، حيث تحتوي قسمين أساسيين : قسم للرجال وقسم للنساء، وكل قسم يحتوي قاعات وأجنحة، مثل: قاعة الأمراض الباطنية، وقاعة الجراحة، وقاعة التجبير[1]، حتى إن القسم الواحد بدوره يقسم إلى عدة أقسام، فقسم الباطنية مثلاً قسمان : قسم المرضى المجذومين وقسم الممرورين وغيرهم[2].

وكانـــت القاعات واسعة وفسيحة، والمياه فيها جارية، وحدائقها تشتمل على أنـــواع مختلفة من الأشجار، كما وجدت قاعات متخصصة لمعاينة المرضى أول قدومهـــم إلـــى المستشفى لتشخيص حالة المريض[3]، وكان يلحق بالبيمارستانات المخـــزن لحفـــظ الأطعمة والأثاث والحمام والمطبخ، كما يلحق بها الصيدليات أو خـــزانة الشراب، وتحتوي الخزانة الأدوية والمعاجين المختلفة التي يتم بيعها بناءً على الأقرباذين[4]، الذي يستخدم في دكاكين الصيادلة[5].

وكـــان العرب من أوائل من اهتم بإدارة البيمارستانات، حيث كان يتم فيها تعييـــن العديـــد مـــن الموظفين، وكل موظف مسؤول عن عمله ويتبع بدوره إلى الموظف الأعلى منه ومن أشهر هذه الوظائف:

١. ناظر البيمارستان :

---

(١) المقريزي، خطط المقريزي، مج٣، ص٥٤٨، السعيد، المستشفيات الإسلامية، ص١٠٧.

(٢) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٧٣٢، المقريزي، خطط المقريزي، مج٣، ص٥٤٨، غوانمة، يوسف، القدس الشريف، عمان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م، ط١، ص٩٤

(٣) ابـــن أبـــي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٧٣٢، حداد، سامي "المارستانات" المقتطف،مج٩، ع١+١٩٣٧،٢، ص١٣٧.

(٤) الأقرباذيـــن : لفـــظ يوناني معناه تركيب الأدوية المفردة، وهو عبارة عن دستور للأدوية يتكون من إثنان وعشرون باباً، القفطي، أخبار العلماء، ص١٤١.

(٥) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٢٣٠.

هــو كالمديــر العام للمستشفى، تتوافر فيه عدة شروط كالأمانة والإخلاص والإتقــان، فكــان جبرائــيل بن بختيشوع[1] ناظر بيمارستان الرشيد، وكانت هذه الوظيفة من أرفع وأعظم الوظائف الديوانية[2].

٢. رئيس البيمارستان :

ويــتولى إدارة جمــيع أقســام البيمارســتان وشؤونه، ويسمى أيضاً رئيس الأطــباء، ويســاعده رؤســاء الأقسام الأخرى، فقد كان جورجيس بن بختيشوع (ت ١٥٢هـــــ/٧٦٧م) رئيســاً للأطــباء[3]، وبختيشــوع بــن جورجــيس[4] (ت ١٩٠هـ/٨٠٥م) رئيساً للأطباء[5]، وكذلك ماسويه الخوزي، الذي كان رئيساً لبيمارستان الرشيد[6]، وكان الرازي (ت ٣٢٠هـ/٩٣٢م) رئيساً لبيمارستان الرّي وبغداد[7]، وسنان بن ثابت (ت ٣٣١هـ/٩٤٣م) رئيساً للأطباء[8] أما جبرائيل بن بختيشوع فكان رئيساً لجميع أطباء بغداد[9].

وكــان مــن مهــام رئيس الأطباء إلقاء الدروس على الطلبة، ومنح الطلبة الإجازة في التطبب، وكان الأطباء لا يتخذون القرارات إلا بعد أن يستأذنوا رئيس الأطــباء، فعــندما أرسل سنان بن ثابت الأطباء إلى السواد، ومروا بقرية يقطنها

---

(١) جبرائــيل بــن بختيشوع : من أطباء جند يسابور المشاهير، خدم الخلفاء العباسيون بالطب، وتولى رئاسة الأطباء في بغداد، القفطي، أخبار العلماء، ص٩٣-٩٤، الزركلي، الأعلام، مج٢، ص١٠٠.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، مج٤، ص١٩١-١٩٤، غوانمة، القدس، ص٩٤.

(٣) ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص٦٤، القفطي، أخبار العلماء، ص٧٢.

(٤) بختيشوع بن جورجيس: طبيب نصراني، خدم الرشيد وغيره من الخلفاء، وتولى رئاسة الأطباء توفي سنة (١٩٠هـ/٨٠٥م) الصفدي، الوافي بالوفيات، مج١٠، ص٨٩، الزركلي، الأعلام، مج٢، ص١٢.

(٥) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص١٨٧.

(٦) القفطــي، أخــبار العلماء، ص٢٥١، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٢٤٥، العماوي، زهير، الخليفة هارون الرشيد وأثره في تنشيط الحركة العلمية، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ١٩٩٥م، ص٥٤.

(٧) ابــن جلجــل، طــبقات الاطباء، ص ٧٧، البدري، الطب عند العرب، ص٦٢، ماجد، عبد المنعم، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة، مطبعة الرسالة، ١٩٦٣م، ص٢٤٧.

(٨) القفطي، أخبار العلماء، ص١٣٠.

(٩) ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص٦٤، القفطي، أخبار العلماء، ص٩٤.

اليهود، وطلبوا من الأطباء المعالجة، قام الأطباء باستشارة رئيسهم سنان بن ثابت، الذي كتب بدوره إلى الوزير علي بن عيسى وأخذ الأذن منه[1].

٣. رؤساء الأقسام :

كـــان لكل جناح في البيمارستان رئيس، كرئيس الكحالين ورئيس الجراحين وغـــيرهما[2]، ويتـــبع هـــؤلاء بدورهم إلى رئيس الأطباء ويساعدونه، ويترأسون الشـــعب ومراقـــبة المرضى في كل يوم، وتقديم الوصفات العلاجية والغذائية لهم، ويعملـــون ســـجلات خاصة لكل مريض[3]، وكانت رواتبهم تقدر بحوالي سبعمائة دينار[4].

٤. الأطباء :

ويـــتم اختـــيارهم مـــن التخصصات كافة للتطبيب في البيمارستانات، مثل: الكحاليـــن والمجبريـــن والجراحيـــن[5] مـــن أفضـــل الأطباء، وعددهم في بعض البيمارستانات حوالي أربعة وعشرين طبيباً[6].

٥. الصيادلة :

كـــان الصـــيادلة متخصصـــين ببـــيع الأدوية، ويتبعون بدورهم إلى عميد الصـــيادلة، وهو مسؤول عن امتحانهم ومنحهم رخصة مزاولة المهنة، ويتم توثيق أســـمائهم فـــي جـــداول خاصـــة ويقومـــون بفتح دكاكين خاصة لبيع الأدوية[7]، ويخضعون لرقابة الدولة، ويختارون من مختلف التخصصات أيضاً، ويمتحنون في المهنة قبل السماح لهم بمزاولتها[8].

---

(1) القفطي، أخبار العلماء، ص١٣٢، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٣٠١.

(2) القلقشندي، صبح الأعشى، مج٢، ص١٩٤.

(3) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٧٣١، الخطيب، الطب عند العرب، ص٢٢٠.

(4) الصابئ، الوزراء، ص٢٤.

(5) الصابئ، الوزراء، ص٢٧، ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٧٦، أبو الرب، الطب والصيدلة، ص١٢٥.

(6) القفطي، أخبار العلماء، ص١٥٨، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٤١٥.

(7) التوحيدي، البصائر والذخائر، مج٦، ص٢١٧.

(8) القفطـــي، أخبار العلماء، ص١٢٩، أحمد، حسن "العرب وإثراء الدراسات الطبية" المؤرخ العربي، بغداد، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، ع١٧، ١٩٨١م، ص١٥٨.

٦. الممرضون :

ويقـــوم هــؤلاء بخدمـــة المرضــــى والعناية بهم باستمرار، كما وجد في البيمارستانات عدد من الموظفين مثل: القوّام، أمين المارستان، البوابون، الخازن، المساعدون، المشرفون، الخدم، صانعو الأسرة وغيرهم[1].

ب- النفقات :

أمـــا فيما يتعلق بالناحية المالية أو النفقات على البيمارستانات، فكان الخلفاء يـــتولون مهمـــة الإنفاق عليها، وتقديم الخدمات الطبية والصحية للمرضى مجاناً، حيـــث خصصـــت الدولـــة مبالغ من المال للإنفاق على البيمارستانات وكوادرها، وكانت النفقات في البيمارستانات تقسم إلى قسمين :

١. *رواتب وصلات الأطباء والموظفين.*

٢. *نفقات البيمارستان.*

١- رواتب وصلات الأطباء والموظفين :

بالغ الخلفاء في العصر العباسي بالإغداق على الأطباء من رواتب وصلات تفاوتت هذه الرواتب والصلات من طبيب إلى آخر، ويعود ذلك إلى شهرة الطبيب وإتقانه مهنة الطب، الأمر الذي أدى إلى إثراء أطباء العصر العباسي ثراءً فاحشاً، فقـــد كان المنصور يقدم لجورجيس بن بختيشوع راتباً معيناً، علاوة على الصلات والخلع المبالغ فيها[2].

وكان الرشيد يقدم ليوحنا بن ماسويه حوالي ألفي درهم وعشرين ألف درهم فـــي كـــل سنة كمعونة، ويمنح بختيشوع بن جورجيس اثني عشر ألف درهم ومئة ألـــف درهـــم، ومـــئة ألـــف أخرى مقابل تطبيبه للرشيد، وكان يقدم لجبرائيل بن بختيشوع راتباً وصلة بمقدار خمسمائة ألف درهم[3].

---

(١) الصابئ، الوزراء، ص٢٧، المقريزي، خطط المقريزي، مج٣، ص٥٤٨.

(٢) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص١٨٤.

(٣) القفطي، أخبار العلماء، ص٩٤، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص١٨٨.

وكـــان جبرائـــيل بن بختيشوع يأخذ من العامة في كل شهر من الورق ما يقارب عشرة آلاف درهم[1]، وفي السنة مئة وعشرين ألف درهم، وفي مدة ثلاث وعشرين سنة ألفا ألف وستين ألف[2]، وكان راتب الطبيب جبرائيل الكحال[3] ألف درهـــم في الشهر،، وعشرين ألف درهم في السنة[4]، وكان المأمون يقدم لـــه في الشهر ألف درهم[5]، وقدم الواثق للطبيب يوحنا بن ماسويه رواتب وصلات بلغت حوالـــي ثلاثمائـــة ألف درهم، وكان يقدم لبختيشوع بن جبرائيل[6] راتباً وصلات نقديـــة كبيرة، وكان راتب الطبيب إسرائيل بن زكريا الطيفوري مبالغاً فيه علاوة علـــى الصـــلات والهدايا، ويذكر أن المتوكل عندما غضب على الطبيب بختيشوع ونفاه، وجد في داره عشرة آلاف درهم[7].

وكان الخليفة المعتضد بالله كثير الإنفاق على الأطباء وعلى رواتبهم، فكان يدفـــع جاري الأطباء والكحالين والبوابين والخبازين أربعمائة وخمسين ديناراً، أما رواتـــب الرؤساء وتلاميذهم فكان يبلغ حوالي سبعمائة دينار، وينفق حوالي ثلاثين ديناراً ثمناً للأدوية[8].

نلاحـــظ من خلال هذه الأمثلة عن ثروات الأطباء في العصر العباسي إنها كانت كبيرة جداً، حتى أن أغلبهم أثرى ثراءً فاحشاً، وهذا يدل على حاجة المجتمع

---

[1] القفطـــي، أخـــبار العلماء، ص٩٩، زيتون، عادل "آل بختيشوع النساطرة في البلاط العباسي" عالم الفكر، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مج٢٩، ع٤، ٢٠٠١م، ص١٥١.

[2] ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص١٩٨، البدري، الطب عند العرب، ص٥٣.

[3] جبرائيل الكحال: كان طبيباً للعيون، لذلك سمي بالكحال، خدم العديد من الخلفاء وخاصة المأمون، القفطي، أخبار العلماء، ص١٠٦، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٢٤٢.

[4] ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٢٤٣.

[5] القفطـــي، أخـــبار العلمـــاء، ص١٠٦، ابـــن أبـــي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٢٤٢، عيسى بك، تاريخ البيمارستانات، ص٢٩، الخطيب، الطب عند العرب، ص١٥٠.

[6] بختيشـــوع بن جبرائيل: طبيب سرياني، بلغ منزلة عظيمة في الدولة العباسية، ونقل إليه حنين بن إسحاق العديد من الكتب إلى العربية، وله العديد من المؤلفات الطبية، القفطي، أخبار العلماء، ص٧٢-٧٣، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٢٠١-٢٠٩، الزركلي، الأعلام، مج٢، ص١٢.

[7] الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، ص٦٢، ابن الجوزي، المنتظم، مج١١، ص١٩٨، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٧، ص٨٥، ابن كثير، البداية والنهاية، مج١٠، ص٣٧٣.

[8] الصابئ، الوزراء، ص٢٤.

فـي تلـك الفترة إلى الطب والأطباء، كما يدل على اهتمام الخلفاء بالصحة العامة لشعوبهم، وعلى مدى التقدم الحضاري الذي وصلت إليه بغداد في المجالات كافة، وخاصة المجال الطبي.

٢- نفقات البيمارستان :

هـي الـنفقات التـي يحـتاج إلـيها البيمارستان باستثناء رواتب الأطباء والموظفيـن، مثل نفقات البناء ونفقات الأدوية والأطعمة وغيرها، وكان المعتضد بالله من أكثر الخلفاء إنفاقاً على تلك الناحية، فقد أنفق على البيمارستان الصاعدي حوالـي أربعمائة وخمسين ديناراً في الشهر، وذلك أثمان الطعام والدواء ورواتب الموظفيـن[١]، ومـن ذلـك مـا ذكره ابن أبي أصيبعة عن بيمارستان بدر غلام المعتضـد بـالله، الذي كان المتولي للنفقة عليه يقدم نفقات بني هاشم على نفقات البيمارسـتان إلـى أن كتـب إلـيه الوزير علي بن عيسى بضرورة تقديم نفقات البيمارستان من أجل توفير الأدوية والأغذية والتدفئة للبيمارستان[٢].

وكان المقتدر بالله كثير الإنفاق على البيمارستانات، فقد أنفق عليها بسخاء، وخصـص أمـوالاً طائلة للإنفاق عليها، فأنفق على البيمارستان المقتدري مائتي ديـنار في كل شهر[٣]، وأنفق على بيمارستان السيدة حوالي سبعة آلاف دينار في السنة[٤].

وقـد اهـتم الوزراء والأمراء وكبار الموظفين في الدولة العباسية بإنشاء البيمارسـتانات والاهتمام بها، فقد كتب طاهر بن الحسين إلى ابنه سنة (٢٠٦هـ/ ٨٢٠م) طالـباً منه العناية بالمرضى وإقامة البيمارستانات لهم فقال له : "وانصب لمرضى المسلمين دوراً تؤويهم، وقوّاماً يرفقون بهم، وأطباء يعالجون أسقامهم"[٥].

---

[١] الصابي، الوزراء، ص٢٧، متز، الحضارة الإسلامية، مج٢، ص٢٠٦، حتاملة، المعتمد، ص٩٠.

[٢] عيون الأنباء، ص٣٠٢.

[٣] ابن الجوزي، المنتظم، مج١٣، ص١٧٨، عيسى بك، تاريخ البيمارستانات، ص١٨٣.

[٤] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مج٣، ص٢١٦، الذهبي، تاريخ الإسلام، مج٢٢، ص٢٥.

[٥] ابن طيفور، بغداد، ص٣٣، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٨، ص٥٩٠.

وعـــندما بنى الوزير الحسن بن الفرات سنة (٣١١هـ/٩٢٣م) بيمارستاناً، وجعـــل المعالجـــة فـــيه مجاناً، وخاصة لمعالجة العاملين لديه[١]، وكان الكثير من الأطـــباء يقدمون بعض الأدوية ويعالجون المرضى وخاصة الفقراء منهم من دون مقـــابل، كما وجد من جعل بيته أشبه بالبيمارستان يعالج فيها المرضى والضعفاء والفقراء[٢].

رابعاً: نظام المعالجة في البيمارستانات:

كانـــت الأنظمة المتبعة في المعالجة في البيمارستانات متطورة جداً، حيث تـــتم معالجة المرضى على أسس طبيبة وعلمية، وكان الأطباء يمارسونها بحذر، فكـــان الطبيـــب بداية يسأل المريض عن مرضه وسببه وعلاماته وآلامه قبل أن يصـــرف الـــدواء لـــه، كما يوثق اسم المريض في ملف خاص يحفظ باسمه، ولا يهمل ذلك المريض بل ينظر إليه باستمرار، ويكتب له ما يلزمه من الدواء[٣].

كمـــا وجدت غرفة لمعاينة المرضى في أيام محدودة من الأسبوع، ثم يحدد الطبيـــب نـــوع العلاج أكان خارجياً أم داخلياً، فالخارجي يكون بإعطاء المريض الـــدواء مباشـــرة، ويشـــترى من الصيدلية ثم يعود المريض إلى بيته دون دخول البيمارســـتان ويكتفي بصرف الدواء[٤]. أما العلاج الداخلي، فيتم إدخال المريض إلـــى البيمارســـتان حتى يشفى، ويدخل المرضى حسب القاعات المخصصة لنوع المرض، التي يتوافر فيها الأطباء المتخصصون بالأمراض المختلفة[٥].

كمـــا عرفـــت البيمارســـتانات نظام الاستشارة الطبية في حالة مريض أو أعـــراض معينة، حيث يتم استدعاء أطباء متخصصين من أقسام أخرى للاستشارة

---

[١] ابن الجوزي، المنتظم، مج١٣، ص٢٢٠، هونكة، شمس العرب، ص٢٣١.

[٢] التنوخي، نشوار المحاضرة، مج٣، ص١٥٢.

[٣] ابن الأخوة، المغبة والرغبة، ص٧٠، الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٩٧.

[٤] ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٧٣٢، حداد "المارستانات" ص١٣٧.

[٥] ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٧٣٢، عيسى بك، تاريخ البيمارستانات، ص٣٢، عواد، صور مشرقة، ص١١١.

ويشترط أن تكون الرخصة بمزاولة المهنة في التخصص الدقيق بنوع الطب الذي يرغب العمل به[١].

وضمن ذلك السياق لا بد لنا من ذكر الحادثة المهمة التي حصلت، ووضع علـــى أثـــرها قانون الترخيص الطبي، ففي سنة (٣١٩هـ/٩٣١م) علم المقتدر أن طبيبــاً ارتكب خطأ في عمله، وأدى ذلك إلى وفاة الرجل الذي عولج على يد ذلك الطبيب، فأمر المحتسب محمد بن بطحا بمنع جميع الأطباء من مزاولة مهنة الطب دون الحصـــول علـــى إجازة في ذلك باستثناء من ثبتت جدارته في الطب، فعمل سنان بن ثابت على امتحان الأطباء الذين تجاوز عددهم ثمانمائة وستين رجلاً[٢].

وكان الأطباء يمتحنون في كتاب حنين بن إسحاق "محنة الطبيب"[٣]، ويلزم المحتســب الأطــباء بعــد اجتيازهم الامتحان القسم بعهد أبقراط[٤]، بحيث يحلف الأطباء بعدم وصف الأدوية الضارة أو السم القاتل لأي إنسان والدواء الذي يسقط الأجــنة للنســاء، ولا الدواء الذي يقطع النسل للرجال[٥]، وكان يشترط فيمن يريد مــزاولة مهــنة الطــب أن تــتوفر لديــه الأدوات الطبية كافة التي يحتاجها في الصناعة[٦]، أنظر الملحقين رقم (٨+٩).

وكـــان المحتســب يراقب امتحان الأطباء كلا في مجال تخصصه، فأطباء العــيون يــتم فحصـــهم بكتاب "العشر مقالات في العين"[٧] ويشترط فيهم معرفتهم بأمـــراض العـــيون وطـــبقاتها ورطوباتها ومقدرتهم على تركيب الأدوية المناسبة

---

(١) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٣٠٢.

(٢) القفطـــي، أخبار العلماء، ص١٣٠، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٣٠٢، زيادة، الحسبة والمحتسب، ص١٠١.

(٣) ابـــن أبـــي أصـــيبعة، عـــيون الأنـــباء، ص٢٥٥، الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٩٩-١٠٠ زيادة، الحسبة والمحتسب، ص١٠١.

(٤) عهد أبقراط: العهد الذي وضعه أبقراط أبو الطب، استحلف فيه من يريد العمل في الطب أن يكون أميناً، ويجـــب علـــى الأطـــباء الحلف به قبل مزاولة مهنة الطب، وذلك بعدم مخالفة شروطه، القفطي، أخبار العلماء، ص١٩٩، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٤٤.

(٥) ابن الأخوة، المغية والرغبة، ص٧١، الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٩٨، ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٧٨

(٦) الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٩٨، ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٧٩.

(٧) العشـــر مقالات في العين : كتاب يحتوي على عدة مقالات عن العين وأمراضها وعلاجها وطبقاتها وغير ذلك، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٢٧١-٢٧٢.

لأمـــراض العـــيون[1]، فـــإن وجـــده جاهلاً بتشريح العين وأعضائها، وعدم توفر الأدوات اللازمة لذلك لم يسمح له بمزاولة مهنة الكحالة[2]، أنظر الملحق رقم(١٠)

وكـــان يراقـــب كحالـــي الطرقات، بحيث لا يلجأون إلى غش الأدوية التي تعطـــى لمرضى العيون، ويحلّفهم على أدويتهم[3]، كما يمنع الفصادين والحجامين من القيام الفصد[4] والحجامة[5] إلا من لـــه دراية بعلم تشريح العروق والشرايين، وكانـــت أدواته مكتملة[6]. أمـــا الجراحون فكان يتابع أعمالهم، بحيث يتم امتحانهم بدايـــة بكتـــب الجراحة المتخصصة في علم الجراحة، مثل كتاب جالينوس[7] في الجـــراحات والمـــراهم، وكذلك كتاب "التصريف لمن عجز عن التأليف" لخلف بن عـــباس الزهـــراوي[8]، وهـــذه الكتب متخصصة في موضوع الجراحة وتشريح أعضـــاء الجسم ومن ثم يفتش المحتسب على أدوات الجراحة الكاملة لديهم[9]، كما يراقـــب المجبرين وأطباء العظام ويتم امتحانهم في المؤلفات المتخصصة في طب التجبـــير، ويشـــترط معرفـــتهم بأشـــكال العظام وطرق معالجتها[10]، كما يراقب البياطرة، ويشترط فيهم الخبرة بأمراض الحيوانات، ويخضعهم إلى امتحان خاص بأمـــراض الحـــيوانات وطرق علاجها[11]، كما كان يراقب الصيادلة، بحيث يفتش

---

(1) الشيرزي، نهاية الرتبة، ص١٠٠، ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٧٩.

(2) ابن الأخوة، المغبة والرغبة، ص٧٠، ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٧٩، الحاج، قاسم محمد "طب العيون عند العرب" المورد، بغداد، م٤، ع٢، ١٩٧٥م، ص٥١.

(3) الشيرزي، نهاية الرتبة، ص١٠٠.

(4) الفصد : استفراغ الدم من العروق إذا كان فاسداً أو رديئاً، ابن سينا، القانون في الطب، مج١، ص٢٠٤.

(5) الحجامـــة : امتصـــاص الـــدم من العروق إذا كان فاسداً أو زائداً، ولها أوقات معنية، في فترات المساء وأواخر النهار، ابن سينا، القانون في الطب، مج١، ص٢١٣.

(6) ابن الأخوة، المغبة والرغبة، ص٧٠، الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٩٠، ابن الأخوة، معالم القربة ص ١٧١-١٧٢.

(7) جالينوس : من كبار الأطباء القدماء،مارس مهنة الطب في العديد من المناطق مثل اليونان وله العديد من المؤلفات الطبية، ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص٤١، القفطي، أخبار العلماء، ص٨٥-٨٩.

(8) خلف بن عباس الزهراوي : طبيب شهير بالأدوية المفردة والمركبة، له العديد من المؤلفات أشهرها كتاب التصريف، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٥٠١، الزركلي، الأعلام، مج٢، ص٣٥٨.

(9) الشيرزي، نهاية الرتبة، ص١٠١، ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٨٠.

(10) ابـــن الأخوة، المغبة والرغبة، ص٧١، الشيرزي، نهاية الرتبة، ص١٠١، ابن الأخوة، معالم القربة، ص ١٨٠، زيادة، الحسبة والمحتسب، ص١٠٢.

(11) الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٨١-٨٣، ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٦٢.

علـيهم باسـتمرار، كونهـم يقومون بتحضير العقاقير، ويعاقبهم ويعزرهم إذا ما وجدوا أنهم يغشون في الصناعة[1].

ومـنذ عصـر المأمون أصبح الصيادلة يخضعون لامتحان الحصول على إجـازة ممارسـة المهنة، فيذكر أن المأمون قد تنبه إلى تدليس الصيادلة وغشهم، فعـندما يطلـب مـنهم دواء معيناً سواء أكان عندهم أو لم يكن يخبرون المشتري بـتوفر ذلـك الدواء، ويدفعون إليه أشياء من حوانيتهم، فوجه المأمون جماعة إلى الصـيادلة ووضع اسم دواء لا وجود لـه، بل كان عبارة عن اسم منطقة، وذكر الصـيادلة بـأن ذلك الدواء متوفر لديهم، ودفعوا لهم شيئاً من حوانيتهم، قد يكون قطعـة من الحجر أو الأعشاب وغيرها، وأخذوا الثمن من هؤلاء الأشخاص، فأمر المأمون منذ ذلك الحين بامتحان الصيادلة، وسار الخلفاء من بعده على ذلك[2].

وكـان المحتسـب يلزمهم أيضاً بالتقيد بالأقرباذين وغيره من الكتب التي تشتمل على أنواع الأودية[3].

يتبيـن مما سبق ذكره، أن من أراد أن يمارس مهنة الطب يجب أن تتوافر فيه عدة شروط :

أولاً : اجتـياز امتحان في المجال الذي يريد التخصص به، وذلك ضمن مؤلفات معينة في مجال التخصص.

ثانياً : القسم بعهد أبقراط.

ثالثاً : توافر كامل الأدوات الطبية اللازمة التي يحتاجها في عمله.

---

(1) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٢٢٤.

(2) القفطي، أخبار العلماء، ص١٢٩، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٢٢٤-٢٢٥.

(3) الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٥٦.

سادساً: دور البيمارستانات في الحياة العامة.

قدمت البيمارستان عدداً من الخدمات الاجتماعية في بغداد، فعلاوة على العلاج المقدم للناس، كانت البيمارستانات بمثابة مأوى للأيتام والنساء العاجزات والعميان كما ساهمت بجانب اجتماعي مهم، وهو غسل وتكفين الموتى[١]، إلا أن الدور الأهم لهذه البيمارستانات كان علمياً، حيث كانت أشبه بكليات الطب في وقتنا الحاضر يتم فيها تدريس علوم الطب والصيدلة، فيذكر أن جبرائيل بن عبيد الله[٢] كان يدرس الطب في البيمارستان في بغداد في عصر الخليفة المعتضد بالله[٣].

وقد أهتم خلفاء بني العباس بهذا الجانب المهم الذي تؤديه البيمارستانات، وعملوا على توفير القاعات فيها الخاصة بالتعليم، وجلبوا لهذا الغرض كبار الأطباء الذين يتولون مهنة التعليم والتدريس الطبي، فكان الطبيب الرازي (ت ٣٢٠هـ/٩٣٢م)، يتولى مهنة التدريس، حيث يجلس ودونه الطلبة والتلاميذ، ويلقي عليهم الدروس الطبية[٤].

وكان رئيس الأطباء يلقي دروسه على الطلبة، ويمنحهم الإجازة في الطب ويدربهم إلى أن يصبحوا ماهرين في الطب[٥]، كما طبقت في البيمارستانات طريقة التعليم الطبي الذي يعتمد على المشاهدة والتجربة، حيث يصحب الأطباء التلاميذ إلى المرضى، ويشرحون لهم أحوال المرضى وأسباب مرضهم وطرق علاجها، كما يتم تعليمهم الدروس السريرية وطرق العلاج الداخلي والخارجي[٦].

---

(١) زيدان، تاريخ التمدن، مج٣، ص٢٠٧، الخطيب، الطب عند العرب، ص٢٣٧.

(٢) جبرائيل بن عبد الله: طبيب شهير في الدولة العباسية، تعلم الطب في بغداد، توفي وعمره خمس وثمانون سنة، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٢٠٩-٢١٤.

(٣) القفطي، أخبار العلماء، ص١٠٢، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٢١٠.

(٤) القفطي، أخبار العلماء، ص١٧٩، نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، مج٨، ص٤٦.

(٥) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص١٨٤.

(٦) البدري، عبد اللطيف "التعليم الطبي في الإسلام" مقالة ضمن كتاب التربية العربية الإسلامية، عمان، المجمع العلمي الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت، ١٩٩٠م، مج٣، ص٩٢٩، أحمد "العرب وإثراء الدراسات الطبية"، ص١٦٠.

كما شجع الخلفاء على عقد المؤتمرات والمجالس الطبية، فكان الواثق كثيراً ما يعقد المجالس الطبية، فيذكر المسعودي في أحداث سنة (٢٣٠هـ / ٨٤٥م) أن المتوكل عقد مؤتمراً طبياً حضره عدد من الأطباء والفلاسفة مثل : ابن بختيشوع وحنين بن إسحاق وسلموية[١] وغيرهم، وتم الحديث فيه عن فلسفة الطب والأمراض التي يتعرض لها الإنسان وأسبابها وطرق علاجها والأدوية المتوافرة وغير ذلك من الأمور المتعلقة بالناحية الطبية[٢].

---

[١] سلمويه بن بنان : طبيب المتوكل، خدم المعتصم، وكان من أشهر الأطباء في عصره، ابن النديم، الفهرست، ص٣٥٤، القفطي، أخبار العلماء، ص١٤١، الزركلي، الأعلام، مج٣، ص١٧٣.

[٢] مروج الذهب، مج٤، ص٧٧-٧٨.

ثالثاً : السجون في بغداد

أولاً : تعريف السجن ونشأته

ثانياً : أ- السجون العامة في بغداد

١. سجن المطبق.

٢. سجون المطامير

٣. السجن الجديد

٤. سجن باب الشام

٥. سجن النساء

ب- الأماكن العامة

١. قصور الخلفاء

٢. دور القهرمانات

أ. دار زيدان القهرامانة

ب. دار ثمل القهرامانة

٣. دور كبار رجال الدولة

ثالثاً : النظام الإداري للسجون

رابعاً : عناية الخلفاء بالسجناء

خامساً : دور السجون في الحياة العامة

١. دور السجون في الحياة السياسية

٢. دور السجون في الحياة الاقتصادية

٣. دور السجون في الحياة الثقافية

أولاً: تعريف السجن ونشأته :

السجن الحبس أو المحبس، والحبس المنع والإمساك، وحبسه أمسكه، ويطلق على الموضع والسجّان صاحب السجن[1]، وقد ورد ذكر السجن في القرآن الكريم في عدة مواضع فقال تعالى : "ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين"[2]. وفي قوله تعالى : "يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار"[3].

وكان السجن في بداية العصور الإسلامية يتم في أماكن متعددة، فقد يستخدم البيت كمكان للحبس أو المسجد، فلم يكن هناك مكان معين للحبس[4]، فقد استخدم الرسول – صلى الله عليه وسلم – بيت زوجته سودة بنت زمعة[5] مكاناً للحبس، أما عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فقد اشترى داراً من صفوان بن أمية[6] في مكة وخصصها للحبس[7].

أما في العصر الأموي ونتيجة لكثرة الخصومات والنزاعات وأعداء الدولة فقد ظهرت الحاجة إلى السجون، فالخليفة معاوية بن أبي سفيان (٤١هـ-٦٠هـ/ ٦٦٠م-٦٨٠م) أول من وضع السجون بالمعنى الحقيقي، ونظم لها العمال والحرس والموظفين[8]، وعمر بن عبد العزيز أول من نظم السجون بالمعنى

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مج١٣، ص٢٠٣.

[2] القرآن الكريم، سورة يوسف، آية ٣٥.

[3] القرآن الكريم، سورة يوسف، آية ٣٩.

[4] المقريزي، خطط المقريزي، مج٢، ص٨٠٩، عاشور وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة، ص٣٠١.

[5] سودة بنت زمعة : زوجة الرسول – صلى الله عليه وسلم – بعد خديجة، توفيت سنة (٥٤هـ/٦٧٤م) في المدينة، ابن سعد، الطبقات الكبرى، مج٨، ص٥٥.

[6] صفوان بن أمية : أسلم بحنين، توفي سنة (٣٦هـ/٦٥٧م) أيام وقعة الجمل، ابن سعد، الطبقات الكبرى، مج٥، ص٤٤٩.

[7] الكتاني، التراتيب الإدارية، مج٢، ص٢٤٧، أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية، ص٣١٥.

[8] المسعودي، مروج الذهب، مج٣، ص٤٩-٥٠، الكتاني، التراتيب الإدارية، مج٢. ص٢٤٩، عاشور وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة، ص٣٠١، الزيود، التاريخ الاقتصادي، ص٤٥٠.

الحقيقي، ووضع الأسس الدقيقة لها، ووضع ديواناً خاصاً يشرف عليها، حيث أمر بالفصل ما بين الفئات المسجونة، وأمر بصرف الأرزاق والكسوة للمساجين[1].

ثانياً : أ. السجون العامة في بغداد :

ظهرت الحاجة إلى السجون في العصر العباسي بشكل واضح، وذلك لكثرة أعـداء الدولة والخصومات والمعارضين وحركات التمرد والانفصال سواء أكانت أمويـة أو علويـة أو حتى عباسية، حتى إن الحبس لم يقتصر في هذه الفترة على السـجون العامـة في الدولة فقط، بل وجدت أماكن أخرى يتم استخدامها كأماكن للحبس بالإضافة إلى السجون العامة التي وجدت في بغداد، وبدأ بتشييدها منذ فترة مبكرة، وأشهر السجون فيها :

١. سجن المطبق :

أشهر سجون العباسيين، وهو مكان تحت الأرض، بحيث يترك السجين في ظـلام شديد وتحجب عنه الرؤية، وإذا مكث فيه فترة من الزمن فقد بصره. وبُني المطـبق في عهد الخليفة المنصور، ويقع بين باب البصرة وباب الكوفة، وسميت السـكة التي يقع فيها هذا السجن سكة المطبق[2]، ويمكن القول إن هذا السجن يقع فـي الجـزء الجنوبي من بغداد، وعرف باسم السجن الأعظم[3]، وأطلق عليه ابن الطقطقا "سجن التجليد"[4].

وكـان المطبق متين الأسس محكم الأسوار[5]، ويحتوي عدداً من الحجرات والغـرف الضـيقة والآبـار، ويمكن أن نستخلص طريقة الحبس فيه، من خلال وصـف الوزيـر يعقـوب بـن أبـي داؤود طـريقة حبسه في هذا السجن سنة (١٦٥هـ/٧٨١م) فقال :

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مج٥، ص٣٥٦، الرفاعي، الإسلامي في حضارته، ص١٥٢.

(٢) الخطيـب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١٢، ص٣٠٧، حسن، تاريخ الإسلام، مج٢، ص٣٠٦، الأقرطجي، بناء بغداد، ص١٢١، عبد الرؤوف، تاريخ الدولة العباسية، ص٦٧.

(٣) اليعقوبي، البلدان، ص٢٨، سعد، العامة في بغداد، ص٩٩.

(٤) الفخري في الأداب، ص١٥٨.

(٥) اليعقوبـي، البلدان، ص٢٨، ابن رستة، الأعلاق النفيسة، مج٧، ص٢٤٠، العلي، بغداد، مج١، ص٢٦٢، التميمي، السجون، ص٥٧.

كما حبس فيه بعض الطالبين، كما هي الحال في عبد الله بن الحسن بن زيد بن علي بن أبي طالب [1] وقام الطالبيون بالعديد من الثورات ضد الخلافة العباسية فـــي العديـــد مـــن المـــناطق، وقـــد وقف الجيش العباسي في وجه هذه الحركات والثورات، واستطاع إحباط العديد منها في حين تمكن بعضها الآخر من الإفلات.

وحبس فيه من كان موالياً للعلويين، كما هي الحال في عبد الرحمن بن أبي المـــوال[2]، الـــذي حُمل من المدينة إلى بغداد مع الطالبين، وحبس في المطبق[3]، وحـــبس فـــيه بعض الكتّاب، مثل عبد الله بن إدريس الجزيري، وهو من الوزراء والكتاب الأندلسيين[4]، واستخدم لحبس الثوار والخارجين على السلطة في مختلف الأمصار، فقد حبس فيه يحيى بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن أبي طالب سنة (١٧٥هـــــ/٧٧٣م)، حيث خرج هذا على السلطة في بلاد الديلم[5]، وله الكثير من الاتـــباع، واستفحل أمره إلى أن أرسل إليه الرشيد الفضل بن يحيى[6]، فسار إليه وكتب له بالأمان عند الرشيد، إلى أن غضب عليه وحبسه[7].

---

[1] التنوخي، نشواز المحاضرة، مج٢، ص١٢١، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج٩، ص٤٣٢-٤٣٣، ابن الجوزي، المنتظم مج٨، ص٩٣، مصطفى، شاكر، دولة بني العباس، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٢ م، ط١، مـــج ١، ص٢١٧، العـــش، تاريخ عصر الخلافة العباسية، ص٣٦-٣٧، العبادي، دراسات في التاريخ العباسي والأندلسي، ص٥٠-٥١.

[2] عـــبد الرحمن بن أبي الموال : مولى علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – حُمل مع الطالبين إلى بغداد وحبس إلى أن توفي سنة (١٧٣هـــ/٧٧١م) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١٠، ص٢٢٥-٢٢٦.

[3] الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٩٩، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١٠، ص٢٢٥-٢٢٦.

[4] ابن الآبار، محمد بن عبد الله القضاعي (ت ٦٥٨هـــ/١٢٦٠م)، اعتاب الكتّاب، تعليق صالح الأشتر، د.م د.ن، ١٩٦٦، ط١، ص١٩٦.

[5] بلاد الديلم : عين ماء لبني عيسى من أرض اليمامة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٥٤٤.

[6] الفضـــل بـــن يحيى بن خالد البرمكي : ولاة الرشيد أعمال خراسان، وعندما نكب البرامكة حبسه إلى أن توفي سنة (١٩٣هـــ/٨٠٩م) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١٢، ص٣٣٢.

[7] اليعقوبـــي، تـــاريخ اليعقوبـــي، مـــج٢، ص٤٠٨، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٨، ص٢٤٤، ابن الجـــوزي، المنـــتظم، مج٩، ص١٧-١٨، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٦، ص١٢٥، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مج٣، ص٢١٧، مصطفى، دولة بني العباس، مج١، ص٤٧٦، ماجد، العصر العباسي الأول، مج١، ص٢٧٧-٢٧٨.

وحبس في المطبق كذلك بعض الوزراء في الدولة العباسية، حيث حبس المهدي فيه سنة (١٨٢هـ/٧٩٧م) الوزير يعقوب بن أبي داؤد للمرة الثانية، وذلك بسبب ميله للعلويين، حيث أمره المهدي بقتل علوي إلا أن يعقوب أطلقه، وعندما علم المهدي بذلك أمر بحبسه في المطبق، وبقي فيه إلى أن أطلقه الرشيد[١].

وكان المطبق يحتوي قسماً خاصاً لحبس الزنادقة[٢]، وخاصة في عهد المهدي الذي تشدد في طلب الزنادقة والبحث عنهم، وحبس فيه الأمين الشاعر الحسن بن أبي نواس[٣] بتهمة الزندقة في سنة (١٩٥هـ/٨١٠م) [٤] وحبس فيه المأمون إبراهيم بن محمد بن عائشة[٥]، وذلك بسبب مساهمته في أخذ البيعة لإبراهيم بن المهدي[٦]، واستخدم الخليفة المعتصم كذلك المطبق لحبس الثوار، فحبس فيه أبو حرب المبرقع اليماني، الذي ثار في ناحية الغور من بلاد الأردن، وكان يدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان يلبس برقعاً حتى لا

---

(١) التنوخي، الفرج بعد الشدة، مج٢، ص٢٣٣ الهامش، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١٤، ص٢٦٤-٢٦٥ مجهول، العيون والحدائق، مج٣، ص٣٧٨، ابن الجوزي، المنتظم، مج٩، ص٨٠، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مج٣، ص٢٥٩، حسن، نبيلة، تاريخ الدولة العباسية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٩م، ص١٤١.

(٢) المنجد، صلاح الدين "سجون بغداد زمن العباسيين" الرسالة، مج١٣، ع٦٤٠-٦٤٧، ١٩٤٥م، ص١٠٩٠.

(٣) الحسن بن هاني أبو نواس : عالم الشعر، اتهم بالزندقة، ولد سنة (١٤٥هـ/٧٦٢م) توفي سنة (١٦٩هـ/٧٨٥م) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج٧، ص٤٤٩-٤٥٩، الزركلي، الأعلام، مج٢، ص٢٤٠-٢٤١.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، مج١٠، ص١٨، ابن وادران، تاريخ العباسيين، ص٢٢٧، المنجد، بين الخلفاء والخلفاء، ص١٢٠.

(٥) إبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب ابن عائشة: بويع له سراً في بغداد سنة (٢٠٩هـ/٨٢٩م) وأخذ البيعة لإبراهيم المهدي، وحبسه المأمون في المطبق، الصفدي، الوافي بالوفيات، مج٦، ص١٠٦، الزركلي، الأعلام، مج١، ص٥٥.

(٦) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج٢، ص٤٥٩، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٨، ص٦٠٢، المسعودي، مروج الذهب، مج٤، ص٣٥، الذهبي، تاريخ الإسلام، مج٢٣، ص٢٨، مصطفى، دولة بني العباسي، مج ١، ص٦٥١.

يتعرف عليه أحد، وبعد أن كثر اتباعه في تلك المنطقة، أرسل المعتصم إليه جيشاً وحبسه في المطبق في سنة (٢٢٧هـ/٨٤٢م) [١].

كما حبس فيه الواثق أشهر قادة الخوارج مثل محمد بن عمرو الشيباني سنة (٢٣١هـ/٨٣٦م) عندما خرج في ديار بني ربيعة مع بعض رجاله إلى أن أرسل إليه الواثق جيشاً أسروه وسجنوه في المطبق في بغداد[٢]، كما حبس فيه المتوكل بعض العلويين، ففي سنة (٢٣٥هـ/٨٤٩م) حُبس فيه يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن علي بن أبي طالب، حيث خرج هذا على الخليفة في بعض المناطق، وحشد كثير من الأتباع إلى أن قبض عليه المتوكل وسجنه في المطبق[٣]، وحبس فيه بعض القادة الأتراك فحبس فيه المعتز القائد بغا الشرابي[٤] وأتباعه، الذين بلغ عددهم حوالي العشرة، حيث حبسهم في المطبق سنة (٢٥٤هـ/٧٧٨م) [٥].

يتبين مما سبق ذكره أن سجن المطبق هو السجن الرئيسي في بغداد، ويمكن أن يوصف بالسجن الشامل، بحيث إنه يحتوي العديد من السجناء من العلويين أو الطالبيين أو الأمويين أو الثوار والزنادقة والقادة والأتراك، فكان له دور كبير في حياة بغداد، وخاصة في الحياة السياسية في العصر العباسي.

٢. سجون المطامير :

وهو نوع آخر من السجون في العصر العباسي، بناه الخليفة المعتضد بالله سنة (٢٨٠هـ/٨٩٣م) في القصر الحسني، وأطلق عليها المطامير[٦]، وتبنى تحت

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٩، ص١١٦-١١٨، ماجد، العصر العباسي الأول، مج١، ص٢٣١، الكروي، إبراهيم، نظام الوزارة في العصر العباسي الأول، الكويت، شركة كاظمة للنشر، ١٩٨٣م، ط١، ص٢١٩.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج٢، ص٤٨٣، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٩، ص١٤٠.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٩، ص١٨٢، صقر، مطلع العصر العباسي الثاني، ص١١٨ الحضري بك، تاريخ الأمم الإسلامية، ص٢٦٠، العلي، معالم بغداد الإدارية، ص١٨٤.

(٤) بغا الشرابي : من أشهر قادة المتوكل، يعرف ببغا الصغير، خرج على المعتز، وقتل سنة (٢٥٤هـ/٧٧٨م) الصفدي، الوافي بالوفيات، مج١٠، ص١٧٣-١٧٤.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٩، ص٣٨١.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، مج١٢، ص٣٣٦، حتاملة، البنية الإدارية، ص١١١.

الأرض كالآبار، وأراد المعتضد أن يخصص هذا النوع من السجون لجماعة معنية مـن السجناء، فقد قال الخطيب البغدادي : وجعلها محابس الأعداء[1]، وقال عنها ابن الأثير : واتخذها لأصحاب الجرائم[2].

وكانـت المطامـير محكمة البناء حتى شبهت بالقلاع، وكانت تحتوي قسماً خاصـاً لتعذيب السجناء[3]، وبقيت كذلك إلى أن تولى الخلافة المكتفي بالله (٢٨٩ هـ-٢٩٥هـ/٩٠٢م-٩٠٨م) وأمر بهدمها، وبناء مسجد جامع مكانها[4]، وبعد أن تولـى القاهـر الخلافة في سنة (٣٢٢هـ/٩٣٤م) أعاد بناء المطامير لحبس فرق الساجية والحجرية فيها[5].

وحـبس المعتضد فيها كل من لـه اتصال بالقرامطة ومكاتبتهم، ففي سنة (٢٨٤هـ/٨٩٧م) حـبس أبا هشام بن صدقة الذي كان موالياً للقرامطة ويتصل بهـم[6]، وهذا يؤيد اتخاذ الخليفة هذه السجون لحبس الأعداء الذين يشكلون خطراً على الدولة.

ويفهم مما تقدم أن المطامير عبارة عن نوع آخر من السجون التي عرفتها بغداد، تشبه الآبار، ومتخصصة بجماعة من المجرمين الذين يشكلون خطراً للدولة العباسية.

٣. السجن الجديد :

---

[1] تاريخ بغداد، مج١، ص١٢٣، حتاملة، البنية الإدارية، ص١١١.

[2] الكامل في التاريخ، مج٧، ص٥١٦.

[3] المسعودي، مروج الذهب، مج٤، ص٢٣٣.

[4] الطـبري، تـاريخ الرسـل والملـوك، مج١٠، ص٨٨، المسعودي، مروج الذهب، مج٤، ص٢٧٦، ابن الجـوزي، مناقب بغداد، ص٢١، ابن الجوزي، المنتظم، مج١٣، ص٦، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مـج٧، ص٥١٦، الـنويري، نهايـة الأرب، مج٢٣، ص٢٢، الدوري، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، ص١٨٩، لسينر، خطط بغداد، ص١١٣، شريف، يوسف "تاريخ فن العمارة العربية الإسلامية" المورد، بغداد، م٤، ع٢، ١٩٧٥م، ص٣١.

[5] مسكوية، تجارب الأمم، مج١، ص٢٨٦، فوزي، الخلافة العباسية، ص٩٥.

[6] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٨، ص٢٨١، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مج٣، ص٤٨٥.

كان موضع هذا السجن إقطاعاً لعبد الله بن مالك الخزاعي[1]، ويقابله مسجد عبد الله بن مالك، بُني هذا السجن بعد سجن المطبق، إلى أن هُدم هذا السجن لبناء قصـــر مكانه، وقيل لإنشاء بيمارستان سنة (٣٥٥هــ/٩٦٥م) [2]، كما كان له دور سياســي فــي بغـــداد، حيث يشتهر بسوره العظيم الذي يستخدم للتشهير بالعصاة والمجرميـــن، فقــد نصــب رأس الحســين بن الحلاّج وأتباعه على سور السجن الجديــد[3]، وحــبس فيه محمد بن عبد الله بن طاهر[4] بعض الأسرى، وتم حبس بعض الخوارج فيه، الذين ألقى القبض عليهم يوسف بن أبي الساج[5]، وتم حبسهم في بغداد[6].

٤. سجن باب الشام :

وهـــو مـــن أشـــهر ســـجون بغداد كذلك، ويقع في باب الشام[7]، وهو من السجون القديمة في بغداد، وتعرض للكسر من قبل الجند في سنة (٢٥٥هــ/٨٦٨م)[8].

٥. سجن النساء :

يقـــع بالقـــرب من سجن الرجال في الجانب الشرقي، فقد ذكر الطبري في أحـــداث سنة (٢٥١هــ/٨٦٤م) ونتيجة لغلاء الأسعار، قامت العامة بفتح السجون

---

(١) عبد الله بن مالك الخزاعي : صاحب شرطة الرشيد، ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٥، ص٣٠٩-٣١٠.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، مج١٤، ص١٧٥، المنجد، بين الخلفاء والخلفاء، ص١٢٨، سعد، العامة في بغداد، ص٩٩.

(٣) ابــن الجوزي، المنتظم، مج١٣، ص٢٤٠، العلي، معالم بغداد الإدارية، ص١٨٥، التميمي، السجون، ص ٥٩.

(٤) محمـــد بـــن عـــبد الله بن طاهر: لعب دوراً في فتنة المعتز بالله، توفي سنة (٢٥٣هــ/٨٦٧م)، الصفدي، الوافي بالوفيات، مج٣، ص٣٠٤، الزركلي، الأعلام، مج٧، ص٩٤.

(٥) يوســف بن أبي الساج : كان والياً على مكة، ثم تولى أذربيجان، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٨، ص١٣٨.

(٦) الطـــبري، تـــاريخ الرسل والملوك، مج١٠، ص٣٤، ابن الجوزي، المنتظم، مج١٢، ص٣٣٣، التميمي، السجون، ص٥٩.

(٧) اليعقوبي، البلدان، ص٤٠، العلي، بغداد، مج١، ص١٥٩.

(٨) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٩، ص٤٠١، التميمي، السجون، ص٥٨.

ففـــي الجانب الشرقي فتحوا سجن النساء وأخرجوا من كان فيه، وحاولوا الوصول إلـــى سجن الرجال إلا إن الجند منعوهم من ذلك، نستفيد من خلال هذه الرواية أن سجن النساء كان قريباً من سجن الرجال في الجانب الشرقي[١].

ووجد في بغداد في تلك الفترة أيضاً سجن الجرائم، الذي حبس فيه الشاعر إسـماعيل أبـو العتاهية[٢] لامتناعه عن قول الشعر[٣]، وسجن المصريين وسجن القـنطرة وسجن نصر بن مالك[٤]، وللتعرف على مواقع بعض هذه السجون أنظر الملحق رقم (٧).

ولم تقتصر أماكن الحبس في العصر العباسي على السجون العامة فقط، بل وجدت هناك العديد من الأماكن التي يتم استخدامها كأماكن للحبس، وكان من أهم هـذه الأماكن قصور الخلفاء ودور القهرمانات ودور كبار رجال الدولة والدواوين وغيرها وهي كالسجون الخاصة لحبس الخلفاء والوزراء ورجال الدولة.

ب- الأماكن العامة:

١- قصور الخلفاء :

اسـتخدمت القصـور للحبس، خاصة لحبس كبار رجال الدولة من الخلفاء والـوزراء، ومـن أشهر القصور التي استخدمت للحبس، قصر المنصور، حيث حـبس فيه عدد من رجالات الدولة، وأشهر من سجن في قصر المنصور الخليفة الأميـن، وذلك أثناء الفتنة بين الأمين والمأمون سنة (١٩٦هـ/٨١٢م)، مع والدته السـت زبـيدة[٥]، كمـا استخدم الرشيد قصره للحبس، فحبس فيه يحيى بن خالد،

---

(١) تاريخ الرسل والملوك، مج٩، ص٣٣٦، العلي، معالم بغداد الإدارية، ص١٨٦.

(٢) أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم: شاعراً كوفـي الأصل، سكن بغداد، وكان بائعـاً للجرار، توفـي سنـة (٢١٣هـ/٨٣٣م) الصفدي، الوافي بالوفيات، مج٩، ص١٨٥-١٩٠. الزركلي، الأعلام، مج١، ص٣١٩

(٣) الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٢٥.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، مج١٢، ص٢٠.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٨، ص٤٢٨-٤٢٩، الأزدي، أخبار الدولة المنقطعة، مج٢، ص٣٣٥، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مج٣، ص٢٩١، الذهبي، تاريخ الإسلام، مج١٣، ص٣٩. ماجد، العصر العباسي الأول، مج١، ص٣٠١، المجالي، المأمون وعصره، ص١٦١.

وحبس المأمون في قصره إبراهيم بن المهدي سنة (٢١٠هـ/٨٢٥م)، وفي سنة (٢٠٠هـ/٨١٥م) حبس فيه هرثمة بن أعين[١]، لتهاونه في قتال الطالبيين وموالاته لإبراهيم بن المهدي[٢].

وحبس في دار الخلافة علي بن عيسى سنة (٣١٦هـ/٩٢٨م)، إلا أنه هرب من تلك الدار بعد الفتنة التي أدت إلى خلع المقتدر سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م)، كما حُبس الخليفة القاهر في دار الخلافة حوالي إحدى عشرة سنة، وحبُس أيضاً في دار ابن طاهر[٣].

ومن الوزراء الذين حبسوا في دار الخلافة الوزير محمد بن علي بن مقلة، الذي حبس فيها مرتين، وكانت المرة الثانية سنة (٣٢٦هـ/٩٣٧م)، عندما قطعت يده اليمنى ولسانه وهو سجين[٤].

٢- دار القهرمانة :

ومن الأماكن الأخرى التي استخدمت أماكن للحبس، دور القهرمانات، وكان يحبس فيها المقربون والحاشية، وخاصة دار زيدان القهرمانة، ودار ثمل القهرمانة[٥]، وكانت هذه القهرمانات تشتهر بالقسوة وممارسة أنواع مختلفة من العذاب[٦]، وأشهر دور القهرمانات التي استخدمت كحبس في تلك الفترة :

- **أ. دار زيدان القهرمانة :**

---

[١] هرثمة بن أعين : من أبناء الأمراء، تولى مصر للرشيد سنة (١٧٨هـ/٧٩٩م)، وقف بجانب المأمون في الفتنة، توفي سنة (٢٠٠هـ/٨١٦م) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٨، ص٥٤٣-٥٤٤، الزركلي، الأعلام، مج٩، ص٧٥.

[٢] ابن قتيبة، محمد بن عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م)، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة دمشق، دار الكتب، ١٩٦٠م، ص٣٨٩.

[٣] ابن الطقطقا، الفخري في الآداب، ص٢٧٦، المنجد، بين الخلفاء والخلفاء، ص١٣١.

[٤] مسكويه، تجارب الأمم، مج١، ص٣٨٩-٣٩٢، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٨، ص٣٤٥-٣٤٦، شطناوي، محمد، المصادرات في العصر العباسي، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ١٩٩٤م، ص١٨٥

[٥] ثمل القهرمانة : من أشهر النساء في الدولة العباسية، خاصة زمن المقتدر، توفيت سنة (٣١٧هـ/٩٣٩م) كحالة، أعلام النساء، مج٢، ص١٨٥.

[٦] مسكويه، تجارب الأمم، مج١، ص٨٤، شطناوي، المصادرات، ص١٨٨.

اســتخدمت هذه الدار لحبس الكثيرين من رجالات الدولة العباسية، وخاصة الــوزراء، فقــد حبس فيها الوزير الحسن بن الفرات، بعد مصادرته وذلك بتهمة ســرقة الأموال سنة (٢٢٩هـ/٨٤٤م) [١]، كما حبس فيها الوزير علي بن عيسى سنة (٣٠١هـ/٩١٣م)، وحبس فيها مرة أخرى سنة (٣٠٤هـ/٩١٦م) [٢]، وحبس فــيها أيضــاً يوسف بن أبي الساج والي أرمينية[٣]. وحبس فيها الحسن بن الفرات مــرة أخــرى ســنة (٣٠٦هـ/٩١٨م)، وذلك لإسرافه الأموال والنفقات[٤]، ومرة أخرى سنة (٣١١هـ/٩٢٣م). ومن الوزراء الذين حبسوا في دار زيدان القهرمانة أحمــد بن عبيد الله الخصيبي[٥] وأبناؤه، وذلك لإهماله شؤون الوزارة والتفاته إلى الشراب وإسراف الأموال الكثيرة[٦].

ب. دار ثمل القهرمانة :

وكانت تستخدم لحبس المقربين من الرجال والنساء، حيث حبست أم موسى الهاشــمية[٧] مع أفراد عائلتها سنة (٣١٠هـ/٩٢٢م) فيها بأمر من المقتدر، بسبب إســرافها الأموال الكثيرة في زواج بنت أخيها لابن المتوكل، وخاصة بعد أن علم

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، مج١، ص٢٢.

(٢) الصابئ، الوزراء، ص٣١٠، ٣١٣، التميمي، السجون، ص٧٢.

(٣) مســكويه، تجارب الأمم، مج١، ص٥٠، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٨، ص١٠٢، النويري، نهاية الأرب، مج٢٣، ص٤٧.

(٤) التنوخــي، الفــرج بعد الشدة، مج٢، ص٤٣، مسكويه، تجارب الأمم، مج١، ص٥٨، المنجد، بين الخلفاء والخلفاء، ص١٣٦.

(٥) أحمد بن عبيد الله الخصيبي : وزير المقتدر والقاهر، سجن وتوفي سنة (٣٢٨هـ/٩٤٠م) الصفدي، الوافي بالوفيات، مج٧، ص١٦٨-١٦٩، الزركلي، الأعلام، مج١، ص١٦٠.

(٦) مسكويه، تجارب الأمم، مج١، ص١٤٩، شطناوي، المصادرات، ص١٨٥.

(٧) أم موســى الهاشــمية: مــن ذوات النفوذ زمن المقتدر بالله، لعبت دوراً في التاريخ السياسي في العصر العباسي، وأسرفت الأموال إلى أن قبض المقتدر عليها سنة (٣١٠هـ/٩٢٢م) كحالة، أعلام النساء، مج٥، ص١٢٣-١٢٤.

المقـــتدر أن أم موسى كانت تهدف من وراء هذا الزواج خلع المقتدر من الخلافة، وجعلها لابن المتوكل[1].

٣. دور كبار رجال الدولة :

وكانت دور كبار رجال الدولة من الأماكن التي استخدمت للحبس، وخاصة لحـــبس الـــوزراء حيث يعطي الخليفة أمراً بحبس أي شخص كان في هذه الدور، ومن أشهر دور كبار رجال الدولة في تلك الفترة والتي استخدمت كمكان للحبس، دار الفضل بن الربيع، التي حبس فيها الرشيد أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن أبي طالب، لتفكيره بالثورة ضد العباسيين، إلا أنه هرب فيما بعد من تلك الدار[2].

وحبس الرشيد فيها سنة (١٨٧هـ/٨٠٢م) عبد الملك بن صالح بن العباس، الـــذي دعـــا بالخلافة لنفسه في العديد من المناطق، إلى أن توفي الرشيد فأخرجه الأمين من الحبس وولاه على الشام[3]، وحبس الرشيد في دار السندي بن شاهك[4] موســـى بـــن جعفـــر بن محمد بن علي بن الحسين بن أبي طالب، موسى الكاظم، وكـــان يطمـــع بالخلافة ويدعو لنفسه ويمهد لذلك في الحجاز[5] ومنها دار الوزير أحمد بن أبي خالد الأحول[6]، حيث حبس فيها المأمون إبراهيم بن المهدي بعد أن

---

[1] التنوخـــي، الفـــرج بعد الشدة، مج٢، ص٤٤، عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ص٣١، ابن تغري بردي النجوم الزاهرة، مج٣، ص٢٢٩، النويري، نهاية الأرب، مج٢٣، ص٦١، السامرائي، المؤسسات الإدارية، ص٣٠٠، شطناوي، المصادرات، ص١٨٩.

[2] التنوخي، الفرج بعد الشدة، مج٢، ص١٨٠-١٨٢، الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٦٢٠-٦٢١، التميمي، السجون، ص٧٠.

[3] الطـــبري، تـــاريخ الرسل والملوك، مج٨، ص٣٠٢، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٦، ص١٨٣، ابن خلـــدون، تاريخ ابن خلدون، مج٣، ص٢٧٤، مصطفى، دولة بني العباس، مج١، ص٦٤٧ يوسف، مي أحمد "أدب السجون في العصر العباسي" مؤتة للبحوث والدراسات، الكرك، مج١٠، ع٢، ١٩٩٥م، ص ١١٤.

[4] السندي بن شاهك : الأمير تولى أمرة دمشق للمنصور، توفي في بغداد سنة (٢٠٤هـ/٨٢٤م) الصفدي، الوافي بالوفيات، مج١٥، ص٤٨٧.

[5] اليعقوبـــي، تـــاريخ اليعقوبي، مج٢، ص٤١٤، ابن الطقطقا، الفخري في الآداب، ص١٩٦، ابن وادران، تاريخ العباسيين، ص١١٧، فوزي، الخلافة العباسية، ص٢٢.

[6] أحمـــد بن أبي خالد الأحول: أصله من الأردن، كان كاتباً لأمراء دمشق، شغل منصب الوزارة للمأمون، الصفدي، الوافي بالوفيات، مج٨، ص٢٧٢.

ألقى القبض عليه متنكراً، وذلك بعد أن بايع لنفسه بالخلافة وخلع المأمون في سنة (٢١٠هـ/٨٢٤م) [١].

ومنها دار الفتح بن خاقان[٢]، التي حبس فيها يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن علي سنة (٢٣٥هـ/٨٤٩م) حيث حبسه المتوكل فيها[٣]، ومنها دار ابن طاهر أو الحريم الطاهري، وتقع هذه الدار على شاطئ دجلة، وكانت مكاناً لسكن الأمراء الخاضعين لرقابة الدولة وكان يحيط بها سور، وحبُس فيها القاهر سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م) الذي يسعى لخلع المقتدر، ومنها دار مؤنس المظفر التي تقع أيضاً على شاطئ دجلة، حيث حبس فيها المقتدر ووالدته سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م)[٤].

ومنها دار ابن الفيل التي حبس فيها محمد بن رائق[٥] في سنة (٣٢٩هـ/٩٤٠م) جماعة من الديلم[٦]، ولم يقتصر الحبس في بغداد على دور الخلفاء والوزراء والقهرمانات فقط، بل كان من الممكن أن يتم الحبس في أماكن أخرى مثل الدواوين، وخاصة ديوان الخراج، الذي حبسْ فيه المتوكل محمد بن أحمد بن أبي داؤد سنة (٢٣٧هـ/٨٥٢م) بعد أن عزله عن المظالم وغضب عليه وعلى ابنه أحمد وقبض ضياعهما، وذلك لأنه كان يتولى القضاء والمظالم وبعد أن أصيب بالمرض وتولى ابنه أحمد القضاء والمظالم، إلا أن ابنه لم يكن كأبيه من

---

(١) التنوخي، الفرج بعد الشدة، مج٢، ص١٣٣، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٨، ص٦٠٣، ابن الجوزي، المنتظم، مج١٠، ص٢١٢، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٦، ص٣٩٢، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مج٣، ص٣١١، حسن، تاريخ الإسلام، مج٢، ص٥٩، المنجد، بين الخلفاء والخلفاء، ص ١٣٠، يوسف "أدب السجون" ص١١٤.

(٢) الفتح بن خاقان: من أولاد الملوك، كان منادماً للمتوكل، توفي في الليلة التي توفي فيها المتوكل وله العديد من المؤلفات، ابن النديم، الفهرست، ص١٣٠.

(٣) الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٦٣٩.

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، مج١، ص١٩٣، ابن وادران، تاريخ العباسيين، ص٢٤١.

(٥) محمد بن رائق: تولى شرطة بغداد زمن المقتدر وأمرة الأمراء والخراج في سنة (٣٢٤هـ/٩٣٥م)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٨، ص٣١٤.

(٦) الديلم، جماعة من جنوب بحر قزوين، إيرانو الأصل، لعبوا دوراً في الحياة السياسية وخاصة في الفترة البويهية في الجيش والسياسة، وأصبح منهم الملوك، مسكويه، تجارب الأمم، مج٢، ص٤١.

حيــث الكفـــاءة والإدارة، فعــزلـــه المتوكل وحبسه في ديوان الخراج[1]، وحبس المـــتوكل فـــيه أيضاً سنة (٢٥٤هـــ/٨٦٨م) نجاح بن سلمة، وكان هذا من كتّاب المتوكل، فأمر بالقبض عليه وحبسه في ديوان الخراج[2].

نلاحـــظ مـــن خلال العرض السابق أن أمكنه الحبس في بغداد في العصر العباســـي لـــم تكن مقتصرة على السجون العامة والرئيسية فقط، بل تجاوزتها إلى أماكـــن أخـــرى، مـــثل: دور الخلفاء والقصور ودور الوزراء ودور القهرمانات ودواين الخراج، كما نلاحظ أن أسباب الحبس في تلك الفترة كانت كثيرة ومتعددة، ومـــنها الفتن والاضطرابات السياسية، وحركات التمرد والثورات والفساد الإداري والـــوزاري واختلاس الأموال، ومما يلفت النظر في تلك الفترة كثرة السجناء من الـــوزراء، حيـــث أن الـــوزارة في ذلك العصر كانت سبباً في السجن في معظم الأحيان.

---

[1] اليعقوبـــي، تـــاريخ اليعقوبي، مج٢، ص٨٩، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٩، ص١٨٩، الخطيب الـــبغدادي، تاريخ بغداد، مج١، ص٣١٣-٣١٥، ابن الجوزي، المنتظم، مج١١، ص٢٤٩، صقر، مطلع العصر العباسي الثاني، ص١٧٧.

[2] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٩، ص٢١٤-٢١٥، الخضري بك، تاريخ الأمم الإسلامية، ص٢٥٢.

ثالثاً: النظام الإداري للسجون:

للسجون في العصر العباسي نظام معين، شأنها شأن أي مؤسسة أخرى في الدولـة، حيث كانت فيها سجلات خاصة معينة وملفات يتم فيها توثيق المعلومات المتعلقة بكل سجين من حيث تاريخ السجن ومدته وسبب السجن[١]، ويبدو أن تلك الملفات هي التي ذكرها المؤرخون في أحداث سنة (٢٤٩هـ/٨٦٣م)، عندما حصلت الاضطرابات وأعمال الشغب بعد استيلاء الأتراك على أمور الدولة. حيث ذكر المؤرخون: وقطعت الدفاتر التي وجدت وقصص المحبسين، وانتهبت قصص المحبسين ودفاترهم، فيبدو أن المقصود بقصص المحبسين ودفاترهم تلك السجلات والملفات[٢]، وتستخدم هذه السجلات أثناء دفع الأرزاق والصدقات للسجناء، حيث يدفع إليهم في كل شهر أرزاقهم ضمن تلك السجلات[٣].

وفيما يتعلق بمدة الحبس، فلا توجد مدة معينة للسجين، فقد يمكث يوماً أو أياماً أو أسابيع أو شهوراً أو سنين وأحياناً إلى الأبد، وعادة يخرج السجناء من السجن بطرق متعددة، منها إبراء السجين ذمته، وقد تكون الناحية الصحية سبباً لخروج السجين، عندما لا تسمح له البقاء في السجن، أو بالفرار أثناء الاضطرابات وكسر السجون، أو عندما يصدر الخلفاء عفواً خاصاً يخرج السجين[٤].

---

[١] الرفاعي، الإسلام في حضارته، ص١٥٢، الكساسبة، حسين، السلطة القضائية في العصر العباسي الأول، الإمارات العربية المتحدة، مركز زايد، ٢٠٠١م، ط١، ص٢٧٥، درادكة، صالح "نظام الشرطة في العصر العباسي" دراسات الجامعة الأردنية، عمان، مج١٦، ع٣، ١٩٨٩م، ص٨٤.

[٢] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٩، ص٢٦٢، مجهول، العيون والحدائق، مج٣، ص٥٦٥، ابن الجوزي، المنتظم، مج١٢، ص٢٠، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٧، ص١٢٢، ابن كثير، البداية والنهاية، مج١١، ص٤، المنجد، بين الخلفاء والخلفاء، ص١٤٦-١٤٧، العلي، معالم بغداد الإدارية، ص ١٨٦

[٣] ابو يوسف، يعقوب بن إبراهيم القاضي (ت ١٨٢هـ/٧٩٧م)، الخراج، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٩م، ص١٤٩.

[٤] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٨، ص١١٧، الأصفهاني، الأغاني، مج٣، ص١٧٩، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مج٢، ص٤٣، المنجد، بين الخلفاء والخلفاء، ص١٤٤.

ويتكون طاقم العاملين في السجون من الموظفين، ولكل موظف مهمة معينة يقوم بها ويخضع لإشراف الموظف الأعلى منه، ومن أشهر موظفي السجن :
رئيس السجن أو صاحب السجن[1]، والسجّان[2]، الذي تكون مهمته استلام السجناء ووضعهم في السجن بعد أخذ الأمر من الخليفة بذلك، وعندما يستدعي القاضي السجين يقوم السجّان بجلبه إليه مرفقاً معه سجله الخاص به، والذي يتضمن معلومات عنه. كما يقدم السجّان الطعام والشراب والماء للسجناء، ويمنع السجين من مقابلة الأشخاص، ومن الخروج لأي سبب كان، حتى ولو كان بسبب الصلاة[3].

ومنهم أيضاً ولاة السجن، ويقوم هؤلاء بالنظر في جرائم المساجين، ويقومون بعمليات التعذيب، ويمكن أن نستخلص ذلك من خلال الوصايا التي قدمها القاضي أبو يوسف للرشيد حيث قال : بلغني أن ولاتك يضربون الثلاثمائة والمائتين، وإن الرسول – صلى الله عليه وسلم – نهى عن ضرب المصلين[4].

ومنهم الجلاوذة[5]، ويقوم هؤلاء بتقديم كل ما يحتاجه السجناء من الأطعمة والألبسة، وذلك ضمن السجل الخاص بالسجناء، كما يتفقدون السجن من الداخل، وأحياناً يقومون بعمليات الجلد بحضرة القاضي. ومنهم صاحب خبر المحبسين، الذي يقوم بدخول السجن والإطلاع على أحواله، وإذا وجد صاحب مظلمة رفعها إلى الوزير من أجل النظر فيها[6].

---

(1) أبو يوسف، الخراج، ص١٥٠، ابن وادران، تاريخ العباسيين، ص٤٠٣.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٩، ص٦٠١، ابن عبد ربه، العقد الفريد، مج٥، ص٦٩ ، الصابئ، الوزراء، ص١٥٧.

(3) الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٦٠٦، الذهبي، تاريخ الإسلام، مج١٦، ص٤٩-٥٠، ابن كثير، البداية والنهاية، مج١١، ص٢٣، العماد الحنبلي، شذرات الذهب، مج٣، ص١٤٣، مصطفى، دولة بني العباس، مج١، ص٤٢٥.

(4) أبو يوسف، الخراج، ص١٥٠-١٥١.

(5) أبو يوسف، الخراج، ص١٤٩، الخضري بك، تاريخ الأمم الإسلامية، ص١٥٥، درادكة "نظام الشرطة" ص٨٤.

(6) التنوخي، الفرج بعد الشدة، مج٢، ص١٥٠ الهامش.

ومنهم الأعوان، ويشرف هؤلاء على السجناء الذين يقولون بعمليات الحفر والعمـــارة المخـــتلفة كـــالمحكوم عليهم بالأشغال الشاقة في يومنا هذا، بعد أن يتم هؤلاء عملهم يقوم الأعوان بردهم إلى السجون مرة أخرى مكبلين بالحديد[١].

وهـــناك الخدم الذين يقومون بتقديم الخدمات للسجناء[٢]، وصاحب الحرس، الـــذي يتولى تعذيب المصادرين للاعتراف بما لديهم من الأموال، ففي سنة (٢٢٩ هـــ/٨٤٣م) عـــندما حبس المتوكل أحد كتابه أحمد بن إسرائيل[٣]، كان صاحب الحرس يتولى تعذيبه بالأسواط لكي يعترف بما لديه من أموال[٤]، وهناك الحاجب والقوّام والفراشون[٥].

ولـــم تقتصـــر إدارة السجون على هؤلاء الموظفين فقط، بل وجدت هناك مؤسسات أخرى تنسق بينها وبين السجون ليكون العمل متكاملاً، ومن أشهر هؤلاء الموظفيـــن صاحب الشرطة، ويقوم بالقبض على المجرمين والهاربين من السجون وإعـــادتهم إلـــيه ويعاقـــب عقاباً شديداً لمن يرتكب الجرم أكثر من مرة. كما يتفقد الأطعمة التي تقدم للسجناء، وينفذ الأوامر التي ترفع إليه من قبل والي المظالم[٦]،

ومـــن المؤسسات الأخرى الوزارة، فقد كان الوزراء يطلعون على قضايا السجناء، وينقلونها إلى الخلفاء، وكان للوزير صلاحيات، إطلاق بعض السجناء[٧]، وهـــناك القضـــاة، فكان إطلاق سراح بعض السجناء من صلاحيات القضاة، فكان

---

(١) الرفاعي، الإسلام في حضارته، ص١٥٢، عاشور "الحياة الاجتماعية" ص١٢٥.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، مج١١، ص٤١.

(٣) أحمد بن إسرائيل : تولى الخراج للمتوكل والمنتصر والوزارة وسجن ومات في السجن، الصفدي، الوافي بالوفيات، مج٦، ص٢٤٣-٢٤٤.

(٤) الطـــبري، تـــاريخ الرسل والملوك، مج٩، ص١٢٥-١٢٦، ابن الجوزي، المنتظم، مج١١، ص١٤، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٧، ص١٠.

(٥) الصابئ، الوزراء، ص٢٦٤، المنجد "سجون بغداد" ص١٠٩٠.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج١٠، ص١٨، التميمي، السجون، ص٩٧، نوري، دريد، "الشرطة في العراق خلال العصر العباسي الأول" المؤرخ العربي، بغداد، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، مج ١٢، ع٢٩، ١٩٨٦م، ص٢٢.

(٧) الخطيـــب الـــبغدادي، تـــاريخ بغـــداد، مج٣، ص٤٠١-٤٠٣، الصابئ، الوزراء، ص٨٤-٨٥، التميمي، السجون، ص٩٥.

القاضـــي بعد إطلاعه على قضايا السجناء، يطلق سراح من يجب إطلاقه، وكذلك صـــاحب البريد الذي يستطلع أخبار السجناء ويرفعها إلى الخليفة، ففي سنة (٢١٠ هـــ/٨٢٥م) قـــام سجناء المطبق بإثارة الشغب بتحريض من ابن عائشة[١]، فقام صاحب البريد محمد بن عمران بنقل هذه الصورة إلى المأمون، الذي أمر بقتل ابن عائشة[٢].

ووجـــد في السجون وكيل الحكم، فيذكر التنوخي أن وكيل الحكم يدخل إلى الســـجون، وخاصـــة المطـــبق، ويتفقد أحوال السجناء، وخاصة المظلومون منهم، ويـــتولى الدفـــاع والمرافعة عنهم إلى أن تثبت براءتهم، وذلك عن طريق عرض الشكاوى على الوزير ليتم الإطلاع عليها[٣].

أمـــا الـــنظام المالي للسجون أو النفقات، فقد أنفقت الدولة على السجناء من بيـــت المـــال، فالسجن من المؤسسات الاجتماعية الهامة التي يجب الإنفاق عليها، وكان الإنفاق على السجناء متعارفاً عليه منذ بداية العصر الإسلامي، وخاصة منذ عهـــد الخلـــيفة علي بن أبي طالب، ومن بعده معاوية بن أبي سفيان إلا أن الخليفة عمر بن عبد العزيز كان من أكثر الخلفاء اهتماماً بالنفقات على السجناء حيث أمر بصرف النفقات للسجناء في كل شهر، وأمر لهم بكسوة في الصيف والشتاء[٤].

وكانـــت الناحـــية المالية للسجناء محط اهتمام خلفاء بني العباس، فقد أمر المهدي في سنة (١٦٣هـــ/٧٧٩م) بأن تجري الأموال على أهل السجون في جميع الأمصـــار[٥]، وكان عندما يطلق السجناء يأمر لهم بالكسوة والأموال[٦]، وقد اهتم الرشـــيد كثـــيراً بالنفقات على السجناء، حيث استدعى القاضي أبا يوسف في أحد

---

[١] ابـــن طـــيفور، بغـــداد، ص٩٨، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٨، ص٦٠٣، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٨، ص٣٩٢.

[٢] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج٢، ص٤٥٩، التميمي، السجون، ص٩٨.

[٣] الفرج بعد الشدة، مج٢، ص١٤٩-١٥١، الكساسبة، السلطة القضائية، ص٢٧٠.

[٤] ابن سعد، الطبقات الكبرى، مج٥، ص٣٥٦، الرفاعي، الإسلام في حضارته، ص١٥٢.

[٥] ابـــن الجوزي، المنتظم، مج٨، ص٢٥٦، الذهبي، تاريخ الإسلام، مج١٠، ص١١، حسن، تاريخ الإسلام، مج٢، ص٤٠، الدوري، العصر العباسي الأول، ص٩٩.

[٦] اليعقوبـــي، تـــاريخ اليعقوبـــي، مج٢، ص٣٩٤-٣٩٥، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٨، ص١٤٢، الدوري، العصر العباسي الأول، ص٥٨.

الأيـــام وسأله عن السجناء وحالتهم وواجبه تجاههم فقال لـــه القاضي : إن هؤلاء السجناء يجب أن تجري عليهم الصدقات من بيت المال وقال : "وأمر بالتقدير لهم مـــا يقوتهم من طعامهم وأدمهم وصيّر ذلك دراهم تجري عليهم في كل شهر تدفع إليهم"[1].

وقال القاضي للرشيد : إن من واجبه تجاه هؤلاء السجناء تقديم الكسوة لهم في الصيف والشتاء، سواء أكانوا رجالاً أم نساءً، وفي حالة وفاة أحد السجناء فمن واجـــب الدولة غسله وتكفينه ودفنه من بيت المال، إذا لم يكن له أهل أو قرابة[2]، كمـــا خصـــص الخليفة المعتضد بالله جزءاً من مالية الدولة للنفقات على السجون وأقوات المساجين، وسائر ما يحتاجونه من المواد والمؤون، فخصص لهم ما قيمته خمســـون ديـــناراً مـــن جملـــة خمسمائة دينار في الشهر، وذلك لنفقاتهم ومؤونهم وغيرها[3].

وعندما حبس المتوكل اتباع أحمد بن مالك الخزاعي سنة (٢٣١هـ/٨٤٦م) مـــنع عنهم الأرزاق التي تجري على المساجين، وهذا دليل على أن الخلفاء ينفقون علـــى الســـجناء ويقدمون لهم الأرزاق[4]، وتتضمن النفقات على السجون رواتب الموظفيـــن فيها، فكان راتب رئيس السجن الشهري حوالي مائة وعشرين ديناراً، ورواتـــب مســـاعديه تقـــدر بحوالي ثلاثين ديناراً في كل شهر، أما بقية الموظفين فكانـــت تقدر بحوالي خمسين ديناراً في الشهر من جملة ستة آلاف دينار، وكانت تصرف رواتبهم كل مائة وعشرين يوماً[5].

---

[1] أبو يوسف، الخراج، ص ١٥٠.

[2] أبـــو يوســـف، الخـــراج، ص١٥١، المـــنجد، بيـــن الخلفاء والخلفاء، ص١٣٢، خليل، الحضارة العربية الإسلامية، ص٣١٦.

[3] الصـــابئ، الـــوزراء، ص٢٦، متز، الحضارة الإسلامية، مج٢، ص٢٠١، عواد، صور مشرقة، ص٦٤، الخضـــري بـــك، تـــاريخ الأمم الإسلامية، ص٣١٧، المنجد، بين الخلفاء والخلفاء، ص١٣٦، حتاملة، المعتمد، ص١١١.

[4] الطـــبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٩، ص١٣٩، ابن كثير، البداية والنهاية، مج١٠، ص٣٣١، الزيود، التاريخ الاقتصادي، ص٤٥٠، أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية، ص٣١٦، التميمي، السجون، ص ٢٦٢.

[5] الصابئ، الوزراء، ص٢٠، العلي، بغداد، مج١، ص٢٠٠.

يتضـــح مما تقدم أن السجون في بغداد في العصر العباسي كانت تسير وفقاً لـــنظام معيـــن، وكانت تتوافر فيها الكوادر البشرية لإدارتها على أكمل وجه، كما كانـــت تتم الاستعانة ببعض المؤسسات الأخرى في الدولة التي تعمل مع السجون يداً بيد كالوزارة والقضاء والشرطة والبريد وغيرها.

رابعاً: عناية الخلفاء بالسجناء:

اهـــتم الخلفاء العباسيون بالسجناء كثيراً، وكانت سياستهم تجاههم تقوم على الصـــفح والعفـــو والمســـاعدة، فقد كان كثير من الخلفاء يطلقون سراح السجناء، بالإضافة إلى تقديم الهبات والأموال إليهم وكسوتهم عند خروجهم من السجن.

وقد بدت مظاهر هذا الاهتمام منذ وصية المنصور لابنه المهدي قبل وفاته سنة (١٥٨هـ/٧٧٤م)، حيث كتب لـــه جملة من الوصايا والآداب العامة للسياسة فقال: لقد تركت لك ثلاثة أنواع من الناس، الفقير الذي يتوقع أن تغنيه، والخائف الذي يتوقع أن تحميه، والسجين الذي يتوقع أن تطلقه، فأوسع لهم دون إسراف[١]، وكـــان الخلـــيفة المنصـــور في كثير من الأحيان يوصي عماله ووزراءه بإطلاق سراح المساجين[٢].

وقـــد سار المهدي على وصايا والده، فأمر سنة (١٥٩هـ/٧٧٥م) بإطلاق ســـراح من كان في سجن المطبق، إلا من كان عليه جرم من قتل أو سعي بالفساد في الأرض[٣]، فأطلق أصحاب الجرائم السياسية، وممن أطلقهم الوزير يعقوب بن

---

(١) اليعقوبـــي، تاريخ اليعقوبي، مج٢، ص٣٩٥، الخربوطلي، الحياة الاجتماعية، ص١٩٥، العبادي، دراسات في التاريخ العباسي، ص٦٧، التميمي، السجون، ص٢٤٨.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٥، ص٥٣٦

(٣) الطـــبري، تـــاريخ الرسل والملوك، مج٨، ص١١٧، ابن الجوزي، المنتظم، مج٨، ص٢٢٧، ابن تغري بـــردي، النجوم الزاهرة، مج٢، ص٤٣، ماجد، العصر العباسي الأول، مج١، ص١٨١، مصطفى، دولة بني العباس، مج١، ص٣٩٢، العش، تاريخ عصر الخلافة العباسية، ص٥٠.

أبي داؤود[١]، ولكنه لم يطلق من عليه جناية بحق العامة أو الحقوق المدنية أو من عنده دين لأحد[٢].

وفـــي ســـنة (١٦٢هـ/٧٧٨م) خصص المهدي الأرزاق في سائر الأقاليم والآفاق للمحبوسين[٣]. وكان يقدم لمن يطلق من السجن زرقاً وكساء، فعندما أطلق عبد الله بن مروان بن محمد الأموي قدم له عشرة آلاف درهم[٤]، كما قدم للعلويين الذين كان يطلقهم صلات وهدايا، وخاصة الذين كانوا في حبس المنصور[٥]. وكان الرشـــيد عـندما يطلق السجناء يصرف لهم الأموال، فيذكر الأصفهاني إنه عندما أطلق الشاعر أبا العتاهية قدم له ألفي دينار[٦].

وبعـــد أن تولـــى المـــتوكل الخلافة، نظر في أمور السجناء، فأمر بإطلاق الســـجناء ســـنة (٢٣٧هـ/٨٥١م)، وأمر بكسوتهم في مختلف الأمصار، وبخاصة الذيـــن رفضـــوا القول بخلق القرآن[٧]، كما نظر بأمور المظالم والسجون، وأطلق المعتضد السجناء، أما المكتفي فيطلق سراح من كان عليه دين من السجناء ويكفله بسداد دينه، وكذلك المقتدر الذي كلف القاضي بإطلاق سراح السجناء[٨].

ولـــم يقتصر هذا الاهتمام وهذه العناية على الخلفاء فقط، بل كان الوزراء يهـــتمون بأمـــر الســـجناء فالوزير يعقوب بن أبي داؤود كان كثير الاهتمام بأمر الســـجناء، ويطلـــب من المهدي إطلاق سراح المحبوسين[٩]، وعندما كتب الأمير

---

[١] الجهشياري، الوزراء والكتّاب، ص١٥٥، ابن كثير، البداية والنهاية، مج١٠، ص١٣٩، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مج٣، ص٢٥٢، الخربوطلي، الحياة الاجتماعية، ص١١٠، الكروي، نظام الوزارة، ص٤٤.

[٢] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٨، ص١١٧، الخضري بك، تاريخ الأمم الاسلامية، ص٧٨، العبادي، دراسات في التاريخ العباسي والأندلسي، ص٦٧.

[٣] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٨، ص١٤٢، ابن الجوزي، المنتظم، مج٨، ص٢٥٦، الذهبي، تاريخ الإسلام، مج١٠، ص١١، ابن كثير، البداية والنهاية، مج١٠، ص١٤٥، العماد الحنبلي، شذرات الذهب، مج٢، ص٢٨٢، حسن، تاريخ الإسلام، مج٢، ص٤٠، الدوري، العصر العباسي الأول، ص٩٨، حسن، تاريخ الدولة العباسية، ص١٤٦.

[٤] اليعقوبـــي، تـــاريخ اليعقوبـــي، مج٢، ص٣٩٤-٣٩٥، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٨، ص١٤٢، الدوري، العصر العباسي الأول، ص٥٨.

[٥] حسن، تاريخ الإسلام، مج٣، ص٣٩، مصطفى، دولة بني العباس، مج١، ص٣٩١.

[٦] الأغاني، مج٤، ص٥١.

[٧] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج٢، ص٤٨٤-٤٨٥، ابن الجوزي، المنتظم، مج١١، ص٢٥١، مج١٢، ص ٣٨، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مج٢، ص٣٤٨، الذهبي، تاريخ الإسلام، مج١٧، ص٢٣.

[٨] ابن الجوزي، المنتظم، مج١٣، ص٦٢، المنجد، بين الخلفاء والخلفاء، ص١٤٨

[٩] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٦، ص٣٨.

طاهر بن الحسين إلى ابنه العديد من النصائح المتعلقة بآداب السياسة والولاية سنة (٢٠٦هـ/٨٢١م) فقال عن السجناء: "وأقم حدود الله في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم، وما استحقوه، ولا تعطل ذلك ولا تهاون به، ولا تؤخر عقوبة أهل العقوبة"[١]. وكان الوزير الفضل بن الربيع يتفقد أوضاع السجناء بنفسه، وينظر في مشاكلهم وحاجاتهم[٢].

ومن مظاهر هذا الاهتمام وهذه العناية، الاهتمام بالناحية الصحية للسجين، حيث كان يخصص الأطباء الذين يجولون السجون يوميا، ويتفقدون السجناء، ويطلعون على أحوالهم الصحية، ويقدمون لهم الأدوية والأشربة اللازمة[٣]. ويذكر ابن أبي أصيبعة أن أول من تنبه إلى ذلك الخليفة المقتدر بالله عندما كتب وزيره علي بن عيسى إلى الطبيب سنان بن ثابت لافتا انتباهه إلى السجناء، وضرورة توافر الأطباء والأدوية والأشربة لهم، وتخصيص أطباء يترددون عليهم في كل يوم ويقدمون لهم الأدوية والأشربة، ففعل سنان ذلك[٤]. وتظهر هذه العناية في عهد الراضي عندما أمر الطبيب سنان بن ثابت بالدخول إلى ابن مقلة، وهو في السجن لمعالجته[٥].

نلاحظ مما سبق ذكره أن السجناء في هذا العصر كانوا ينالون مختلف أنواع العناية والاهتمام والتسامح، حيث يتم إطلاق سراح من يجوز إطلاقه والعفو عنهم، كما تقدم الأموال والصلات لهم، وسداد ديون من عجز عن سدادها، بالإضافة إلى الاهتمام بالناحية الصحية للسجناء.

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٨، ص٥٨٤، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٦، ص٣٦٧، التميمي، السجون، ص٢٤٩.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٨، ص٥١٦، المنجد "سجون بغداد"، ص١٠٩١.

(٣) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٣٠١، متز، الحضارة الإسلامية، مج٢، ص٢٠٢.

(٤) عيون الأنباء، ص٣٠١، عيسى بك، تاريخ البيمارستانات، ص١٢، الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٢٤٩.

(٥) إلياس، بستان الأطباء، ص٦٢، مسكويه، تجارب الأمم، مج١، ص٣٨٧، شطناوي، المصادرات، ص١٨٥

خامساً: دور السجون في الحياة العامة:

١- دور السجون في الحياة السياسية:

نظـــرا لكثرة الأحداث السياسية في تلك الفترة، كان يستعان بالسجناء كجند غـــير نظامـــي في أثناء الشغب والاضطرابات والأزمات، سواء أكانت سياسية أو غيرها.

ففي المجال السياسي اضطلع السجناء بدور في إحداث ومجريات الفتنة بين الأميـــن والمـــأمون، حيـــث اســـتعان الأول بالسجناء في قتاله مع الثاني، وفتحت الســـجون واشترك أهلها في الفتنة، وشاركوا في القتال إلى جانب الأمين[١]، وقال الطـــبري فـــي هـــذا الصدد: "وذلت الأجناد وتواكلت عن القتال إلا باعة الطريق والعراة وأهل السجون"[٢].

وظهـــر دور السجناء في الحياة السياسية في سنة (٢٤٩هـ/٨٦٣م) وذلك فـــي أعقاب الاضطرابات الداخلية والتقاعس عن حرب الروم ومواجهتها، علاوة علـــى وصول الخبر إلى أهل بغداد بمقتل عمر بن عبد الله الأقطع وعلي بن يحيى الأرمنـــي[٣]، أبرز قادة المسلمين في الثغور، بالإضافة إلى استبداد الأتراك بأمور الدولـــة، كذلـــك حدثت أعمال شغب في بغداد، وفتحت السجون وانتهبت ديـــوان قصـــص المحبســـين ودفاترهم وخاصة سجن نصر بن مالك وأخرج السجناء منه، واستعان العامة بهم في القتال[٤].

كما لعب السجناء دورا في الفتن المتصلة في بغداد سنة (٢٥٥هـ/٨٦٨م)، وذلـــك بسبب حبس أحمد بن المتوكل واستياء أهل بغداد من صعاليك الري الذين

---

[١] المســـعودي، مـــروج الذهب، مج٣، ص٤١١، مجهول، العيون والحدائق، مج٣، ص٣٣٢، ابن الجوزي، المنتظم، مج١٠، ص١٩٧، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٦، ص٢٧٢، الخضري بك، تاريخ الأمم الإسلامية، ص٢٢١، الكروي، نظام الوزارة، ص١٥٤.

[٢] تاريخ الرسل والملوك، مج٨، ص٤٤٨، أبو طالب، الصراع الاجتماعي، ص١٨٥.

[٣] علـــي بـــن يحيى الأرمني: صاحب الغزو والجهاد، خرج لقتال الروم، وقتل في سنة (٢٤٩هـ/٨٦٣م)، الصفدي، الوافي بالوفيات، مج٢٢، ص٣٠٧، الزركلي، الاعلام، مج٥، ص١٨٤.

[٤] ابن الجوزي، المنتظم، مج١٢، ص٢٠، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٧، ص١٢٢، ابن كثير، البداية والنهاية، مج١١، ص٤، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مج٢، ص٣٩٤.

يــؤذون أهل بغداد، فتوجه أهلها إلى سجن باب الشام ليلاً واستعانوا بالسجناء في حربهم، فأخرج السجناء من السجن سوى المرضى والضعفاء[1].

وتكــرر مــثل ذلــك فــي عــام (٢٨٧هـ/٨٩١م) نتيجة أعمال الشغب والاضــطرابات، قامــت العامــة بفتح السجون، وبخاصة سجن المطبق والسجن الجديــد، وخــرج الســجناء مــنه، وساهموا في أعمال الاضطراب والشغب[2]، واضــطلع السجناء بدور في فتنة ابي الحسن البريدي الذي سار إلى بغداد، وخرج المتقــي وابــن رائق لقتاله، فاستعان ابن رائق بالعامة في قتاله، وفتحت السجون، وقاتل أهل السجون معهم في سنة (٣٣٠هـ/٩٣٧م) [3].

واســتخدم السجناء في كثير من الأحيان كجواسيس وأدلاء ضد اللصوص، فــيذكر المســعودي إنه تم الاستعانة بالسجناء الذين أطلق عليهم "التوابون" وكان هــؤلاء من كبار اللصوص التائبين عن أعمال السرقة واللصوصية، للدلالة على اللصــوص الذيــن يقومون بالسرقة في أسواق بغداد، فوزعوا على مختلف أنحاء بغداد وأسواقها، حتى ألقي القبض على هؤلاء اللصوص، وسلموا إلى الخليفة[4].

وكانــت السجون أيضا تستخدم للتشهير بالعصاة والخارجين على القانون، وبخاصــة السجن الجديد، حيث نصب رأس الحسين بن الحلاج وأتباعه على سور هذا السجن، ليصبحوا عبرة لغيرهم من الخارجين على القانون[5].

وكــان الخلفاء في كثير من الأحيان يستخدمون السجناء لبناء المدن، لشحن الواقــع مــنها علــى الثغور بالمقاتلين، ومن ذلك ما فعله المنصور عندما استعان بالسجناء لبناء المدن في الثغور وشحنها بالسجناء كجند غير نظاميين، فقد استعان

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٩، ص٣٩٩، ٤٠١، سعد، العامة في بغداد، ص٤٤١-٤٤٢.

[2] الطــبري، تاريخ الرسل والملوك، مج١٠، ص٢٠-٢٢، المسعودي، مروج الذهب، مج٤، ص٢٢٨، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٧، ص٤٤٣، المنجد، بين الخلفاء والخلفاء، ص١٤٧.

[3] مسكويه، تجارب الأمم، مج٢، ص٢٤، الصولي، أخبار الراضي بالله، ص٢٢٣.

[4] المسعودي، مروج الذهب، مج٤، ص٢٤٨.

[5] مسكويه، تجارب الأمم، مج١، ص٧٦-٨٢، ابن الجوزي، المنتظم، مج١٣، ص٢٤٠، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٨، ص٧٦.

بسبعة آلاف سجين لبناء مدينتي كمخ[1] والمحمدية[2]، خاصة وإن هاتين المدينتين تستخدمان في الحروب مع الروم كثيراً. وحدث مثل ذلك في مدينة المصيصة[3] الصغيرة، فعندما أراد المنصور أن يبني لها سورا كبيرا، لكي تستطيع الصمود في وجه الهجمات البيزنطية نقل إليها المنصور عدداً من السجناء للاستعانة بهم في عمليات البناء والتعمير وشحن الحدود، وقال اليعقوبي في هذا الصدد:"وحمل إليها أهل المحابس"[4].

٢- دور السجون في الحياة الاقتصادية:

كان لأهل السجون في بغداد في العصر العباسي دور في الحياة الاقتصادية، فعندما تتأخر الأرزاق أو ترتفع الأسعار أو تقل المؤون، تتجه العامة والجند إلى السجون، ويستعينون بأهلها للقيام بأعمال الشغب والفتن ضد السلطة، ومن ذلك ما حدث في سنة (٢٥١هـ/٨٦٥م) عندما هوجمت السجون نتيجة غلاء الأسعار، وخاصة سجن النساء في بغداد، وأخرج كل من كان فيه، ثم توجهت العامة بعد ذلك إلى سجن الرجال لإطلاق السجناء منه، إلا أن الجند منعهم من فتح سجن الرجال[5]. وتكررت هذه الصورة في سنة (٢٧٢هـ/٨٨٧م) عندما ثار أهل بغداد بسبب غلاء الأسعار، ونهبوا دور الأغنياء والوزراء والنبلاء، وتوجهوا إلى السجون وفتحوها[6].

وقام أهل بغداد سنة (٣٠٧هـ/٩١٩م) بالثورة وكسروا المنابر ونهبوا الحوانيت وفتحوا السجون، وذلك في أعقاب ارتفاع الأسعار، بعد احتكار الوزير

---

(1) كمخ: مدينة بالروم، وتسمى كماخ أيضا، ياقوم الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص٤٧٩.

(2) المحمدية: قرية تقع على طريق خراسان، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٥، ص٦٤

(3) المصيصة: قرية من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم، رابط فيها العديد من المحاربين منذ القدم، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٥، ص١٤٥.

(4) تاريخ اليعقوبي، مج٢، ص٣٨٧

(5) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٩، ص٣٣٦، العلي، معالم بغداد الإدارية، ص١٨٦.

(6) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٩، ص٣٣٦، سعد، العامة في بغداد، ص٤٤٣

حـامد بـن العـباس[1] المواد وخزنها، إلى أن قام المقتدر بفتح الدكاكين وبيوت الخلفـاء والأمراء، وبيعت المواد كالحنطة وغيرها بنقصان خمسة دنانير في الكر ورضـي الـناس بذلـك[2]. وفـي سـنة (٣١٩هـ/٩٣١م) بعد تدهور الأوضاع الاقتصادية وقلة النفقات والمؤون، قام الشطار[3] بمهاجمة السجون، وخاصة سجن المطـبق وقتل العديد من الأشخاص، كما شغبوا سنة (٣٢٠هـ/٩٣٢م)، وطالبوا بالأرزاق ومال البيعة بعد تولي الخليفة القاهر بالله، فقاموا بفتح السجون ومحاربة القائمين عليها[4].

وكان يسمح للسجناء القيام ببعض الأعمال والحرف التي تكون ذات مردود اقتصـادي، وخاصة لسداد الديون، إذا كان الشخص محبوسا بسبب تراكم الديون علـيه، فيذكر أن رجلاً كان في الحبس، فتراكمت عليه الديون، فعمل في صناعة الغـزل والنسـيج، وهـو فـي الحبس، وذلك لكي يحصل على المال ليسدد منه ديونه[5].

٣- دور السجون في الحياة الثقافية:

لقد كان للسجون دور ثقافي في بغداد، فظهر ما يسمى في العصر العباسي بأدب السجون، وهو عبارة عن الآثار الأدبية التي تكشف عن مكنون عالم السجن بكل ما فيه من معاناة وأهوال، وتأثير ذلك على السجين نفسياً وجسمياً، سواء أكان

---

[1] حـامد بـن العباس: وزير المقتدر، ولاه المقتدر الوزارة سنة (٣٠٦هـ/٩١٨م) وتولى فارس والبصرة، عزلـه المقـتدر سنة (٣١١هـ/٩٢٣م) الصفدي، الوافي بالوفيات، مج١١، ص٢٧٤-٢٧٧، الزركلي، الإعلام، مج٢، ص١٦٦.

[2] عريـب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ص٨٤-٨٥، مسكويه، تجارب الأمم، مج١، ص٧٤، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٨، ص١١٦-١١٧، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مج٣، ص٢٢٢، النويري، نهاية الأرب، مج٢٣، ص٥٦، فوزي، الخلافة العباسية، ص١٣٩، السامرائي، المؤسسات الإدارية، ص ١٢٢، الخضري بك، تاريخ الأمم الإسلامية، ص٣٤٥.

[3] الشـطّار: عصـابات يقارب عددها حوالي الخمسين ألف، يرتدون لباسا مميزا، كانت تقوم هذه العصابات بعملـيات السلب والنهب، وخاصة بيوت الأغنياء والمترفين، كما لعبت دورا سياسيا في أثناء الفتنة بين الأمين والمأمون، المسعودي، مروج الذهب، مج٣، ص٤١١.

[4] القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ص١٨٤.

[5] سعد، العامة في بغداد، ص١٠٢، التميمي، السجون، ص٩٢.

ذلــك الأدب نثراً أو شعراً. وكان هذا الأدب متعدد الأغراض، فقد يأتي استعطافاً ورجاء العفو، وقد يأتي إقرارا بالذنب والندم، وقد يأتي عقاباً ولوماً[1].

ومن أشهر أنواع هذا الأدب المناظرات، حيث كانت المناظرات تجري بين السـجناء فجرت مناظرة بين أبي أيوب سليمان بن وهب[2]، الذي حبس في خلافة الواثـق، وكـان قد يئس من الفرج إلى أن وردت إليه أبيات من الشعر من أخيه وفيها شعر له يقول:

محــنٌ أبـــا أيــوبَ أنــت محلُّهــا	فــإذا جزعت من الخطوب فمنْ لها
إنّ الــذي عقِــد الــذي انعقــدتْ به	عُقَــدُ المكــاره فــيك لحســنِ حلُّها
فأصــبرْ فــإن الله يعقــبُ فُــرجةُ	ولعلّهـــا أنْ تنجلــي ولعلّهـــا
وعســى تكــون قريبة من حيثُ لا	تــرجو وتمحــو عــن حديدك ذلّها

(الكامل)

فكتب سليمان بن وهب إلى أخيه :

صــبّرتني ووعظْتنَــي وأنالهـــا	وتنجلــي بــل لا أقــولُ : لعلّهـــا
مَــنْ كــانَ صــاحبَ عقدهـــا	ثقــةً بــهِ إذْ كــانَ يملــكُ حلَّهـــا[3]

(الكامل)

ووجد في السجن نوع من الأدب يتضمن مراسلات يعبر بها السجين عن مشاعره ومعاناته أو يصف حال السجين، فقد كتب عبد الله ابن المعتز شعراً يصف به حاله فــي الســجن والصــناعة التي يعمل بها، وهي صناعة التكك، أي غزل الخيوط ونسجها فقال :

تعلمــتُ في السِّجنِ نســجَ التكــكِ	وكنــتُ أمــراً قــبلَ حبْســيَ ملــك
وقــيدتُ بعــد ركــوبِ الجــيادِ	ومـــا ذاكَ إلا بـــدورِ الفَلَـــكِ[1]

---

[1] يوسف "أدب السجون" ص٨٠-٨١.

[2] سـليمان بـن وهب بن سعد : كاتب المهدي، وشغل منصب الوزارة للمهتدي والمعتمد وله ديوان رسائل، توفي سنة (٢٧٢هـ/٨٨٧م) ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٢، ص٤١٥-٤١٦، الزركلي، الأعلام، مج ٣، ص٢٠١.

[3] التنوخي، الفرج بعد الشدة، مج١، ص١٨٦-١٨٧، ابن وادران، تاريخ العباسيين، ص٥٧٧.

الفصل الثالث : المؤسسات التعليمية

أولاً : المساجد:

أولاً : تعريف المسجد ونشأته.

ثانياً : المساجد في بغداد.

١. مسجد المنصور.

٢. مسجد الرصافة.

٣. مسجد دار الخلافة.

٤. مسجد براثا.

ثالثاً : النظام الإداري للمساجد.

رابعاً : الإشراف على المساجد.

خامساً : دور المساجد في الحياة العامة.

١. دور المساجد في الحياة العلمية.

٢. دور المساجد في الحياة السياسية.

٣. دور المساجد في الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

ثانياً : المكتبات:

أولاً : نشأة المكتبات.

ثانياً : أنواع المكتبات.

أ- المكتبات العامة.

ب- المكتبات الخاصة.

١. مكتبة محمد بن عمر الواقدي.

٢. مكتبة إسحاق الموصلّي.

٣. مكتبة يعقوب بن إسحاق الكندي.

٤. مكتبة الفتح بن خاقان.

٥. مكتبة عمرو بن بحر الجاحظ.

٦. مكتبة حنين بن إسحاق.

٧. مكتبة علي بن يحيى المنجم.

٨. مكتبة إسماعيل بن إسحاق الأزدي.

٩. مكتبة إبراهيم بن إسحاق الحرّاني.

١٠. مكتبة أبناء موسى بن شاكر.

ثالثاً : التنظيم الإداري للمكتبات.

١. المدير.

٢. المترجمون.

٣. النسّاخ.

٤. المجلدون.

٥. المناولون.

ثالثاً : الكتاتيب:

أولاً : تعريف الكتّاب ونشأته.

ثانياً : أنواع الكتاتيب.

أ- الكتّاب الخاص.

ب- الكتّاب العام.

ثالثاً : المواد التي يتم تعليمها في الكتاتيب.

أ- المواد الإجبارية.

ب- المواد الاختيارية.

رابعاً : نظام الدوام في الكتاتيب.

خامساً : الإشراف على الكتاتيب.

رابعاً : حوانيت الوراقين:

أولاً : نشأة حوانيت الوراقين.

ثانياً : دور حوانيت الوراقين في الحياة الأدبية.

ثالثاً : دور حوانيت الوراقين في الحياة الاقتصادية والدينية.

أولاً : المساجد

أولاً : تعريف المسجد ونشأته

ثانياً : المساجد في بغداد

١. مسجد المنصور

٢. مسجد الرصافة

٣. مسجد دار الخلافة

٤. مسجد براثا

ثالثاً : النظام الإداري للمساجد

رابعاً : الإشراف على المساجد

خامساً : دور المساجد في الحياة العامة

١. دور المساجد في الحياة العلمية

٢. دور المساجد في الحياة السياسية

٣. دور المساجد في الحياة الاجتماعية والاقتصادية

الحياة الثقافية في بغداد:

أصبحت بغداد مركزاً ثقافياً في العصر العباسي، حيث اهتم خلفاء بني العباس بالحياة العلمية والأدبية فيها، فكان المنصور أول من نشر العلوم والثقافة فيها، واهتم بالمؤلفات القديمة، وجلب المترجمين لترجمتها ونشرها[1].

ووصلت الحياة الثقافية في بغداد ذروتها في عصر الخليفة هارون الرشيد، الذي اهتم بنشر العلم وبالأدباء والعلماء والشعراء كثيراً[2]، وكذلك المأمون الذي اهتم كثيراً بالحياة الثقافية وحركة الترجمة، وجلب العلماء والأدباء والمترجمين إلى بغداد لترجمة الكتب القديمة ونشرها، مما أدى إلى تنشيط الحركة العلمية والثقافية فيها[3].

لقد عرفت بغداد بمؤسساتها العلمية والتربوية نتيجة للتقدم العلمي والحضاري، حيث كان للمؤسسات دور علمي بارز فيها، وبخاصة المساجد التي كانت أولى المؤسسات التربوية التي عرفتها بغداد، والكتاتيب التي كانت أشبه بمدارس ابتدائية، والمكتبات التي كانت بمثابة معاهد علمية في هذه الفترة، كما ظهرت حوانيت الوراقين، نتيجة التقدم في صناعة الورق، وكانت بمثابة ملتقى للعلماء والأدباء في العصر العباسي[4].

وقامت هذه المؤسسات التعليمية بدورها العلمي والتربوي في العصر العباسي إلى أن تم تأسيس المدارس في سنة (٤٥٩هـ/١٠٦٧م) [5].

---

(1) ابن قتيبة، المعارف، ص٨، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص١٨٣.

(2) ابن عبد ربه، العقد الفريد، مج٥، ص٣٠٨-٣٠٩، الأصفهاني، الأغاني، مج٤، ص٤٢، ابن خلدون، المقدمة، ص٥١١، الدوري، العصر العباسي الأول، ص٥٠، كمال الدين، بغداد مركز العلم، ص١٩، أبو خليل، شوقي، هارون الرشيد، دمشق، دار الفكر، ١٩٨١م، ط٣، ص١٢.

(3) ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص٦٧، ابن النديم، الفهرست، ص٣٠٤، ابن الطقطقا، الفخري في الآداب، ص ٢١٦، الأربلي، خلاصة الذهب المسبوك، ص١٩٣، حسن، تاريخ الإسلام، مج٢، ص٥٨.

(4) ابن النديم، الفهرست، ص١٣٠، أمين، أحمد، ضحى الإسلام، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٤م، ط ٨، مج٢، ص٢٤.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، مج١٦، ص١٠٠، المقريزي، خطط المقريزي، مج٣، ص٤٣٧، غوانمة، تاريخ نيابة بيت المقدس، ص١٤٩-١٥٠، أمين، حسين "المدارس الإسلامية في العصر العباسي وأثرها على تطوير التعليم" فصل ضمن كتاب بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٣م، ص١٠٣.

أولاً : تعريف المسجد ونشأته :

المسجد اسم مشتق من الفعل الثلاثي سجد، وصيغ على وزن مفعل، أي مسجد، والجمع مساجد، وهو المكان الذي يسجد فيه، وكل موضع يتعبد فيه فهو مسجد[١]، وقد ورد ذكر المساجد في القرآن الكريم في العديد من المواضع فورد في قوله تعالى : "يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين"[٢]. وفي قوله تعالى : "ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون"[٣]. وقوله تعالى : "لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المُطهرين"[٤]. كما ورد ذكرها في السنة النبوية الشريفة، فقد روي عن الرسول –صلى الله عليه وسلم – قوله : "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى"[٥].

وفيما يتعلق بنشأة المساجد، فمسجد قباء في مكة المكرمة أول مسجد بُني في الإسلام[٦]، فقد ورد في قوله تعالى : "إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين"[٧] وأصبح هذا المسجد نموذجاً في بناء المساجد في مختلف الأمصار. فبعد الفتوحات الإسلامية كتب عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – إلى عماله في مختلف الأمصار بإنشاء المساجد كونها حجر الأساس والنواة الرئيسية في الدولة الإسلامية، فقام عماله ببنائها في مختلف الأمصار[٨].

---

[١] البستاني، محيط المحيط، ص٢٩٧.

[٢] القرآن الكريم، سورة الأعراف، آية ٣١.

[٣] القرآن الكريم، سورة التوبة، آية ١٧.

[٤] القرآن الكريم، سورة التوبة، آية ١٠٨.

[٥] مسلم، صحيح مسلم، مج٢، ص٨٢٣.

[٦] البلاذري، فتوح البلدان، ص١٧، المقريزي، خطط المقريزي، مج٣، ص١٤٤، مؤنس، حسين، المساجد، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨١م، ص١٦٧.

[٧] القرآن الكريم، سورة آل عمران، آية ٩٦.

[٨] البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٤٢، المقريزي، خطط المقريزي، مج٣، ص١٤٤-١٤٥.

أمـــا موقـــع المسجد، فكان يتم اختياره في وسط المدينة الإسلامية، أما هدف بـــنائه فـــي وســـط المديـــنة، فـــيعود إلـــى ســـهولة وصول السكان إليه من جميع الاتجاهات[١]، وهذا يبين أهمية المسجد بالنسبة للمدينة.

وكـــان للمساجد دور كبير في الحياة العامة منذ بداية العصر الإسلامي، حيث كان دار الامارة مركزاً ومقراً للحكومة، ويتعلم فيه الناس أمور دينهم الجديد، وكانت تـــنظم فـــيه شؤون الدولة. وإعلان السياسة العامة لها، وخاصة عندما يتولى خليفة جديد منصب الخلافة، فيتجه إلى المسجد الجامع في المدينة، ويعبر من خلال خطبة فيه عن خططه وسياسته التي سوف ينتهجها[٢].

ثانياً: المساجد في بغداد:-

اشـــتهرت بغداد بتعدد مساجدها، التي شيدتها الدولة منذ تأسيس بغداد، وتقام فـــيها صـــلاة الجمعـــة والخطب والأعياد، فقد أمر المنصور منذ بناء بغداد أن تُبنى المســـاجد فـــي كل ناحية ومحلة فيها[٣]، بالإضافة إلى المساجد التي شيدها الوزراء والأغنياء وكبار الموظفين في الدولة، وأشهر المساجد التي شيدها الخلفاء :

١. مسجد المنصور :

أول مســـجد بُنـــي في بغداد في عهد الخليفة المنصور، وكان ملاصقاً للقصر الكبير المعروف بقصر الذهب[٤]، حيث كانت العادة المتبعة في بناء المساجد في ذلك العصـــر أن يتم بناؤها بحيث تكون قريبة من دار الإمارة، أنظر الملحق رقم (١١) وقـــد بُنـــي هـــذا المسجد من الطين واللبن، ومساحته تقدر بحوالي مائتيْ ذراع في مائتين[٥]،

---

[١] Hourain, Albert, Habib, stern, The Islamic city, oxford, Gassirer, ١٩٧٠, pp. ٥١-٥٢.

[٢] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٢، ص٣٣٢، عاشور وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة، ص٢٩٩.

[٣] اليعقوبي، البلدان، ص٣١، العلي، بغداد، مج١، ص١٤١.

[٤] ابـــن رســـتة، الأعلاق النفيسة، مج٧، ص٣٤٠، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١، ص٩٣، ١٢٢، ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص٢٠، الذهبي، تاريخ الإسلام، مج٩، ص٣٤، ماجد، العصر العباسي الأول، مج ١، ص١٠٤، الأفرطجي، بناء بغداد، ص١٢٦، الخربوطلي، الحياة الاجتماعية، ص٢٣٩.

[٥] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١، ص١٢٢، ابن الجوزي، المنتظم، مج٨، ص٧٩، الراوي، بغداد، ص ٧٧، نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، مج٨، ص٣٥.

وكان الحجاج بن أرطاة[1] قد وضع الأسس والمخططات لبنائه[2].

وقد نال هذا المسجد رعاية واهتمام الخلفاء كثيراً، ففي سنة (١٩٢هـ/٨٠٨م) أمــر الخلــيفة الرشيد بإعادة بنائه وترميمه، بحيث تم استبدال اللبن والطين بالجص والآجر، وقام بتوسعته، وكتب عليه اسم الخليفة هارون الرشيد[3].

وفي سنة (٢٦٠هـ/٨٧٣م) شهد هذا المسجد عمليات ترميم وتوسعة، والحق بــه ديوان كان للمنصور قديماً، يدعى ديوان القطان، ليساعد على توسعته[4]، وذلك لكثرة إقبال المصلين عليه وزيادة عدد السكان، ويبدو إنه شهد إقبالاً كبيراً فيما بعد، الأمــر الــذي أدى إلى ضرورة توسعته، فقام الخليفة المعتضد بالله سنة (٢٨٠هـ/ ٨٩٣م) بإضافة قسم من قصر المنصور إليه[5]، أنظر الملحق رقم (١٢) وكلفت هذه الزيادة حوالي عشرين ألف دينار[6].

وبقــي هذا المسجد قائماً ويحتل مكانة خاصة عند العديد من العلماء والأدباء والفقهــاء، وأصــبح هذا المسجد مركزاً علمياً في بغداد والعالم الإسلامي، ومركزاً اجتماعــياً نشطاً، فكان يجلس فيه القضاة للنظر في القضايا، والفصل بين الأطراف المتنازعة[7].

---

(1) الحجــاج بن أرطأة الكوفي : كان قاضياً في البصرة، قدم إلى بغداد، وأصبح من أشهر أعلامها، توفي سنة (١٤٥هـ/٦٧٢م) الصفدي، الوافي بالوفيات، مج١١، ص٣٠٦-٣٠٧، الزركلي، الأعلام، مج٢، ص١٧٤-١٧٥.

(2) ابــن الجوزي، المنتظم، مج٨، ص١٢٣، ابن كثير، البداية والنهاية، مج١٠، ص١٠٥، العلي، بغداد، مج١، ص٢٢٩، لسينر، خطط بغداد، ص١٩٠.

(3) الخطيــب الــبغدادي، تــاريخ بغداد، مج١، ص١٢٢، ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص٢٠، العماد الحنبلي، شذرات الذهب، مج٢، ص٤٢٢، الأقرطجي، بناء بغداد، ص١٢٦، شريف "تاريخ فن العمارة" ص٣٠.

(4) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١، ص١٢٢، ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص٢٠، الراوي، بغداد، ص٧٧، العلي، بغداد، مج١، ص٢٥٧.

(5) الخطيــب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١، ص١٢٣، ابن الجوزي، المنتظم، مج١٢، ص٣٣٤، الراوي، بغداد، ص٧٧، حتاملة، المعتمد، ص١١٢.

(6) ابن كثير، البداية والنهاية، مج١١، ص٧٣، حتاملة، المعتمد، ص١١٣.

(7) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١١، ص٤٤٢، الذهبي، تاريخ الإسلام، مج١٠، ص٨، الوشلي، عبد الله، المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٩٠م، ط١، ص١٦٤.

٢. مسجد الرصافة :

مسجد جامع[1]، أنشأه الخليفة المهدي سنة(١٥٩هـ/٧٧٥)[2] ويقع في الجانب الشرقي من بغداد، بجانب القصر المعروف بقصر الذهب[3].

وكانت الصلاة الجامعة قبل بناء مسجد الرصافة لا تقام إلا في مسجد المنصور في الجهة الغربية، إلى أن أنشأ المهدي مسجد الرصافة، وأصبحت الصلاة الجامعة تقام فيه، وكان المهدي كثير الاهتمام بأمر المساجد وإنشائها سواء أكان ذلك في بغداد أو غيرها، كما هي الحال في مكة والمدينة[4]. وبعد بنائه أصبح كمسجد المنصور له دور تربوي واجتماعي هام في العصر العباسي، وأصبح مكاناً يجلس فيه القضاة للفصل بين الأطراف المتنازعة[5].

٣. مسجد دار الخلافة :

يسمى مسجد القصر، وبعد أن توسعت بغداد وازدحمت بالسكان، أصبح منَ الصعوبة بمكان أن تكتفي بمسجدين جامعين فقط، أحداهما في الجانب الغربي، وهو مسجد المنصور، والآخر في الجانب الشرقي وهو مسجد الرصافة. فقام الخليفة المكتفي في سنة (٢٨٩هـ/٩٠٤م) بهدم سجون المطامير، التي اتخذها المعتضد بالله

---

(١) اليعقوبي، البلدان، ص٤٨،٤٤، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١، ص١٢٣، الراوي، بغداد، ص٧٧.

(٢) ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص٢١، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٦، ص٤١، العماد الحنبلي، شذرات الذهب، مج٢، ص٢٦٥، نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، مج٨، ص٣٥.

(٣) اليعقوبي، البلدان، ص٣٦، الهامش، الأقرطجي، بناء بغداد، ص١٥٢، ياغي، الحياة الاجتماعية، ص٦٥.

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج٢، ص٣٩٥-٣٩٦، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٨، ص١٣٣-١٣٦، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٦، ص٥٥، ٧٦، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مج٣، ص٢٥٦، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين، مصر، مطبعة السعادة، ١٩٥٢م، ط١، ص٢٧٣، حسن، تاريخ الإسلام، مج٢، ص٤٠، شريف "تاريخ فن العمارة"، ص٣٢.

(٥) اليعقوبي، البلدان، ص٣٦ الهامش، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١١، ص٤٤٢، ابن كثير، البداية والنهاية، مج١٠، ص١٩٠، الذهبي، تاريخ الإسلام، مج١٠، ص٨، العلي، معالم بغداد الإدارية، ص٢١٠، الأنباري، عبد الرزاق، منصب قاضي القضاة في الدولة العباسية، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٧م، ط١، ص٢٦٤.

في القصر الحسني، وأمر ببناء مسجد جامع مكانها، وهو مسجد دار الخلافة أو مسجد القصر[١].

٤. مسجد براثا[٢] :

وأُنشأ هذا المسجد في براثا، وأقيمت فيه صلاة الجمعة والخطبة، إلى أن أفتى العلماء بهدم هذا المسجد، بسبب اجتماع جماعة من الشيعة فيه، ويسبون الصحابة، فأمر المقتدر بالله بهدمه[٣]. وفي عهد الراضي أعيد بناء المسجد وتمت توسعته، حيث اشترى الأمير بجكم الأراضي المجاورة له، وأصبحت الصلاة الجامعة تقام فيه، وكتب عليه اسم الراضي بالله[٤].

وشهد هذا المسجد إقبالاً كبيراً من قبل الشيعة، الذين يعتقدون أن الإمام علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– قد صلى في هذا المكان بعد أن حارب الخوارج الحرورية[٥] في النهروان[٦]، وكثيراً ما كانوا يصلون ويتبركون فيه[٧]. وأمر المتقي بالله بإعادة بناء هذا المسجد، ووضع له منبراً، وأقيمت فيه صلاة الجمعة، واكتسب شهرة كبيرة[٨].

---

[١] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١، ص١٢٣، ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص٢١، ابن كثير، البداية والنهاية، مج١١، ص١٠١، النويري، نهاية الأرب، مج٢٣، ص٢٢، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣٧٦، الدوري، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، ص١٨٩.

[٢] براثا : محلة في بغداد تقع بالقرب من الكرخ، لها مكانة خاصة عند الشيعة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج١، ص٢٦٢-٢٦٣.

[٣] التنوخي، نشوار المحاضرة، مج٢، ص١٣٤، الصابئ، الوزراء، ص١٦٢، ابن الجوزي، المنتظم، مج١٣، ص٢٤٨، مج١٤، ص٤-٥.

[٤] اليعقوبي، البلدان، ص٣٥ الهامش، ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص٢١، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج١، ص٣٦٣، متز، الحضارة الإسلامية، مج٢، ص٢٧١.

[٥] الخوارج الحرورية: الخوارج الذين انحازوا إلى حروراء بعد رجوع الإمام علي من صفين إلى الكوفة، وكان عددهم يقارب الإثني عشر ألفاً، الفيومي، أحمد، الفرق الإسلامية وحق الأمة السياسي، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٠م، ط(١)، ص٦٦.

[٦] النهروان: كورة تقع بين بغداد وواسط في الجانب الشرقي من بغداد، وتشتمل على عدة بلدان، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٥، ص٣٢٥.

[٧] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١، ص١٢٣، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج١، ص٣٦٣، لسينر، خطط بغداد، ص١١٤.

[٨] اليعقوبي، البلدان، ص١٣٥، الهامش، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١، ص١٢٤، الراوي، بغداد، ص ٧٨.

من خلال العرض السابق يمكن القول أن أشهر المساجد في بغداد في العصر العباسي هي: مسجد المنصور في الجانب الغربي، ومسجد الرصافة في الجانب الشرقي، ومسجد براثا، ومسجد القصر أو المسجد الجامع، وأصبحت الصلاة الجامعة تقام في هذه المساجد[1]، وللتعرف على مواقع بعض هذه المساجد أنظر الملحق رقم (٧).

إضافة إلى المساجد التي شيدها الخلفاء العباسيون، وجد هناك العديد من المساجد التي قام بتشييدها الوزراء، خاصة الوزير علي بن عيسى، الذي اهتم كثيراً ببناء المساجد وتجديدها[2]، كما قامت العامة في بغداد بإنشاء المساجد في كل ناحية، ومحلة وشارع من شوارع بغداد[3].

ومن أشهر هذه المساجد: مسجد الأنباريين ومسجد الواسطيين، ومسجد قنطرة الصراة، ومسجد البزازين، ومسجد السوق العتيقة ومسجد الجسر، ومسجد ابن رغبان، ومسجد سوق العطش، ومسجد خضير، ومسجد طاهر بن الحسين[4].

وأصبحت المساجد في بغداد مضربا للأمثال، فذكر أن عددها في سنة (٣٠٠ هـ/٩١٣م) وصل إلى حوالي سبعة وعشرين ألف مسجد، وقيل وصل إلى ثلاثين ألف مسجد[5].

---

[1] ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص٢٢، ابن الجوزي، المنتظم، مج ١٣، ص٦، جواد وسوسة، دليل خارطة بغداد، ص١٢٥، الراوي، بغداد، ص٧٨، لسينر، خطط بغداد، ص١١٣، متز، الحضارة الإسلامية، مج٢، ص٢٦٩.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٨، ص٦٨-٦٩، الدوري، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، ص ٢٢٢.

[3] العماد الحنبلي، شذرات الذهب، مج٣، ص٢٦٥، ياغي، الحياة الاجتماعية، ص٦٥.

[4] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٨، ص٥٥٢، ٥٦٣.

[5] اليعقوبي، البلدان، ص٤٣، حسن، تاريخ الإسلام، مج٢، ص٣٠٦.

ثالثاً: النظام الإداري للمساجد:

المسجد كغيره من المؤسسات الأخرى في الدولة العباسية، يحتاج إلى طاقم من العاملين والكوادر والنفقات، ليؤدي دوره على أكمل وجه، فالموظفون في المساجد منذ الماضي وحتى الحاضر لا يوجد اختلاف كبير بينهم، كما يوجد في المساجد عدد من العاملين، كالإمام والمؤذن والخادم وغيرهم[1].

١- الإمام:

يتولى إمامة الصلاة، وتعتبر الإمامة وظيفة رسمية في الدولة العباسية، بحيث يعين الإمام من قِبل الخليفة[2]، ويتوجب أن تتوافر فيه عدة شروط أهمها أن يكون: رجلاً عاقلاً بالغاً، فقيهاً، سليم اللفظ، حافظاً للقرآن الكريم، عالما بأحكام الصلاة، ويتولى الخطبة في أيام الأعياد[3].

ومن أشهر أئمة المساجد في بغداد في هذه الفترة، شعيب بن كثير بن شعبونة[4] (ت ٢٤٦هـ/٨٦٠م) الذي تولى إمامة الصلاة في مسجد الرصافة، وخاصة أيام الجمع والأعياد[5].

وتولى حمزة بن القاسم بن عبد العزيز بن عبد الله بن العباس الإمام[6](ت٢٤٩هـ/٨٦٣م) إمامة الصلاة في مسجد المنصور، وتولاها في مسجد الرصافة أيضا[7]. وتولى عبيد الله بن علي بن الحسن[8] (ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م) إمامة

---

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص١٢٧-١٢٨، ابن كثير، البداية والنهاية، مج١٠، ص١٠٩، ٢٤٣، الخضري بك، تاريخ الأمم الإسلامية، ص٣١٧.

(٢) الشيرزي، نهاية الرتبة، ص١١٢، ابن خلدون، المقدمة، ص١٨٣، العلي، معالم بغداد الإدارية، ص٩٨.

(٣) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص١٢٩، ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٧٣، السامرائي، المؤسسات الإدارية، ص٢٢٢.

(٤) شعيب بن كثير بن شعبونة الرازي: كان قاضيا ت(٢٤٦هـ/٨٦٠م) الصفدي، الوافي بالوفيات، مج١١، ص ١٦٢، الزركلي، الأعلام، مج٣، ص٢٤٤.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، مج١١، ص٣٤٦.

(٦) حمزة بن القاسم بن عبد العزيز بن العباس الإمام: كان إماما في بغداد، توفي سنة (٢٤٩هـ/٨٦٣م) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج٨، ص١٧٨-١٧٩.

(٧) الصولي، أخبار الراضي بالله، ص١٩١، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج٨، ص١٧٨، العلي، معالم بغداد الإدارية، ص١٠١.

(٨) عبيد الله بن علي بن الحسن بن إسماعيل: كان إماما وثقة توفي في بغداد سنة (٢٨٤هـ/٨٩٧م) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١٠، ص٣٣٧.

جـامع الرصافة[1]، وكان ابنه محمد بن عبيد الله بن علي بن الحسن[2](ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م) إمام جامع الرصافة وتولى الحسبة في الوقت نفسه [3].

وتولـى إبراهـيم بـن عيسى بن أبي جعفر المنصور بن بريهه الهاشمي[4] (ت ٣٠٥هـ/٩١٧م) إمامـة جـامع المنصور، وخاصة في أيام الجمع[5]، وتولى الفضل بن عبد الملك أبو عبد الله الهاشمي[6](ت ٣٠٧هـ/٩١٩م) إمامة الصلاة في جامع الرصافة[7].

وتولاهـا محمـد بـن هارون بن العباس بـن عيسى بـن أبي جعفر المنصـور[8](ت ٣٠٩هـ /٩٢١م) فـي مسـجد المنصور لمدة تقارب خمسين عامـا[9]. وتولاها محمد بن إسحاق بن عبد الملك[10](ت ٣١٢هـ/٩٢٣م) في جامع دار الخلافـة. وتولـى الصلاة بالناس أيام الجمع والأعياد[11]، وكان الإمام أحمد بن الفضل بن عبد الملك[12] يتولى إمامة الصلاة في جامع الرصافة في سنة (٣٢٢هـ/ ٩٣٤م) [13].

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، مج١٢، ص٣٧٦، العلي، معالم بغداد الإدارية، ص١٠٠

(2) محمد بن عبيد الله بن الحسن أبو العباس الإمام، توفي سنة (٣٠٠هـ/٩١٢م) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج٣، ص١٣٢.

(3) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١٠، ص٣٣٧، ابن كثير، البداية والنهاية، مج١١، ص٨٣، سعيد، الحسبة في المشرق، ص٧١.

(4) إبراهـيم بـن عيسـى بـن أبـي جعفـر المنصـور ابن بريهه: كان إماما في جامع المنصور توفي سنة (٣٠٥هـ/٩١٧م) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج٦، ص١٣٢.

(5) الصولي، أخبار الراضي بالله، ص١٩١، العلي، بغداد، مج١، ص١٦٧.

(6) الفضل بن عبد الملك أبو عبد الله الهاشمي: كان إماما توفي في سنة (٣٠٧هـ/٩١٩م) وعمره سبعون سنة، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١٢، ص٣٧١، الزركلي، الأعلام، مج٥، ص٣٥٧.

(7) الصـولي، أخـبار الراضي بالله، ص٦٤، ٢٨٥، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١٢، ص٣٧١، العلي، معالم بغداد الإدارية، ص١٠٠.

(8) محمـد بـن هارون بن العباس بن عيسى بن أبي جعفر المنصور، تولى إمامة الحج سنة (٢٨٨هـ/٩٠١م) توفي سنة (٣٠٩هـ/٩٢٠م) وعمره خمس وسبعين سنة، الصفدي، الوافي بالوفيات، مج٥، ص١٤٨.

(9) الخطيـب البغدادي، تـاريخ بغـداد، مج١٠، ص١٠٨، العلي، بغداد، مج١، ص٢٦٨، العلي، معالم بغداد الإدارية، ص٩٩.

(10) محمـد بـن إسحاق بن عبد الملك الهاشمي الخطيب: إمام مسجد دار الخلافة، توفي سنة (٣١٢هـ/٩٢٤م) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١، ص٢٦٣.

(11) ابن الجوزي، المنتظم، مج١٣، ص٢٤٤، العلي، معالم بغداد الإدارية، ص١٠١

(12) أحمـد بـن الفضل بن عبد الملك الهاشمي: إمام، توفي في بغداد سنة (٣٥٠هـ/٩٥٧م) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج٥، ص١٠٩.

(13) الصـولي، أخبار الراضي بالله، ص١٩٢، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج٥، ص١٠٩، لسينر، خطط بغداد، ص١١٤.

٢- المؤذن:

مـــن موظفـــي المسجد المؤذن، ويبدو إن للمؤذن مكانة اجتماعية في العصر العباســـي، حيث وجدت في بغداد سكة تسمى "سكة المؤذنين"[١]، وكان يتولى مهمة الأذان، ويشترط فيه أن يكون: عالماً ثقة عارفاً بأوقات الصلاة ويفضل أن يكون من الصبيان لحسن أصواتهم[٢].

ووجـــد هـــناك الخادم، الذي يقوم بعمليات التنظيف اليومية، وإشعال القناديل وإغلاق المساجد بعد كل صلاة؛ لمنع دخول الصبيان إليها[٣].

وفيما يتعلق بالناحية المالية أو النفقات على المساجد الجامعة في بغداد، فكان الخلفـــاء يتولون الإنفاق على هذه المساجد، من نفقات البناء وتقديم الرواتب للعاملين وتـــزويدها بالأدوات اللازمة، فقد أمر المأمون الاهتمام بالمساجد وتزويدها بكل ما تحتاجه، وتوفير القناديل فيها في كافة الأمصار[٤]. وقد بلغت نفقات المساجد الجامعة فـــي بغداد في الجانبين: الشرقي والغربي حوالي مائة دينار في كل شهر، وتتضمن رواتـــب العامليـــن فـــيها مـــن مؤذنين وأئمة وبوابين وأثمان الزيت والماء والفرش والستائر، وأعمال الخزف والعمارة وغيرها[٥].

واهتم الوزراء في ذلك العصر كثيراً بالإنفاق على المساجد وتنظيفها وفرشها وتوفـــير القناديل فيها، فكان الوزير علي بن عيسى يأمر بعمارة المساجد والجوامع وفرشها، وإشعال الأضواء فيها[٦]، والإجراء على الأئمة، والمؤذنين والقرّاء فيها.

ويظهـــر هـــذا الاهتمام كثيراً في المناسبات الدينية، كما هي الحال في شهر رمضـــان المبارك، حيث يتم بناء مساجد جديدة، وتفقد وترميم المساجد القديمة وبناء المآذن وغيرها مما تحتاجه المساجد[٧].

---

[١] اليعقوبي، البلدان، ص٢٨، العلي، بغداد، مج١، ص٢٦٩.

[٢] الشيرزي، نهاية الرتبة، ص١١١، حتامله، البنية الإدارية، ص١٦٩.

[٣] الشيرزي، نهاية الرتبة، ص١١٠.

[٤] ابن طيفور، بغداد، ص١٢٩، البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص٤٩٦-٤٩٧.

[٥] الصابئ، الوزراء، ص٢٦، الخضري بك، تاريخ الأمم الإسلامية، ص٣١٧، حتامله، المعتمد، ص٩٠.

[٦] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٨، ص٦٨-٦٩، النويري، نهاية الأرب، مج٢٣، ص٣٧.

[٧] الصابئ، الوزراء، ص٢٦، ابن كثير، البداية والنهاية، مج١١، ص١٧٣.

رابعا: الإشراف على المساجد

كانت المساجد من ضمن المؤسسات التي تخضع لإشراف المحتسب، فكان يراقب موظفيها ومدى تأديتهم أعمالهم من الأئمة والخطباء والمؤذنين[1]، ويشرف على المؤذنين فيها، بحيث يمنع المؤذن من القيام بالأذان إذا كان غير ثقة كما يشترط فيه أن يكون عارفاً بأوقات الأذان[2]، ويمنعه من أداء الأذان إذا كان جاهلاً بأوقات الصلاة، كما يلزمه غض البصر أثناء صعوده إلى المنارة، وأن لا يصعدها إلا في أوقات الصلاة فقط. كما يمنع الإمام من أخذ الأجرة على الإمامة والصلاة، إلا إذا قدم له أحد شيئا فيأخذه بصفة الهدية أو الصلة فقط[3].

أما القراء الذين يتولون قراءة القرآن فيلزمهم المحتسب بجودة التلاوة والترتيل وعدم التلحين في القراءة، كما يمنع استخدام المسجد لغرض غير ديني، مثل إنشاد الأشعار التي قد تتعارض مع الدين والسياسة[4]، ويلزم الخادم تنظيف المساجد وكنسها وإغلاقها جيداً. وعدم استخدامها كأماكن للبيع[5].

خامسا: دور المساجد في الحياة العامة:

كان للمساجد في بغداد في العصر العباسي أدوار عديدة في الحياة العامة سواء أكانت تعليمية أو اجتماعية أو سياسية وغيرها، فلم تكن تقتصر على العبادة فقط، بل كانت تؤدي أدواراً أخرى في مختلف مجالات الحياة، فالمسجد عبارة عن مدرسة تعقد فيها حلقات العلم، ومركز إشعاع فكري وعلمي، ومكان تتم فيه الخطب

---

(1) ابن الأخوة، المغبة والرغبة، ص٧١-٧٢، ابن خلدون، المقدمة، ص١٨٤، كرد، محمد "الحسبة في الإسلام" مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، المجمع العلمي العراقي، مج١، ١٩٢١م، ص٢٦٠.

(2) ابن الأخوة، المغبة والرغبة، ص٧٣، التنوخي، نشوار المحاضرة، مج٢، ص٢٩٣، الشيرزي، نهاية الرتبة، ص١١١، ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٨٧.

(3) الشيرزي، نهاية الرتبة، ص١١١-١١٢، ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٨٩.

(4) الشيرزي، نهاية الرتبة، ص١١٣، ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٨٩

(5) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج١٠، ص٥٤، ابن الجوزي، المنتظم، مج١٢، ص٣٧٢، ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٨٤، السامرائي، المؤسسات الإدارية، ص٣٢٣، كرد "الحسبة في الإسلام"، ص٢٦١.

الدينـــية والسياسية التي يخطبها الخلفاء لتوضيح السياسة العامة للدولة[1]. وكثيرا ما كانت المساجد تتعطل وتغلق، وخاصة في فترات الاضطرابات والفتن التي تعود إلى أسباب سياسية واقتصادية[2].

١- دور المساجد في الحياة العلمية:

لعبــت المســاجد دوراً هامــاً فـــي تطوير الحركة العلمية إلى أن تم تأسيس المـــدارس الخاصة بالدراسة، وأصبح المسجد يقتصر على العلوم الدينية فقط، فكان مـــن أشـــهر المؤسسات التعليمية، وخاصة جامع المنصور، الذي تشكل فيه الحلقات التعليمـــية بعـــد أخـــذ الإذن بتشـــكيل الحلقة من الخليفة نفسه، وخاصة في المساجد الجامعة[3].

وقـــد كـــان للفقهـــاء عدد من الحلقات التعليمية في هذه المساجد، فللإمام أبي حنـــيفة الـــنعمان (ت ١٥٠هـ/٧٦٧م) حلقة في مسجد بغداد الجامع[4]، وعندما قدم الإمـــام الشافعي إلى بغداد سنة (١٩٥هـ/٨١٠م)، كان في المسجد الجامع في بغداد مـــا يقـــارب الأربعيـــن أو الخمســـين حلقة[5]. كما عقد العديد من العلماء والفقهاء، والأدباء حلقات العلم فيها، فقد كان لعاصم بن علي[6] (ت ٢٢١هـ/٨٣٦م) حلقة علم فـــي مسجد الرصافة، وألقى الدروس التعليمية في هذا المسجد، ويذكر أن عدد روّاد هذه الحلقة يقارب المائة ألف إنسان[7].

---

(1) اليعقوبـــي، تـــاريخ اليعقوبي، مج٢، ص٤٣٣، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٨، ص٩٠، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مج٣، ص٢٨٣، عاشور وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة، ص٢٩٩.

(2) المسعودي، مروج الذهب، مج٣، ص٤١٣، عبد الرؤوف، دراسات في تاريخ الدولة العباسية، ص٧٧.

(3) ابـــن خلـــدون، المقدمة، ص١٨٤، الصقار، منير الدين، تاريخ التعليم عند المسلمين، ترجمة سامي الصقار، الرياض، دار المريخ، ١٩٨١م، ص٦٩.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، مج٩، ص٧٢.

(5) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج٢، ص٦٧، الصقار، تاريخ التعليم، ص٦٩.

(6) عاصـــم بن علي بن صهيب أبو الحسن الواسطي: روى عنه الكثير من العلماء، توفي في بغداد سنة (٢٢١هـ/٨٣٦م) الصفدي، الوافي بالوفيات، مج١٦، ص٥٦٩-٥٧٠، الزركلي، الإعلام، مج٤، ص١٣

(7) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١٣، ص٢٤٢، نجم "التعليم في بغداد"، ص٤٣٣

وعندما أمر المتوكل عبد الله بن محمد بن أبي شيبة[١] سنة (٢٣٤هـ/٨٤٩م) بعقد حلقة علم في مسجد الرصافة متخصصة في الأحاديث، اجتمع في هذه الحلقة عدد كبير من سكان بغداد[٢]. كما عقدت فيها حلقات الوعظ والإرشاد، فكان لمحمد ابن حبش أبي بكر الضرير[٣](ت ٣١٤هـ/٩٢٦م) حلقة وعظ في مسجد بغداد الجامع، يوعظ الناس من خلالها، وخاصة في شهر رمضان المبارك[٤].

وكان في جامع المنصور مكان خاص للمحدث الفقيه إبراهيم بن محمد بن نفطويه[٥](ت ٣٢٣هـ/٩٣٥م) يجلس فيه ويلقي دروسه، وقد جلس في هذا المكان ما يقارب الخمسين سنة[٦].

وكان العلماء يملون مؤلفاتهم في مساجد بغداد، فيذكر أن العالم أبا عمر الزاهد[٧] أملى كتابه المعروف الياقوت في سنة (٣٢٦هـ/٩٣٨م) في مسجد المنصور في بغداد[٨]، وألقى العالم الشهير أبو العباس أحمد بن سعيد بن عقبة الكوفي[٩] سنة (٣٣٠هـ/٩٤١م) دروسا في الأحاديث في مسجد بغداد الجامع، وكذلك في مسجد الرصافة ومسجد براثا، وقرأ عليه العديد من العلماء[١٠].

---

(١) عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن شيبه الإمام: من أشهر الأئمة في بغداد، صنف العديد من المؤلفات، توفي سنة (٢٣٥هـ/٩١٦م) الصفدي، الوافي بالوفيات، مج١٧،ص٤٤٢.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١٠، ص٦٨، ابن الجوزي، المنتظم، مج١١، ص٣٠٧، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣٤٦، صقر، مطلع العصر العباسي الثاني، ص٢٠٣.

(٣) محمد بن حبش أبو بكر الضرير الواعظ: كان من حفاظ القرآن الكريم، حدث في مصر وفي بغداد، توفي سنة (٣٢٤هـ/٩٣٦م) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج٢، ص٢٨٨-٢٨٩.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج٢، ص٢٨٩.

(٥) إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن نفطويه: ولد سنة (٢٤٤هـ/٨٥٨م) نزل بغداد وتعلم فيها، وله العديد من المؤلفات، توفي سنة (٣٢٣هـ/٩٣٥م) ابن النديم، الفهرست، ص٩٠، الزركلي، الإعلام، مج١، ص٥٧-٥٨.

(٦) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مج١، ص٣٠٨، الوشلي، عبد الله، المسجد ودوره التعليمي عبر العصور من خلال الحلق التعليمية، بيروت، مؤسسة الرسالة، صنعاء، مكتبة الجيل الجديد، ١٩٨٨م، ط١، ص٥٠.

(٧) أبو عمر الزاهد، محمد بن عبد الواحد البغدادي: من أشهر العلماء، توفي سنة (٣٣٥هـ/٩٤٧م) الصفدي، الوافي بالوفيات، مج٤، ص٧٢-٧٣.

(٨) ابن النديم، الفهرست، ص٨٢، إسماعيل، سعيد، معاهد التربية الإسلامية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٦م، ص٢٨٥.

(٩) أحمد بن محمد بن سعيد بن عقبة الكوفي: كان يملي مثالب الصحابة، وله العديد من المؤلفات، توفي سنة (٣٣٠هـ/٩٤١م) الصفدي، الوافي بالوفيات، مج٧، ص٣٩٥-٣٩٦.

(١٠) الصولي، أخبار الراضي بالله، ص٢٢٥، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج٥، ص٢٢٥.

كمـــا اســـتخدمت المســـاجد لعقــد المناظرات بين العلماء والفقهاء، خاصة المــــناظرات الدينـــية كما هي الحال في مسألة خلق القرآن، عندما تم امتحان العلماء والفقهاء في هذه المسألة في مساجد بغداد، وامتحن فيها أئمة المساجد كذلك[1].

وكـــان للمســـاجد غير الجامعة دورها العلمي، فمسجد ابن رغبان حدث فيه إسـحاق بـــن بشـــر البخاري (ت ٢٠٦هــ / ٨٢١م)[2]، كما كان في مسجد سوق العطش حلقة خاصة للمؤرخ الشهير محمد بن جرير الطبري[3].

أمـــا طرق التدريس، فكانت متعددة ومتنوعة، ومنها السماع، وتكون هذه بأن يكتفـــي الطلـــبة بالاستماع إلى الشيخ فقط دون اللجوء إلى الكتابة[4]، ومنها الإملاء بحيـــث يـــتم إلقـــاء الدروس على الطلبة من الشيخ وهم يكتبون، وغالبا ما تعقد هذه الحلقـــات فـــي يـــوم الجمعة[5]، أما أوقات إعطاء الدروس، فيتم تحديد ذلك من قِبل المدرّس، فقد تعقد الحلقة قبل صلاة الفجر أو بعدها، أو قبل صلاة الظهر أو بعدها، أو قـــبل أذان المغرب وفي فترات المساء، فكان المدرّس هو المخوّل باختيار أوقات انعقاد الحلقات التدريسية[6].

أمـــا موضـــوعات الحلقات فكانت متعددة ومتنوعة. وتشتمل على العديد من الموضوعات فقد تكون الحلقة خاصة بالقرآن الكريم أو بالحديث أو بالوعظ والإرشاد والفقه[7]، وكانت طرق الدراسة في المساجد تتم على مراحل، بحيث يتم تعليم القرآن الكريم في المرحلة الأولى، ثم يتجه الطالب بعد ذلك لدراسة العلوم الأخرى واختيار

---

[1] ابـــن كثـــير، البداية والنهاية، مج١٠، ص٢٩٦، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣٤٠، ماجد، العصر العباسي الأول، مج١، ص٢٢٦.

[2] إســـحاق بـــن بشـــر بـــن عـــبد الله الـــبخاري: محـــدث، أصـــله من بلخ، حدث في بغداد وتوفي فيها سنة (٢٠٦هـــ/٨٢١م) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج٦، ص٣٢٤-٣٢٦، الزركلي، الأعلام، مج١، ص ٢٨٦.

[3] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج٢، ص١٦٢، الصقار، تاريخ التعليم، ص٧١

[4] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج٢، ص٦٩، مج٦، ص٣٦٤.

[5] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج٢، ص٤٤.

[6] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١٣، ص٣٥٤.

[7] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١١، ص٣٤٦، مج١٣، ص٣٣٢-٣٣٣.

الحلقـــة التـــي يرغب فيها. وكانت الدولة لا تمنع الدراسة وموضوعاتها بل تشرف عليها فقط[1].

ولم يقتصر التعليم والحلقات التعليمية في مساجد بغداد على العلوم الدينية فقط مـــن: قـــرآن وحديث ووعظ وإرشاد وفقه، بل يتم فيها عقد حلقات العديد من العلوم الأخـــرى، مـــثل: علـــوم اللغـــة والشعر وعلم الكلام وغيرها. فكان علي بن حمزة الكســـائي[2](ت ١٨٩هـــ/٨٠٥م) يجلس في جامع المنصور، ويقرئ الطلبة علوم اللغة[3].

وعقدت مجالس الشعر في مسجد بغداد، حيث كان الشعراء يعقدون في جامع المنصـــور حلقة للشعر في كل أسبوع، وفي الغالب يوم الجمعة يخصص للشعر، يتم فيه إنشاد الأشعار، ويوجد في مسجد المنصور مكان خاص لعقد حلقات الشعر يدعى قبة الشعراء[4].

وكان الشاعر أبو العتاهية (ت ٢١١هـ/٨٢٥م) يلقي أشعاره على الناس في جامع المنصور، وسمع شيخ من أهل الكوفة شاعراً ينشد في جامع المنصور، فسأل عـــن هـــذا الشـــاعر فقيل هو أبو العتاهية، فانضم الكوفي إلى حلقة أبي العتاهية[5]. ويذكر الخطيب البغدادي أن السري السقطي[6] (ت ٢٥٣هـــ/٨٦٨م) كان يقوم بإلقاء الأشعار في مسجد المنصور في قبة الشعراء[7].

---

(1) الشيرزي، نهاية الرتبة، ص١١٣، ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٨٩

(2) علـــي بـــن حمزة الكسائي: أبو عبد الله الأسدي، كان يتولى تعليم أبناء الرشيد، توفي سنة (١٨٩هـــ/٨٠٥م) الصفدي، الوافي بالوفيات، مج٢١، ص٦٥-٦٦، الزركلي، الأعلام، مج٥، ص٩٣-٩٤.

(3) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١٢، ص١٩٣، ابن الجوزي، المنتظم، مج١٠، ص١١٣.

(4) مسكويه، تجارب الأمم، مج٢، ص٩، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١٣، ص٢٢٨، العلي، بغداد، مج١، ٢٥٧.

(5) الاصفهاني، الأغاني، مج٤، ص٤٥-٤٦.

(6) الســـري السقطي المغلس بن الحسن: أحد علماء العصر العباسي، كان شاعرا، توفي سنة (٢٥٣هـــ/٨٦٨م) الصفدي، الوافي بالوفيات، مج١٥، ص١٣٥، الزركلي الأعلام، مج٣، ص١٢٩.

(7) تاريخ بغداد، مج١٣، ص٢٢٨.

وعقـــدت حلقـــات متخصصة في علم الكلام في مساجد بغداد، وخاصة جامع الرصـــافة، فكـــان محمد بن إبراهيم بن حمزة الصوفي[1](ت ٢٦٩هـــ/٨٨٢م) يعقد حلقة علم الكلام في مسجد الرصافة[2]، وتلقى فيها القصص والأخبار والأساطير وما يؤيـــد ذلـــك أن المعتضـــد في سنة (٢٧٩هـــ/٨٩٢م) أصدر قراراً بمنع القصاص والمنجمين من التجمع في المساجد الجامعة والطرقات[3].

٢. دور المساجد في الحياة السياسية :

كان للمساجد في الحياة السياسية دور كبير في هذه الفترة، حيث وضحت من خلالهـــا عدداً من الأمور المتعلقة بالحياة السياسية، وأعلن عن الانتصارات الحربية مـــن خلالهـــا[4]. وكثـــيراً ما كانت تتعطل الصلاة والخطبة فيها، خاصة في فترات الاضـــطرابات السياســـية، حيث تتجه العامة إلى المساجد الجامعة في بغداد، وكأنها أماكن اعتصام، وتمنع الصلاة فيها[5].

كما كانت أماكن للإعلان عن الأحداث السياسية الهامة، فيتم من خلالها إعلام الـــناس فـــي بغداد بكل ما يحدث فيما يتعلق بالجانب السياسي، فعندما توفي الخليفة المنصـــور خطـــب المهـــدي بالناس في سنة (١٦٨هـــ/٧٨٤م) في المسجد الجامع وأخبرهم بوفاة أبيه[6].وعندما بويع الأمين بالخلافة بعد الرشيد سنة (١٩٣هـــ/٨٠٩م) خطب لـــه بالبيعة في المسجد الجامع، فصعد الأمين المنبر، وخطب بالناس موضحاً لهم نبأ وفاة أبيه، والسياسية العامة التي سوف ينتهجها، وقوامها تطبيق العدل والحق وطاعة الله[7].

---

[1] محمـــد بن إبراهيم أبو حمزة الصوفي : من أشهر العلماء المتكلمين، كان يلقب بأستاذ البغداديين، توفي سنة (٢٦٩هـــ/ ٨٨٢م) الصفدي، الوافي بالوفيات، مج١، ص٣٤٤، الزركلي، الأعلام، مج٦، ص١٨٣.

[2] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مج٣، ص٥٨، نجم "التعليم في بغداد" ص٤٣٤.

[3] الطـــبري، تاريخ الرسل والملوك، مج١٠، ص٢٨، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٧، ص٤٥٣، معروف والدوري، موجز تاريخ الحضارة، ص١٥٦.

[4] ابن الجوزي، المنتظم، مج١٠، ص١٠٧، محمود والشريف، العالم الإسلامي، ص١٣١.

[5] عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ص٨٤-٨٥، مسكويه، تجارب الأمم، مج١، ص٧٤، فوزي، الخلافة العباسية، ص١٣٩.

[6] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج٣، ص١١، ابن كثير، البداية والنهاية، مج١٠، ص١٦٣.

[7] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج٢، ص٤٣٣، ابن الجوزي، المنتظم، مج٩، ص١٩٣.

وعـــندما قـــرر الأمين البيعة لابنه موسى من بعده، كتب بذلك إلى عماله في مختلف الأمصار بالدعاء لابنه موسى في المساجد الجامعة، بعد الدعاء له، وذلك في سنة (١٩٥هـ/٨١١م) وسماه الناطق بالحق[١].

كمـــا حدث سنة (٢٠٢هـ/٨١٦م) عندما بايع أهل بغداد إبراهيم بن المهدي بالخلافـــة بدلاً من المأمون، حيث تم الإعلان له بالخلافة من خلال المساجد الجامعة فـــي بغـــداد[٢]. وعندما قرر المأمون خلع المؤتمن من الخلافة، وكان قد خطب لـــه بالخلافـــة بعـــد المأمون، أمر سنة (٢٠٨هـ/٨٢٢م) بأن يتم إعلان ذلك من خلال المساجد في بغداد[٣].

وفي سنة (٢٥٢هـ/٨٦٧م) تمت البيعة بالخلافة للمعتز بعد أن تولى الخلافة فـــي مســـاجد بغداد العامة، وتم له الدعاء فيها يوم الجمعة[٤]. وحدث مثل ذلك عند تولـــية المعتضـــد بالخلافة سنة (٢٧٩هـ/٨٩٢م) حيث أخذت له البيعة في مساجد بغداد[٥].

وكانـــت المساجد عبارة عن وسائل إعلام للناس في بغداد لإخبارهم بإحراز الانتصارات والفتوحات، ففي سنة (٢٨٦هـ/٨٩٩م) تم الإعلان من خلالها عن فتح مديـــنة آمد[٦]، وذلك زمن المعتضد بالله[٧]. وتكرر مثل ذلك سنة (٢٨٩هـ/٩٠٢م)

---

[١] مجهـــول، العيون والحدائق، مج٣، ص٣٢٢، ابن الجوزي، المنتظم، مج١٠، ص١١، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٦، ص٢٣٤، ٢٣٩، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مج٢، ص١٨٤، الخضري بك، تاريخ الأمم الإسلامية، ص١٥٩، ماجد، العصر العباسي الأول، مج١، ص٢٩٢.

[٢] الطـــبري، تـــاريخ الرسل والملوك، مج٨، ص٥٥٧، المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٣٥٠، ابن الجوزي، المنـــتظم، مج١٠، ص١٠٧، ابن كثير، البداية والنهاية، مج١٠، ص٢٧٠، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مج٣، ص٣٠٤، الذهبي، تاريخ الإسلام، مج١٤، ص٧، الأربلي، خلاصة الذهب المسبوك، ص٢٠٤.

[٣] ابن الجوزي، المنتظم، مج١٠، ص١٩٣.

[٤] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج٨، ص٣٤٨، المسعودي، مروج الذهب، مج٤، ص١٦٦، ابن الجوزي، المنتظم، مج١٢، ص٥٥، ابن كثير، البداية والنهاية، مج١١، ص١٢.

[٥] ابن كثير، البداية والنهاية، مج١١، ص٦٨.

[٦] آمـــد : لفظـــة رومية، أعظم مدن ديار بكر وأكبرها، تم بناؤها من الحجارة السوداء، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج١، ص٥٦.

[٧] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج١٠، ص٧٠.

عندما تم الإعلان من خلالها عن انتصار إسماعيل بن أحمد[١] صاحب خراسان على الديلم في طبرستان وتفريق جموعهم[٢].

وفي سنة (٢٩٠هـ/٩٠٣م) أعلن من خلالها عن انتصار العباسيين على القرامطة وقتل زعيمهم يحيى بن زكرويه[٣]، وذلك عن طريق ولاتهم في الشام ومصر، فكان الوالي في الشام طغج بن خف الأخشيدي[٤]، ووالي مصر هارون بن خمارويه[٥]. وبعد أن حصلت حروب دامية في دمشق بين القرامطة وأهلها قدم المصريون إلى أهل دمشق المساعدة، فأرسلوا إليها المدد والجيوش والقادة إلى أن تم لهم الإنتصار على القرامطة[٦].

وكانت المساجد كثيراً ما تستخدم أماكن للتشهير بالعصاة والخارجين على القانون والمجرمين، كما فعل المكتفي بالله سنة (٢٩١هـ/٩٠٤م) عندما أمر ببناء دكة في مسجد الجانب الشرقي في بغداد، وجعل أبعاد هذه الدكة حوالي عشرين ذراعاً في عشرين ذراعاً، وارتفاعها نحو عشرة أذرع، وجاء بجماعة من القرامطة الذين وصل عددهم إلى حوالي أربعة وثلاثين شخصاً، وصعد بهم إلى هذه الدكة، وقطع أيديهم وأرجلهم، وضرب أعناقهم أمام الناس ليكونوا عبرة لغيرهم من الثوار والخارجين على القانون[٧].

---

[١] إسماعيل بن أحمد بن سامان : ولاه المعتضد خراسان، وكان قائداً شجاعاً توفي سنة (٢٩٥هـ/٩٠٨م) الصفدي، الوافي بالوفيات، مج٦، ص٨٨-٨٩، الزركلي، الإعلام، مج١، ص٣٠٣.

[٢] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج١٠، ص٩٤.

[٣] يحيى بن زكرويه بن مهرويه القرمطي : من كبار القرامطة زمن المعتضد والمكتفي يلقب بالشيخ، قام بالعديد من الثورات ضد العباسيين إلى أن قتل في سنة (٢٩٠هـ/٩٠٣م) ابن الجوزي، المنتظم، مج١٣، ص١٥، الزركلي، الأعلام، مج٩، ص١٧٦-١٧٧.

[٤] طغج بن خف الأخشيدي: تركي الأصل، كان أميراً على الشام إلى أن حاصره القرامطة توفي سنة (٣٠٠هـ/٩١٢م) الصفدي، الوافي بالوفيات، مج١٦، ص٤٥٣.

[٥] هارون بن خمارويه : من أشهر ملوك الدولة الطولونية في مصر، تصدى لحرب القرامطة، توفي سنة (٢٩٢هـ/٩٠٤م) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مج٣، ص١١٣ وما يليها، الزركلي، الاعلام، مج٩، ٤٠-٤١.

[٦] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج١٠، ص٩٩، ابن الجوزي، المنتظم، مج١٣، ص١٤-١٥.

[٧] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج١٠، ص١١٢-١١٤، ابن الجوزي، المنتظم، مج١٣، ص٢٣.

وقد أعلن من خلالها انتصارات أهل اليمن على الخارجي الذي كان مقيماً باليمن، فحاربه أهل اليمن وهزموا جموعه سنة (٢٩٣هـ/٩٠٦م) [١] وتكرر مثل ذلك سنة (٣٠٢هـ/٩١٤م) عندما أعلن للناس من خلالها عن فتح بعض الحصون في بلاد الروم[٢]، وتكرر مثل ذلك سنة (٣٠٦هـ/٩١٨م) عندما نشرت أخبار الانتصارات على الروم في هذه السنة في المساجد الجامعة[٣].

وعندما هزم الجيش العباسي بقيادة مؤنس الخادم جيش الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي[٤] صاحب القيروان سنة (٣٠٩هـ/٩٢١م)، أعلن هذا الانتصار من خلال المساجد الجامعة[٥]، وتكرر مثل ذلك بعد انتصار المسلمين على الروم في جبهة الشام بعد فتحهم لمدينة طرسوس سنة (٣١١هـ/٩٢٣م)، وأعلن هذا الانتصار في مساجد بغداد[٦].

كما أوجدت المساجد حلولاً للمشاكل السياسية عندما تتعرض بغداد إلى الفتن والاضطرابات، ففي سنة (٣١٩هـ/٩٣١) عندما دخل الديلم إلى الدينور[٧]، وقتلوا وسلبوا، تقدم أهل الدينور إلى بغداد، وتوجهوا إلى المساجد الجامعة في بغداد، ومنعوا الصلاة والخطبة فيها، وثار معهم العديد من أهلها[٨] وعندما تعرض القرامطة للحجاج في سنة (٣٢٣هـ/٩٣٥م) ثارت العامة متوجهة إلى المساجد الجامعة للاعتصام فيها، احتجاجاً على تصرفات القرامطة[٩]، وفي سنة (٣٢٩هـ/٩٤١م) توجه العديد من الحنابلة إلى المسجد المعروف بمسجد براثا، واعتصموا به وحاولوا هدمه، وذلك بعد وفاة بجكم أمير الأمراء، إلا إن الشرطة قررت قتل كل من يريد سوءاً بهذا المسجد[١٠].

---

[١] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج١٠، ص١٢٨، عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ص١٣.
[٢] ابن الجوزي، المنتظم، مج١٣، ص١٥٠.
[٣] ابن الجوزي، المنتظم، مج١٣، ص١٧٨.
[٤] عبيد الله بن الحسن بن علي المهدي : ولد سنة (٢٦٠هـ/٨٧٥م) دُعي له بالخلافة في القيروان سنة (٣٢٢هـ/٩٣٥م) الصفدي الوافي بالوفيات، مج١٩، ص٣٦٤-٣٦٥.
[٥] مسكويه، تجارب الأمم، مج١، ص٧٥-٧٦.
[٦] ابن الجوزي، المنتظم، مج١٣، ص٢١٨.
[٧] الدينور : مدينة من أعمال الجبل بالقرب من همذان، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٥٤٥.
[٨] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مج٣، ص٢٥٩، العماد الحنبلي، شذرات الذهب، مج٤، ص٩١.
[٩] الصولي، أخبار الراضي بالله، ص٦٩.
[١٠] الصولي، أخبار الراضي بالله، ص١٩٨.

٣. دور المساجد في الحياة الاجتماعية والاقتصادية :

كــان المســجد في بغداد كغيره من المؤسسات مركزاً اجتماعياً نشطاً، حيث يجـتمع فيه العديد من العامة أثناء الصلاة وفي المناسبات الأخرى كالأعياد، إلا أن أهــم دور لعبه المسجد في الحياة الاجتماعية في هذه الفترة، إنه كان مركزاً ومكاناً للحكــم، حيــث يجلس فيه القضاة ويفصلون بين الخصوم، فكان لكل جهة في بغداد قاضٍ، واحد للشرقية وثانٍ للغربية، حيث يعقد مجلس القضاء في المسجد الجامع[١].

لقــد وردت عدة إشارات التي تؤيد أن مساجد بغداد الجامعة كانت عبارة عن مكــان للقضاء، فذكر أن محمد بن عبد الله بن علاثة[٢] (ت ١٦٨هـ/٧٨٤م) وعافية بــن يــزيد[٣](ت ١٧٠هـ/٧٨٦م) كانا يحكمان في سنة (١٦١هـ/٧٧٨م) في جامع الرصــافة فــي الجهــة الشــرقية[٤]. والقاضي علي بن ظبيان أبو الحسن العبسي الكوفي[٥] في سنة (١٩٢هـ/٨٠٨م) يقضي في الجهة الشرقية في جامع الرصافة[٦].

كمــا ينظر القاضي عمر بن حبيب العدوي[٧](ت ٢٠٧هـ/٨٢١م) في شؤون القضاء في مسجد الرصافة[٨].

---

(١) الطــبري، تــاريخ الرســل والملوك، مج١٠، ص٥٢، ابن الجوزي، المنتظم، مج٩، ص٣٣، ماجد، العصر العباســي الأول، مج١، ص١١٩، مصطفى، دولة بني العباس، مج١، ص٥٧١، أبيض، بحوث في تاريخ الحضارة، ص٥١-٥٢.

(٢) محمد بن عبد الله بن علاثة القاضي : كان من كبار العلماء في بغداد، توفي سنة (١٦٨هـ/٧٨٤م) الصفدي، الوافي بالوفيات، مج٣، ص٣٠٦.

(٣) عافية بن يزيد بن قيس الأزدي القاضي : كان فقيهاً، تعلم علي يــد أبي حنيفة، وتولــى القضاء، توفي سنة (١٧٠هـ/٧٨٦م) الصفدي، الوافي بالوفيات، مج١٦، ص٥٧٣.

(٤) التنوخي، نشواز المحاضرة، مج٧، ص٣٤، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١٢، ص٣٠٤، ابن الجوزي، المنتظم، مج٩، ص٥١، ابن كثير، البداية والنهاية، مج١٠، ص١٩٠، الذهبي، تاريخ الإسلام، مج١٠، ص ٨، الكساسبة، السلطة القضائية، ص٢٨٧.

(٥) علي بن ظبيان أبو الحسن الكوفي: قاضي الشرقية زمن الرشيد، توفي سنة (١٩٢هـ/٨٠٨م) ابن الجوزي، المنتظم، مج٩، ص٢٠٥.

(٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١١، ص٤٤٢، ابن الجوزي، المنتظم، مج٩، ص٢٠٥ الأنباري، منصب قاضي القضاة، ص٢٦٤.

(٧) عمــر بن حبيب العدوي البصري القاضي: كان منادماً للخليفة هارون الرشيد، توفي سنة (٢٠٧هـ/٨٢١م) الصفدي، الوافي بالوفيات، مج٢٢، ص٤٤٧-٤٤٨، الزركلي، الأعلام، مج٥، ص٢٠١.

(٨) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١٢، ص٣٠٤، العلي، معالم بغداد الإدارية، ص١٨٣.

ثانياً : المكتبات

أولاً : نشأة المكتبات

ثانياً : أنواع المكتبات

أ. المكتبات العامة

ب. المكتبات الخاصة

١. مكتبة محمد بن عمر الواقدي

٢. مكتبة إسحاق الموصلي

٣. مكتبة يعقوب بن إسحاق الكندي

٤. مكتبة الفتح بن خاقان

٥. مكتبة عمرو بن بحر الجاحظ

٦. مكتبة حنين بن إسحاق

٧. مكتبة علي بن يحيى المنجم

٨. مكتبة إسماعيل بن إسحاق الأزدي

٩. مكتبة إبراهيم بن إسحاق الحراني

١٠. مكتبة أبناء موسى بن شاكر

ثالثاً : التنظيم الإداري للمكتبات :

١. المدير

٢. المترجمون

٣. النسّاخ

٤. المجلدون

٥. المناولون

أولاً: نشأة المكتبات :

قال المتنبي :

أعَــزُّ مكانٍ في الدُّنَى سَرْجُ سابــحٍ   وخَــيْرُ جلـيسٍ فــي الــزمانِ كتاب[1]

(البسيط)

المكتبات من أشهر المؤسسات التعليمية التي قامت بدور بارز في نشر الثقافة والعلوم في العالم الإسلامي، فقد وجدت قبل الفتح الإسلامي. فكان للإسكندرية مكتبة شـهيرة قــبل الفتح الإسلامي لها، وقد بدأ إنشاء خزائن الكتب في العصر الإسلامي مــنذ العصــر الأموي في قصور الخلافة الأموية، لحفظ المؤلفات، وخاصة القديمة منها والمخطوطات، وكان من أشهرها خزانة خالد بن يزيد بن معاوية، فهو أول من ترجمــت له الكتب القديمة في مختلف أنواع العلوم[2]، وكذلك الوليد بن يزيد بن عبد الملك مهتماً بجمع المؤلفات القديمة والمخطوطات[3].

واســتمرت المكتــبات في النمو والتطور إلى أن وصلت ذروتها في العصر العباســي[4]، وخاصة في عهد الرشيد، الذي أنشأ مكتبة دار الحكمة، ووضع الأسس الأولــى لهــا[5]، وكان التطور الحقيقي لهذه المكتبة منذ عهد المأمون، الذي زوّدها بالموظفين والمترجمين والعلماء، حتى أصبحت قبلة العلماء والأدباء والطلاب[6].

---

[1] المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسن الكندي الكوفي (ت ٣٥٤هـ/٩٦٦م)، ديوان أبي الطيب المتنبي، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٦م، مج١، ص١٩٣.

[2] ابــن الــنديم، الفهرســت، ص٤١٩، عبد الدايم، التربية عبر التاريخ، ص١٥٧، عبد العزيز، شعبان، الكتب والمكتبات في العصور الوسطى، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧م، ط١، ص٢٨٢.

[3] ابن النديم، الفهرست، ص١٠٣، عبد الدايم، التربية عبر التاريخ، ص١٥٨.

[4] ابن الآبار، أعتاب الكتاب، ص٨٢، زيدان، تاريخ التمدن، مج٢، ص٢٢٥.

[5] ابــن قتيــبة، المعارف، ص٩، فوزي، الخلافة العباسية، ص٣٥، الأقرطجي، رمزية، "بيت الحكمة البغدادي وأثــره فــي تطويــر الحركة العلمية" المؤرخ العربي، بغداد، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، ع ١٩٨٠،١٤م، ص٣٢٢.

[6] ابن قتيبة، المعارف، ص١٠، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٢٦٠، ماجد، العصر العباسي الأول، مج١، ص٣٥٠.

كما وجدت عوامل مساعدة لعبت دورها في تطوير مكتبة بيت الحكمة، ومنها ظهور صناعة الورق في العصر العباسي، وظهور مهنة الوراقة، بالإضافة إلى نشاط حركة الترجمة والتأليف في هذا العصر من مختلف اللغات القديمة كاليونانية والفارسية[1].

وأصبحت المكتبات في هذا العصر في غاية التنظيم والترتيب، وخصصت أماكن فيها لخزن المؤلفات، وأماكن أخرى خاصة بالنسخ والترجمة، بحيث يتم تعيين عدد من الموظفين الذين يتولون إدارة هذه المكتبات من مدراء ومترجمين ومجلدين ومناولين ونساخ[2].

ولكي نتعرف على هذه المؤسسة التعليمية، لا بد لنا من دراسة أبعادها المختلفة من حيث: أنواعها، والتنظيم الإداري، لها وطاقم العاملين فيها، والنظام المالي وغير ذلك.

ثانيا: أنواع المكتبات: وجد في العصر العباسي نوعان من المكتبات وهما :

أ. المكتبات العامة:

تنشئها الدولة للعلماء وطلاب العلم، وقدمت لهم العديد من الخدمات العلمية وخاصة بيت الحكمة أو دار الحكمة، التي أسسها الخليفة هارون الرشيد، وبدأت مظاهر الاهتمام بها منذ تلك الفترة، بحيث تم تزويدها بالمؤلفات الفارسية واليونانية والسريانية والهندية وغيرها[3].

إلا أن التطور الحقيقي لبيت الحكمة كان زمن المأمون، الذي زوّدها بالموظفين والمترجمين والعلماء، حتى أصبحت مركز إشعاع فكري وعلمي. ومن مظاهر اهتمامه بجمع المؤلفات والمخطوطات إنه أرسل إلى ملك الروم بعثة علمية يطلب منه السماح له بإحضار المؤلفات القديمة، التي تشتمل فروع العلم والمعرفة

(1) ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص٦٥، أمين، ضحى الإسلام، مج٢، ص٦١.

(2) ابن النديم، الفهرست، ص١١٨، العبادي، دراسات في التاريخ العباسي والأندلسي، ص١٠٨، معروف والدوري، موجز تاريخ الحضارة العربية، ص١٧٥.

(3) ابن الأبار، أعتاب الكتّاب، ص٨٢، عبد الرؤوف، عصام، الحواضر الإسلامية الكبرى، د.م، دار الفكر، ١٩٧٦م، ط١، ص٢٤٧.

كافة، وعندما وافق ملك الروم أرسل المأمون إليه كلاً من الحجاج بن مطر[1] وسلّم[2] صاحب بيت الحكمة ويوحنا بن ماسويه وغيرهم، وبعد أن جلب هؤلاء المؤلفات طلب منهم المأمون ترجمتها إلى اللغات المختلفة، وخاصة العربية وذلك لنشر العلوم المختلفة[3].

وعمل المتوكل كذلك على الاهتمام ببيت الحكمة، وعمل على تجديدها في سنة (٢٣٢هـ/٢٤٧م) إلا أنها أهملت فيما بعد، وخاصة في زمن المعتز وزمن المستعين بسبب الفتن المتواصلة، إلى أن جاء المعتضد بالله واهتم ببيت الحكمة كثيراً ووضع لها أشهر المترجمين، الذين تعلموا على يد المترجم الشهير حنين بن إسحاق[4].

وكانت بيت الحكمة عبارة عن بناء يشتمل عدداً من الحجرات المقسمة إلى مجموعات من الخزائن، وكل قسم يحتوي فرعاً من فروع العلم والمعرفة، أما فيما يتعلق بمكان إنشاء بيت الحكمة، فيبدو من خلال الروايات أن هذه المكتبة ملحقة بقصر الخليفة، ويذكر أن هارون الرشيد خصص جزءاً من قصره لجمع المؤلفات العربية والأجنبية، وعندما طلب المأمون من يحيى بن زكريا الفرّاء[5] أن يؤلف له

---

(١) الحجاج بن مطر: حمصي الأصل، كان مترجماً شهيراً في الدولة العباسية، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٢٨٠.

(٢) سلّم: صاحب بيت الحكمة، من أشهر من عمل في الترجمة في العصر العباسي، وله العديد من المؤلفات المترجمة من الفارسية إلى العربية، ابن النديم، الفهرست ص١٣٤.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص٣٠٤، ابن الطقطقا، الفخري في الآداب، ص٢١٦، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣٠٦، فوزي، الخلافة العباسية، ص٣٥٠، سالم، العصر العباسي الأول، مج٣، ص٩٠، جواد وسوسه، دليل خارطة بغداد، ص١٣١-١٣٢، رفاعي، أحمد، عصر المأمون، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٢٧م، ط١، مج١، ص٣٧٧.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص٣٥٥، عبد الباقي، أحمد، معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩١م، ط١، ص٢٩٤.

(٥) زكريا بن يحيى بن زياد الفرّاء: عالماً في النحو والفلسفة وغيرها، كان مقيماً في بغداد، وله عدة مؤلفات في اللغة والنحو، ابن النديم، الفهرست، ص٧٣.

فـــي مجـــال الـــنحو، خصص لـــه غرفة في القصر، وخصص له الخدم والفراشين والوراقين وغيرها من وسائل الراحة[1].

واشـــتملت المكتـــبة على أقسام رئيسية، وتوضع المؤلفات فيها على رفوف خاصـــة مرتـــبة ترتيـــباً خاصاً، وأشهر أقسام بيت الحكمة هي : المكتبة والترجمة والنقل، والبحث والتأليف والنسخ والتجليد.

ويـــتم فـــي قســـم المكتبة ترتيب المؤلفات على الرفوف الخاصة بها، وذلك لســـهولة الوصول إليها من قبل العلماء والطلبة، أما قسم الترجمة والتأليف، فتتم فيه عمليات الترجمة من السريانية واليونانية وغيرهما إلى العربية، وكان يقوم بذلك عدد مـــن المترجمين الذين يتولون أعمال الترجمة مثل: سهل بن هارون[2](ت ٢٥١هـــ/ ٨٦٦م) ومحمـــد بن موسى الخوارزمي[3](ت ٢٣٢هـــ/٨٤٧م) فكان يتم اختيار كبار العلمـــاء والأدبـــاء للقيام بعمليات الترجمة، أما قسم التأليف فتتم فيه عمليات البحث والتألـــيف فـــي كافة المجالات، وقسم النسخ والتجليد، تتم فيه عمليات نسخ المؤلفات وتجليدها وترميم المؤلفات التالفة، ونسخها على أيدي أشهر النساخ[4].

وكانت مكتبة بيت الحكمة في بغداد من أشهر وأكبر المكتبات وخزائن الكتب فـــي العصـــر العباســـي، فهي مركز علمي ومكان للترجمة وكتابة الأبحاث، ومعهد علمـــي كبير في الدولة العباسية[5]، وبقيت كذلك لفترات متأخرة، إلى أن قام المغول

---

(1) الخطيـــب الـــبغدادي، تـــاريخ بغداد، مج١٤، ص١٥٥، ابن الجوزي، المنتظم، مج١٠، ص١٨٧، معروف، ناجي، أصالة الحضارة العربية، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٥م، ط٣، ص٤٤٢.

(2) ســـهل بـــن هارون بن راهبون : فارسي الأصل، انتقل من البصرة إلى بغداد، وخدم في بيت الحكمة زمن المأمون، توفي سنة (٢١٥هـــ/٨٦٦م) ابن النديم، الفهرست، ص١٣٣، الزركلي، الأعلام، مج٣، ص٢١١.

(3) محمد بن موسى الخوارزمي : أصله من خوارزم من علماء الهيئة، خدم المأمون في بيت الحكمة، وله العديد مـــن المؤلفات توفي سنة (٢٣٢هـــ/٨٤٧م) ابن النديم، الفهرست، ص٣٣٣، الزركلي، الأعلام، مج٧، ص ٣٣٧-٣٣٨.

(4) الصولي، أخبار الراضي بالله، ص٤٠، ابن النديم، الفهرست، ص١١١، عبد العزيز، الكتب والمكتبات، ص ٢٨٥، البكري، عادل "خزائن الكتب في عصر الحضارة العباسية ومصيرها عبر العصور المختلفة" فصل ضمن كتاب بغداد مدينة السلام، بغداد، مركز إحياء التراث، ١٩٩٠م، ص٣٢٣.

(5) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مج١٥، ص١٥٧، الأقرطجي "بيت الحكمة" ص٣٢٥.

بإحـــراقها وإحراق المؤلفات الموجودة فيها، وذلك بعد اجتياحهم بغداد وما رافق ذلك من خراب وتدمير سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) [١].

ب. المكتبات الخاصة :

إضـــافة إلى المكتبات العامة التي وجدت في بغداد في العصر العباسي، وجد هـــناك مكتبات أخرى، ينشئها العلماء والأدباء والوزراء والأثرياء، ويتولون الإنفاق عليها، لخدمة العلماء والطلاب عرفت بالمكتبات الخاصة، وأشهر هذه المكتبات :

١. مكتـــبة محمـــد بـــن عمر الواقدي[٢]: (ت ٢٠٧هـ/٨٢٢م) الواقدي من أشهر المؤرخين في العصر العباسي، وهو عالم بالسير والمغازي والفتوح والأخبار، وألف العديـــد من الكتب في تلك المجالات، وانتقل من المدينة إلى بغداد، وأقام فيها، وأنشأ مكتـــبة عظيمة، أصبحت مضرباً للأمثال في كثرة مؤلفاتها. فيذكر إنه عندما تحول مـــن الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي في بغداد حمل معه عدداً من المؤلفات التي بلغت كما يذكر ستمائة قطمر، والقطمر ما يحفظ به الكتب[٣]، وكان الواقدي يستعين بالنســـاخ فـــي مؤلفاتـــه، فـــيذكر أن غلامين كانا يقومان بالنسخ للواقدي في الليل والنهار[٤].

٢. مكتـــبة إســـحاق الموصلي : (ت ٢٣٥هـ/٨٥٠م) وهو النديم الشهير، صاحب الغناء لم يكن له نظير في الغناء في العصر العباسي، وكان شاعراً عالماً باللغة وعلم الكلام وحظياً عند الخلفاء، وله العديد من الأشعار، ولد سنة (١٥٠هـ/٧٦٧م) وألف العديـــد من المؤلفات في الغناء والأخبار، عمل خزانة كتب شهيرة، اشتهرت بكثرة مؤلفاتهـــا، وكـــان لديه ألف جزء من لغات العرب، وقال رجل : ما رأيت اللغة في مـــنزل أحـــد قط أكثر منها في منزل إسحاق الموصلي. وعندما خرج من بغداد إلى

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، مج١٣، ص٢٦٦، الراوي، بغداد، ص١٠٠، لوبون، حضارة العرب، ص٢٢٣.

(٢) محمـــد بـــن عمـــر الواقدي : العالم الشهير المؤرخ، ولد سنة (١٣٠هـ/٧٤٧م) تولى القضاء زمن الرشيد والمأمون، توفي سنة (٢٠٧هـ/٨٢٢م) ابن النديم، الفهرست، ص١١١، ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مج ١٨، ص٢٨١، الزركلي، الأعلام، مج٧، ص٢٠٠-٢٠١.

(٣) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مج١٨، ص٢٨١، سعد، العامة في بغداد، ص٣٥٣.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص١١١، عبد الرؤوف، الحواضر الإسلامية الكبرى، ص٢٤٩.

الــرقة برفقة عبد الملك بن قريب الأصمعي[١]، حمل من كتبه شيئاً خفيفاً بلغ حوالي ثمانــية عشر صندوقاً، فاستغرب الأصمعي من ذلك وقال : ماذا حملت قال : حملت الخفــيف، فقال الأصمعي : إذا كان ذلك الخفيف فما بالك بالثقيل، فقال الموصلي : أضعاف ذلك[٢].

ويذكــر أن المــؤرخ الشهير علي بن محمد المدائني[٣] ألف كتبه من خزانة الموصلي حتى توفي وهو يؤلف من كتب إسحاق الموصلي في بيته[٤].

٣. مكتــبة يعقــوب بن إسحاق الكندي الفيلسوف[٥]: (ت ٢٤٦هـــ/٨٦٠م) وسميت هذه الخزانة بالكندية، وكانت تشتمل على عدد من المؤلفات في مختلف الفنون، وقيل إن مصــنفات الكــندي وصلت إلى حوالي مئتين وسبعين كتاباً في العديد من العلوم كالفلسفة والهندسة والحساب والنجوم والمنطق والموسيقى[٦].

٤. مكتــبة الفتح بن خاقان: (ت ٢٤٧هـــ/٨٦١م) وكان أديباً واسع العلم والمعرفة، وقد شجعه الخلفاء على ذلك، وخاصة المتوكل، فقد اتخذه أخاً وقدمه على سائر أهله، وكـــان منادماً له، وترافقه كتبه عند المتوكل باستمرار، حتى قتل في الليلة التي قتل فيها المتوكل[٧].

---

[١] عــبد الملك بن قريب بن أصبع الباهلي : صاحب اللغة، كان شاعراً، توفي سنة (٢١٥هـــ/٨٣٠م) وقيل سنة (٢٢٦هـــ/٨٤١م) الصفدي، الوافي بالوفيات، مج١٩، ص١٨٧-١٨٩، الزركلي، الأعلام، مج٤، ص٣٠٧-٣٠٨.

[٢] يــاقوت الحموي، معجم الأدباء، مج٦، ص٨، الصفدي، الوافي بالوفيات، مج٨، ص٣٨٩، عبد الباقي، معالم الحضارة العربية، ص٢٩٤.

[٣] علــي بــن محمد المدائني أبو الحسن : ولد سنة (١٣٥هـــ/٧٥٢م) توفي سنة (٢٢٥هـــ/٨٤٠م) في بغداد، ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مج١٤، ص١٢٤-١٢٧، الزركلي، الأعلام، مج٥، ص١٤٠.

[٤] ابــن الــنديم، الفهرســت، ص١١٣، يــاقوت الحموي، معجم الادباء، مج١٤، ص١٢٧، عبد الباقي، معالم الحضارة العربية، ص٢٩٤.

[٥] يعقوب بن إسحاق الكندي: فيلسوف العرب، كان معلماً للصبيان، ثم تعلم النحو وكان عالماً باللغة وبالعديد من العلوم، توفي سنة (٢٤٣هـــ/٨٥٧م) ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص٧٣، القفطي، أخبار العلماء، ص٢٤٠-٢٤١، الزركلي، الأعلام، مج٩، ص٢٥٥-٢٥٦.

[٦] ابن النديم، الفهرست، ص٣١٦-٣١٧، صقر، مطلع العصر العباسي الثاني، ص٢٢٣.

[٧] ابــن الــنديم، الفهرست، ص١٣٠، شلبي، أحمد، تاريخ التربية الإسلامية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٠م، ط٧، ص٢٠٠.

وقد استعان الفتح بن خاقان بعلي بن يحيى المنجم[1]، الذي جمع له المؤلفات في هذه المكتبة، وكان العلماء والأدباء يقصدونها من الكوفة والبصرة، لكثرة وشهرة مؤلفاتهـا[2]، واحتوت هذه المكتبة مؤلفات الفتح بن خاقان ومؤلفات علي بن يحيى المنجم[3].

ومن أشهر من قصد هذه المكتبة الجاحظ، الذي ألف فيها كتاب "مناقب الأتراك" وكتاب "عامة جند الخلافة"، وقد وصفت مكتبته بالحسن والعظمة[4].

٥. مكتبة عمرو بن بحر الجاحظ : (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م) كان من أهل البصرة، سريع البديهة والحفظ، تعلم النحو وعلم الكلام، ألف العديد من المؤلفات، حتى إنه كان يبيت في دكاكين الوراقين للتأليف والبحث، وكانت مؤلفاته في الآداب والأخلاق، عمل خزانة كتب شهيرة، وتوفي بعد أن وقعت عليه مجلدات وهو مشغول بالتأليف والتصنيف[5].

٦. مكتبة حنين بن إسحاق : (ت ٢٦٤هـ/٨٧٧م) كان طبيباً شهيراً ومترجماً في مختلف اللغات، أسس مكتبة شهيرة تشتمل على العديد من المؤلفات[6].

٧. مكتبة علي بن يحيى المنجم : (ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م) كان شاعراً وراوية للأخبار، ويبدو من خلال اتصاله بالفتح بن خاقان. وعمل مكتبة شهيرة له، تأثر بذلك وأنشأ مكتبة كبير في كركر[7]،إحدى ضواحي بغداد، حيث كان له هناك قصر، وأنشأ فيه هذه الخزانة، وكان العلماء والأدباء يأتون إليها من مختلف الأقطار

---

[1] علي بن يحيى المنجم: شاعراً وراوية للأخبار نادم الخلفاء وخاصة المأمون والمتوكل، توفي سنة (٢٧٥هـ/ ٨٨٨م) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١٢، ص١٢١، الزركلي، والأعلام، مج٥، ص١٨٤.

[2] ابن النديم، الفهرست، ص١٣٠.

[3] ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مج١٥، ص١٤٤.

[4] ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مج١٦، ص١٧٤، شلبي، تاريخ التربية، ص٢٠٠.

[5] ابن النديم، الفهرست، ص١٣٠، شلبي، تاريخ التربية، ص١٤٠.

[6] عبد الدايم، التربية عبر التاريخ، ص١٥٩، عبد الرؤوف، دراسات في تاريخ الدولة العباسية، ص٢٩٨، الصقار، منير الدين "دور المجالس والحلقات في النظام التربوي حتى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي" مقالة ضمن كتاب التربية العربية الإسلامية، عمان، المجمع العلمي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت، المجتمع العلمي لبحوث الحضارة الإسلامية، ١٩٨٩م، ص٣٠٥.

[7] كركر : ناحية شهيرة من نواحي بغداد، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص٤٥٣.

والأمصار للتأليف في أنواع العلوم كافة[١]. ويذكر أن رجلاً كان ذاهباً لأداء فريضة الحـــج، وبعـــد أن رأى مكتـــبة علي بن يحيى المنجم، دخل إليها، وانشغل عن أداء فريضــــة الحــــج، وجلس في تلك المكتبة للتأليف، وكانت النفقة على هذه المكتبة من مال علي بن يحيى المنجم[٢].

٨. مكتـــبة إسـماعيل بن إسحاق الأزدي[٣]: (ت ٢٨٢هـ/٨٩٥م) وكان إسماعيل الأزدي محـــباً للعلـــوم والمؤلفـــات، عمـــل خـــزانة يقصدهـــا العديد من العلماء والمؤرخين[٤].

٩. مكتـــبة إبراهيم بن إسحاق الحراني[٥]: (ت ٢٨٥هـ/٨٩٨م) الإمام الفقيه، كانت لـــه مكتـــبة شـــهيرة بمؤلفاتها، تتم فيها عمليات النسخ، وقال الخطيب البغدادي في وصفها بأنها ثروة، ويبلغ عدد المؤلفات فيها حوالي اثني عشر ألف مجلد[٦].

١٠. مكتـــبة أبـــناء موسى بن شاكر[٧]: وكانوا من أشهر علماء ومنجمي العصر العباســـي ولهم العديد من المؤلفات الشهيرة، عملوا خزانة للكتب جُمعت من مختلف الأمصار، حيث قاموا بإرسال البعثات العلمية إلى بلاد الروم، وأحضروا المترجمين ليقوموا بأعمال الترجمة، وأظهروا عجائب الحكمة في مختلف مجالات العلوم[٨].

---

[١] ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مج١٥، ص١٥٧، إسماعيل، معاهد التربية، ص٤١٦.

[٢] يـــاقوت الحمـــوي، معجم الأدباء، مج١٥، ص١٥٧، السامرائي، يونس "علي بن يحيى المنجم" مجلة المجمع العلمـــي العراقي، بغداد، المجمع العلمي العراقي، مج٣٦، ١٩٨٥م، ص٢٠٣، البكري "خزائن الكتب" ص ٣٢٦.

[٣] إسماعيل بن إسحاق الأزدي : ولد سنة (٢٠٠هـ/٨١٥م) كان قاضياً في بغداد، توفي سنة (٢٨٢هـ/٨٩٥م) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مج٧، ص١٢٩-١٣١.

[٤] إسماعيل، معاهد التربية، ص٤١٧.

[٥] إبراهـيم بن إسحاق الحراني : إمام العلم والفقه، ولد سنة (١٩٨هـ/٨١٣م) توفي في بغداد سنة (٢٨٥هـ/ ٨٩٨م) وله العديد من المؤلفات، ابن النديم، الفهرست، ص٢٨٧، ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مج١، ص ١١٢-١١٥، الزركلي، الأعلام، مج١، ص٢٤.

[٦] تاريخ بغداد، مج٦، ص٣١.

[٧] أبناء موسى بن شاكر : ثلاثة أخوة لهم عدة مؤلفات في مختلف أنواع العلوم، ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج ٥، ص١٦١.

[٨] ابن النديم، الفهرست، ص٣٣١، القفطي، أخبار العلماء، ص٢٠٨.

وأخـذت المكتـبات الخاصة بعد ذلك تنتشر وتزدهر، حتى قيل إنه في سنة (٢٧٧هـــ/٨٩١م) كـان عـدد المكتـبات في مدينة بغداد ما يقارب المائة مكتبة، وتحتوي هذه المكتبات العديد من المؤلفات[١].

ثالثاً: التنظيم الإداري للمكتبات:

كانـت المكتـبات فـي العصـر العباسي تسير وفقاً لنظام معين من حيث: الموظفـون والإدارة والـنفقات والإعارة والفهرسة وغير ذلك، حيث يعين عدد من الموظفين والعاملين لإدارة شؤون المكتبة، ومن أشهر الموظفين في هذه المكتبات:

١. الأمين:

يدعـى صـاحب المكتـبة وأمين المكتبة، وهو المسؤول عن الإشراف على المكتـبة والعاملين فيها. ويجب أن تتوافر فيه عدة شروط، وذلك لتعامله مع العلماء والأدباء وطلبة العلم وتوجيههم نحو الفائدة في اختيار المؤلفات، وأهم هذه الشروط: الأمانـة وسـعة الإطـلاع والمعـرفة الجيدة بالمؤلفات، وأحياناً يتم تعيين أكثر من صـاحب لبيت الحكمة أو وضع نائب لـه لمساعدته في إدارة شؤون المكتبة وتنظيم عملهـا وفهارسـها وإعارة الكتب فيها، ويشترط في مساعديه سعة الإطلاع والعلم والمعرفة[٢].

فكـان الفضـل بـن نوبخت[٣] أمين خزانة بيت الحكمة زمن الخليفة هارون الرشـيد[٤]، وسـهل بن هارون زمن المأمون كان صاحب مكتبة بيت الحكمة، وقام بعملـيات الـترجمة فـيها، والنقل من الفارسية إلى العربية، أما سعد بن هارون بن هـريم[٥]، فقد كان مساعداً لسهل بن هارون في إدارة بيت الحكمة، وكان محمد بن

---

(١) الحسـني، عـبد الـرزاق، العراق قديماً وحديثاً، صيدا، مطبعة العرقان، ١٩٥٨م، ط٣، ص١٠٣، البكري، "خزائن الكتب"، ص٣٥.

(٢) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٢٨٢، البكري "خزائن الكتب" ص٣٢٢.

(٣) الفضـل بـن نوبخت: فارسي الأصل، عمل مترجماً من الفارسية إلى العربية، القفطي، أخبار العلماء، ص ١٦٨-١٦٩.

(٤) ابـن النديم، الفهرست، ص٣٣٣، عبد الرؤوف، دراسات في تاريخ الدولة العباسية، ص١٢٠، حسن، الدولة العباسية، ص٢١٩.

(٥) سـعد بـن هارون بن هريم الكاتب: كان شريكاً لسهل في بيت الحكمة، وله العديد من المؤلفات، ابن النديم، الفهرست، ص١٣٤.

موسى الخوارزمي ممن تولوا إدارة مكتبة بيت الحكمة، وكان رئيساً لها زمن الخليفة المأمون[1].

وتولى حنين بن إسحاق زمن المتوكل إدارة بيت الحكمة ورئاسة قسم الترجمة فيها أيضاً[2].

أمـا فـي المكتبات الخاصة، فكان يتم تعيين خازن لها، ويعود ذلك إلى حجم المكتبة وحاجتها، ففي مكتبة الفتح بن خاقان كان علي بن يحيى المنجم خازناً لها[3].

٢. المترجمون:

مـن المعـروف أن المؤلفات المتوفرة في هذه المكتبات في تلك الفترة كانت باللغـات الأجنبية في مختلف فروع العلم والمعرفة، باستثناء المؤلفات الدينية، ومن هـنا ظهرت الحاجة إلى توفر عدد من المترجمين لترجمة هذه المؤلفات، ونقلها إلى العربية. وقد عمل العباسيون على ترجمة هذه المؤلفات، وأنفقوا في سبيل ذلك أموالاً كثـيرة، وكـان لهؤلاء المترجمين دور بارز في نقل العلوم من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية بتشجيع من الخلفاء العباسيين[4].

وأشـهر من عمل بالترجمة في بيت الحكمة زمن الرشيد الفضل بن نوبخت، حيث ترجم فيها عدداً من المؤلفات[5]. وكذلك تولى يوحنا بن ماسويه أعمال الترجمة فـي بيـت الحكمـة زمـن الرشيد، حيث ترجم المؤلفات التي أحضرها الرشيد من أنقـرة[6] وعموريـه[7]، كمـا تولى منصب أمين الترجمة فيها، بحيث يشرف على أعمال الترجمة، وله كتاب ماهرون يكتبون له[8].

---

(1) ابـن النديم، الفهرست، ص٣٣٣، القفطي، أخبار العلماء، ص١٨٧، جواد وسوسة، دليل خارطة بغداد، ص ١٣١.

(2) ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص٦٨-٦٩، عبد الباقي، معالم الحضارة العربية، ص٢٩٠.

(3) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مج١٥، ص١٤٤.

(4) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٢٦٠، إسماعيل، معاهد التربية، ص٤٥٥.

(5) ابن النديم، الفهرست، ص٣٣٣.

(6) أنقرة : تسمى أنكورية، وتقع في شبه جزيرة الأناضول، افتتحها المعتصم أثناء طريقه لفتح عمورية، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج١، ص٢٧١-٢٧٢.

(7) عمورية : بلد من بلاد الروم، فتحها المعتصم في سنة (٢٢٣هـ/٨٣٨م) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٤ ، ص١٥٨.

(8) ابـن جلجل، طبقات الأطباء، ص١٦٥ الهامش، القفطي، أخبار العلماء، ص٢٤٩، محمود والشريف، العالم الإسلامي، ص٢٧٣.

أمـا فـي عصر المأمون الذي اهتم كثيراً بحركة الترجمة، فقد ترجمت لـه العديـد مـن المؤلفات في خزانة بيت الحكمة، ومن أشهر المترجمين في زمانه سلّم والحجـاج بـن مطر وقسطا بن لوقا البعلبكي[١]، الذي تولى تنظيم قسم الترجمة في بيت الحكمة[٢]، إلا أن أشهر هؤلاء المترجمين حنين بن إسحاق، الذي جعله المأمون رئيساً لها ومترجماً في الوقت نفسه[٣].

ويعيـن رئـيس لهـؤلاء، يدعى رئيس الترجمة، تكون مهمته مراقبة أعمال المترجمين، وتصحيح أخطائهم والإشراف على عملهم، كما هي الحال في يوحنا بن ماسويه، الذي كان رئيساً وأميناً على الترجمة، وخصص لـه كتّاب يقومون بأعمال الـترجمة[٤]. وكذلـك حنيـن بن إسحاق الذي كان يتولى تصحيح ومراجعة أعمال المترجمين[٥].

وكانـت عمليات الترجمة تتم كذلك في المكتبات الخاصة، بحيث يستعان بعدد من المترجمين للقيام بأعمال الترجمة، كما هي الحال في حبيش بن الحسن[٦] وثابت بن قرة الحراني[٧]، اللذين عملا بالترجمة في مكتبة أبناء موسى بن شاكر[٨].

---

[١] قسـطا بـن لوقا البعلبكي : كان فيلسوفاً، نقل العديد من المؤلفات إلى العربية ت (٣٠٠هـ/٩١٢م) القفطي، أخبار العلماء، ص١٧٣، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء ص٣٢٩، الزركلي، الأعلام، مج٦، ص٤٠.

[٢] ابن النديم، الفهرست، ص٣٠٤، الأقرطجي "بيت الحكمة" ص٣٢٨.

[٣] ابـن جلجـل، طبقات الأطباء، ص٦٨-٦٩، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٢٦٠، أبو شريخ، شاهر، دراسات في علوم المكتبات، عمان، دار صفاء، ٢٠٠٠م، ص٤٢، المجالي، المأمون وعصره، ص٤٨٨.

[٤] ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص٦٥ الهامش، أمين، ضحى الإسلام، مج٢، ص٦٥.

[٥] القفطي، أخبار العلماء، ص١١٨، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٢٦٢.

[٦] حبـيش بـن الحسـن : أشهر تلامذة حنين بن إسحاق، وأشهر النقلة من السرياني إلى العربي، ابن النديم، الفهرست، ص٣٥٥، القفطي، أخبار العلماء، ص١٢٢.

[٧] ثابت بن قرة الحراني أبو الحسن : كان منجماً، ولد سنة (٢١١هـ/٨٢٧م) وتوفي زمن المعتضد سنة (٢٨٨ هـ/٩٠١م) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٢٩٥-٢٩٧، الزركلي، الأعلام، مج٢، ص٨١-٨٢.

[٨] ابن النديم، الفهرست، ص٣٠٤، شلبي، تاريخ التربية. ص١٦٤.

٣. النسّاخ :

ظهـرت الحاجـة إلى هؤلاء لعدم توافر الآلات التي تستخدم في الطباعة في تلـك الفترة المبكرة، الأمر الذي استوجب توفر عدد من النسّاخ للقيام بأعمال النسخ، وتوفـر المؤلفات بأكثر من نسخة، حفاظاً على المؤلفات من التلف والضياع، وكان يشترط في هؤلاء النساخ التقيد بأنظمة المكتبة، من حيث طريقة الكتابة ونوع الحبر ونـوع الأوراق، وعـدد الأسـطر، والتركيز على المؤلفات المهمة والمتداولة، كما يشترط فيهم الأمانة العلمية وجودة الخط[١].

وخصصـت أماكن معينة لهؤلاء النسّاخ، ويقومون بالنسخ مقابل الأجر، ومن أشـهر نسّـاخ بيـت الحكمة في تلك الفترة : علاّن الشعوبي[٢]، الذي عمل بالنسخ للرشيد والمأمون والبرامكة[٣]. وكان المترجم حنين بن إسحاق يستعين بالنساخ، فقد استعان بمحمد بن دينار[٤]، الذي عمل وراقاً ونساخاً له[٥].

وكانـت عمليات النسخ تتم في المكتبات الخاصة، فقد كان لمحمد بن عمر الواقـدي ناسخ وكاتب وهو محمد بن سعد[٦]، كاتب الواقدي. وكان عبد الوهاب بن عيسى بن أبي القاسم[٧] ناسخاً في مكتبة الجاحظ[٨].

---

[١] ابن النديم، الفهرست، ص١٢، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٢٨٠.

[٢] عـلان الشـعوبي : فارسي الأصل، كان ينسخ في بيت الحكمة عالماً بالأنساب والمثالب وله عدة مؤلفات، الصفدي، الوافي بالوفيات، مج١٩، ص٥٥٨.

[٣] ابن النديم، الفهرست، ص١١٨، أمين، ضحى الإسلام، مج٢، ص٦٢، العماوي، هارون الرشيد، ص٤٣.

[٤] محمد بن الحسن بن دينار أبو العباس : وراق لحنين بن إسحاق وشاعر، وله العديد من المؤلفات، ابن النديم، الفهرست، ص٨٧.

[٥] ابن النديم، الفهرست، ص٨٧، ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مج١٨، ص١٢٦.

[٦] محمد بن سعد أبو عبد الله : عالم الأخبار، توفي سنة (٢٣٠هـ/٨٤٥م) وألف العديد من المؤلفات في الأخبار والسير والفتوح، ابن النديم، الفهرست، ص١١١، الزركلي، الأعلام، مج٧، ص٦.

[٧] عـبد الوهـاب بن عيسى بن أبي القاسم: تعلم على العديد من العلماء توفي سنة (٣١٩هـ/٩٣١م) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١١، ص٣٠.

[٨] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١١، ص٣٠.

٤. **المجلدون :**

دور المجلدين مكمل لدور النساخ، حيث يتولى هؤلاء تجليد الكتب التي تنسخ باستخدام جلد مدبوغ شديد الجفاف، وتطور فن التجليد عند العرب المسلمين وظهرت الزخرفة والتذهيب، واشتهر المجلد الإسلامي بالدقة والإتقان وجمال الزخرفة، فكان ابن أبي الحريش من أشهر مجلدي بيت الحكمة زمن المأمون(١).

ويذكر الصولي أن الراضي طلب من خازن الكتب يوماً أن يحضر له ديواناً معيناً من الشعر، ولم يكن ذاك الديوان متوفراً، فاقترح الصولي على الخليفة الراضي بأن يتم توفير مثل هذه الدواوين والحفاظ عليها، وتجليدها على أيدي المجلدين(٢).

٥. **المناولون :**

يقوم هؤلاء بمساعدة الخازن، ويتولون مهمة إرشاد الطلبة والقرّاء إلى مواضع المؤلفات، وتعريف القرّاء بالمؤلفات ومساعدتهم على إحضارها من أماكنها كما يقومون بإعادتها إلى أماكنها بعد الفراغ منها. والمناول يكون على إطلاع كامل بأسماء المؤلفات ومواضيعها وأماكنها. كما وجد هناك شخص يقوم بمهمة توزيع الأوراق والحبر على النسّاخ والمجلدين. وهناك الفراشون الذين يتولون عمليات ترتيب وتنظيف أثاث المكتبة(٣).

وكانت المكتبات بحاجة إلى نفقات ورواتب للعاملين فيها، ويبدو أن الإنفاق عليها مرتفع، وبخاصة الترجمة، حيث أغلب النفقات عليها، فيذكر أن المأمون صرف لحنين بن إسحاق مقداراً من الذهب يساوي وزن ما ينقله أو يترجمه إلى العربية(٤). ويذكر أن حنيناً كان يترجم على ورق من النوع الثقيل، ويترك فراغاً كبيراً بين الأسطر، ويهدف إلى زيادة عدد الأوراق التي ينقل عليها وزيادة وزنها، وكان المأمون يرى ذلك ولا يعترض. وإن دل ذلك على شيء فيدل على رغبة

---

(١) ابن النديم، الفهرست، ص١٢.

(٢) أخبار الراضي بالله، ص٤٠، شلبي، تاريخ التربية، ص١٦٦-١٦٧.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١٤، ص١٥٥، ابن الجوزي، المنتظم، مج١٠، ص١٧٨، حسن، الدولة العباسية، ص٢٥١.

(٤) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٢٦٠، رفاعي، عصر المأمون، مج١، ص٣٧٧.

المـــأمون فـــي نقل الكتب وترجمتها بأي ثمن كان، أما النسّاخ فكانت رواتبهم تقدر بحوالي ألفي دينار شهرياً[1].

أمـــا المكتبات الخاصة، فيقوم أصحابها بالإنفاق عليها وعلى أعمال الترجمة فيها، فكان أبناء موسى بن شاكر يقدمون لإسحاق بن حنين وحبيش بن الحسن وثابت بـــن قـــرة خمسمائة دينار في الشهر، وذلك مقابل عمليات النقل والترجمة[2]، وتولى علي بن يحيى المنجم الإنفاق على مكتبته وعلى نفقات الطلبة الغرباء فيها[3].

ولـــم يكـــن النظام المتبع حديثاً في الفهرسة والإعارة معروفاً في تلك الفترة المبكرة، فكانت توضع المؤلفات على الرفوف فوق بعضها البعض في ترتيب خاص يعـــتمد على حجم المؤلفات، بحيث توضع المؤلفات الكبيرة الحجم أولاً ثم الصغيرة فوقهـــا، حتى لا تتساقط. وكان الموظفون يقومون بمساعدة الأشخاص الذين يبحثون عن المؤلفات، وكثيراً ما تتم الاستعانة بهم خاصة في المؤلفات النادرة والمخطوطات التي لا يمكن الحصول عليها بسهولة، بل بعد أخذ الأذن والموافقة من الموظفين في المكتبة أولاً. ويقوم نظام ترتيب هذه المؤلفات بناءً على فهارس معينة متعارف عليها فـــي بيت الحكمة، حيث يتم في هذه الفهارس توثيق المؤلفات المتوافرة في المكتبة، ويحفظ هذا الفهرس عند خازن بيت الحكمة[4].

وهكـــذا ســـاهمت مكتبة بيت الحكمة بدور بارز في النهضة العلمية والأدبية وتطويـــر العلوم بجميع فروعها من طب وفلك وكيمياء وفلسفة وآداب وغيرها، كما أســـهمت فـــي تنشـــيط حركـــة الترجمـــة، وأصبحـــت مثالاً يحتذى فيما بعد فـــي بـــنـــاء المكتبات في العالـــم الإسلامـــــي، ووصلت هـــذه المكتبة أوج ازدهارهـــا وتقدمهـــا زمـــن الرشيـــد والمأمـــون، إلا إن ذلك الازدهار سرعان ما أهمـــل خاصـــة بعـــد تولي المعتصم الخلافة، وانتقال العاصمة من بغداد إلى سامراء، وما رافق ذلك من فتن وحروب فيما بعد، خاصة زمن المستعين والمعتز. وكانت النهاية

---

[1] ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٢٨٤، أبو خليل، هارون الرشيد، ص١٧١.

[2] ابـــن الـــنديم، الفهرســـت، ص٣٠٤، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٢٦٠، الخضري بك، تاريخ الأمم الإسلامية، ص٢٢٠، أبو شريح، دراسات في علوم المكتبات، ص٤٢.

[3] ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مج١٥، ص١٥٧، عبد الباقي، معالم الحضارة العربية، ص٢٩١.

[4] الصولي، أخبار الراضي بالله، ص٣٩-٤٠.

المأساوية لتلك المكتبة عندما قام المغول بإحراقها وتدميرها بعد اجتياحهم لبغداد سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، وما رافق ذلك من تدمير وخراب[1].

[1] ابن كثير، البداية والنهاية، مج١٣، ص٢٢٦، لوبون، حضارة العرب، ص٢٢٣.

ثالثا: الكتاتيب

أولا: تعريف الكتّاب ونشأته

ثانيا: أنواع الكتاتيب:

أ- الكتّاب الخاص

ب- الكتّاب العام

ثالثا: المواد التي يتم تعليمها في الكتاتيب

أ- المواد الإجبارية

ب- المواد الاختيارية

رابعا: نظام الدوام في الكتاتيب

خامسا: الإشراف على الكتاتيب.

أولاً: تعريف الكتّاب ونشأته:

اخـتلف العلماء في المعنى الحقيقي للكتّاب، فقيل هو موضع التعليم للصبيان، وقال المبرد: إن المكتب هو موضع التعليم، والمكتّب هو معلم الصبيان[١].

والكـتّاب أشـبه بمدرسـة ابتدائـية، يتم فيها تعليم الصبيان عدداً من المواد الأساسـية كالقرآن الكريم والحديث الشريف واللغة العربية والقراءة والكتابة ومبادئ الحساب وغيرها[٢].

وقـد وجدت الكتاتيب منذ بداية العصر الإسلامي، فكان عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– قد أمر ببناء المكاتب لتعليم الصبيان فيها، وخصص نهاية الأسبوع أيـام عطـل واستراحة للصبيان، وسار ذلك فيما بعد إلى يومنا هذا[٣]. كما وجدت الكتاتيـب فـي العصر الأموي، وهذا يدل على أن الكتاتيب عرفت قبل بناء بغداد، ومنذ القرن الأول الهجري[٤].

كما كان للكتاتيب حضور بارز في العصر العباسي، حيث أن عددا من علماء وفقهاء العصر العباسي، تلقوا تعليمهم الأول في الكتاتيب، كالإمام الشافعي (ت ٢٠٤ هـــ/٨١٦م) الـذي قال: كنت يتيما ووضعتني أمي في الكتّاب[٥]. وبرزت الكتاتيب بشـكلها الحقيقي زمن الرشيد، الذي قام عماله ووزراؤه بإنشاء الكتاتيب، فيذكر أن يحـيى بـن خالد البرمكي أنشأ كتابا لتعليم الصبيان، وكان هذا الكتّاب يسمى كتّاب اليتامى[٦].

أمـا أماكن الكتاتيب، فكانت تلحق بداية بالمساجد إلى أن أمر الرسول –صلى الله علـيه وسـلم– بالحفاظ على المساجد وتنزيهها من الصبيان والمجانين الذين قد

---

(١) البستاني، محيط المحيط، ص٧٦٩.

(٢) التنوخي، الفرج بعد الشدة، مج٢، ص٥٩، ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٨١.

(٣) الكتاني، التراتيب الإدارية، مج٢، ص٢٠٠، معروف، أصالة الحضارة العربية، ص٣٥٣.

(٤) الجاحظ، البيان والتبيين، مج٢، ص٢٠٣، حسن، تاريخ الإسلام، مج٢، ص٢٩٧.

(٥) أمين، ضحى الإسلام، مج٢، ص٥١، حسن، الدولة العباسية، ص٢٣٨، الأبراشي، محمد، التربية الإسلامية وفلاسفتها، مصر، مطبعة عيسى البابي، ١٩٨٦م، ص١٧٣.

(٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١، ص١٢٧، العماوي، هارون الرشيد، ص٣٣.

يسودون جدرانها وينجسون أرضها، وتم بعد ذلك تخصيص أماكن معينة لتعليم الصبيان كالأسواق والحوانيت[1].

ثانيا: أنواع الكتاتيب:

أما الكتاتيب في العصر العباسي فكانت على نوعين:

أ- الكتّاب الخاص:

وجد هذا النوع من الكتّاب قبل الإسلام، ولكن انتشاره كان بطيئا، فعند مجيء الإسلام كان عدد الذين يعرفون القراءة والكتابة يقارب السبعة عشر رجلا[2]. ومكان هذا النوع من الكتّاب منازل العلماء، أو يتم تخصيص مكان يتم استعماله كمكان لتعليم الصبيان. فيذكر أن علقمة بن أبي علقمة كان له في زمن المنصور كتّاب يعلم فيه العربية والعروض والنحو[3]، وكذلك عبد الله بن سعيد كان له كتّاب يعلم فيه الصبيان سنة (٢٩٣هـ/٩٠٦م) [4]،وأبو إسحاق إبراهيم الزجاج له كتّاب لتعليم الصبيان في سنة (٣٠٢هـ/٩١٤م) [5].

ب- الكتّاب العام:

وجد هذا النوع من الكتّاب منذ صدر الإسلام، ويعلم فيه القرآن الكريم وكان مكانه في المسجد، ويتم فيه تعليم مبادئ الدين الإسلامي الجديد[6].

وفيما يتعلق بعمر الطالب الذي يسمح له بدخول الكتّاب، فيتراوح ما بين الخامسة والعاشرة، بحيث يصبح الطالب قادرا على اكتساب المعارف المختلفة، وما يؤيد ذلك قول بعض العلماء، حفظت القرآن وعمري ست أو سبع سنوات، وقد

---

[1] ابن الأخوة، المغبة والرغبة، ص٧١، التنوخي، الفرج بعد الشدة، مج٢، ص٥٩، الشيرزي، نهاية الرتبة، ص ١٠٣، ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٨١.

[2] البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٥٧، شلبي، تاريخ التربية، ص٤٤.

[3] ابن رسته، الأعلاق النفيسة، مج٧، ص٤١٦، أمين، ضحى الإسلام، مج٢، ص٥٠.

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٧، ص٥٤١، ابن كثير، البداية والنهاية، مج١١، ص١٠٧.

[5] الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، ص١٥.

[6] ابن كثير، البداية والنهاية، مج ١١، ص٢٧.

حفظه الشافعي (ت ٢٠٤هـ/٨١٦م) وعمره سبع سنوات[١]، وكان الإمام البخاري (ت ٢٥٦هـ/٨٧٠م) قد بقي في الكتّاب حتى سن العاشرة[٢].

ثالثاً: المواد التي يتم تعليمها في الكتّاب:

التعليم في الكتّاب لم يقتصر على تعليم القرآن الكريم فقط، بل كان يتم فيه تعليم مواد أخرى كثيرة كالنحو والعروض والأخبار[٣]. إلا أن القرآن الكريم أساسي، وأهم هذه المواد التي يتم تدريسها في الكتّاب. وقال ابن خلدون في هذا الصدد: "اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين، أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم، لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث. وصار القرآن أصل التعليم الذي يبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات، وسبب ذلك أن تعليم الصغر أشد رسوخاً، وهو أصل لما بعده لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات، وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال ما يبني عليه"[٤].

وقد درج العلماء على تقسيم المواد التي يتم تعليمها في الكتاتيب إلى نوعين:

أ- تعليم ديني:

وأولى هذه المواد القرآن الكريم، فهو المحور الأساسي في التعليم في الكتاتيب[٥].

ب-مواد اخرى:

وهي كثيرة ومتعددة، إلا أن أشهرها: الحديث[٦]

---

[١] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج٢، ص٦٠.

[٢] ابن الجوزي، المنتظم، مج١٢، ص١١٤، ابن كثير، البداية والنهاية، مج١١، ص٢٧.

[٣] الجاحظ، البيان والتبيين، مج١، ص٤٠٢، ابن سحنون، آداب المعلمين، ص١٠٢، الأبراشي، التربية الإسلامية، ص١٥٩.

[٤] ابن خلدون، المقدمة، ص٤٧٥.

[٥] التنوخي، الفرج بعد الشدة، مج٢، ص٥٩، ابن عبد ربه، العقد الفريد، مج٤، ص٤٢٤، ابن الجوزي، المنتظم، مج١٤، ص٣٦، المقدسي، البدء والتاريخ، مج٦، ص٩٢.

[٦] ابن الجوزي، المنتظم، مج١٢، ص١١٤، حسن، الدولة العباسية، ص٢٥٦.

والفقه[1] والأدب[2] والقراءة[3].

وكانت هذه المواد تختلف من منطقة إلى أخرى، وقد أفرد ابن خلدون فصلا كاملا للحديث عن موضوع تعليم الصبيان، واختلاف المواد التي يتم تعليمها من منطقة إلى أخرى فقال:

"فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله، واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب... أما أهل الأندلس فمذهبهم في تعليم القرآن والكتاب من حيث هو، وهذا هو الذي يراعونه في التعليم، إلا إنه لما كان القرآن أصل ذلك وأسه ومنبع الدين والعلوم جعلوه أصلا في التعليم، فلا يقتصرون لذلك عليه فقط، بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والترسل، وأخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتاب... أما أهل أفريقية فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب ومدارسة قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها... أما أهل المشرق فيخلطون في التعليم كذلك على ما بلغناه، ولا أدري بما عنايتهم فيها، والذي ينقل لنا أن عنايتهم بدراسة القرآن وصحف العلم وقوانينه في زمن الشبيبة، ولا يخلطون بتعليمهم الخط بل لتعليم الخط عندهم قانون ومعلمون له على انفراد، كما نتعلم سائر الصنائع ولا يتداولونها في مكاتب الصبيان، وإذا كتبوا لهم الألواح فبخط قاصر عن الإجادة"[4].

من خلال ما سبق، يمكن القول أن تعليم المواد في الكتّاب كانت تختلف من مكان لآخر، إلا إن السياسة العامة في تعليم هذه المواد في مختلف الأمصار تهدف إلى تقديم الأولويات في مواد التعليم، بحيث يتم تعليم القرآن بشكل أساسي، خاصة وأنه أساس اللغة العربية، ثم بعد ذلك يتم تعليم المواد الأخرى.

---

[1] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١٢، ص٤٠١.

[2] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١٢، ص٤٠١، معروف والدوري، موجز تاريخ الحضارة، ص١٥٢.

[3] ابن عبد ربه، العقد الفريد، مج٤، ص٤٢٤، عبد الرؤوف، الحواضر الإسلامية الكبرى، ص٢٤٣.

[4] المقدمة، ص٤٧٦، منير، محمد، التربية الإسلامية، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٧م، ص١٠١-١٠٢.

وكــان المعلمون في الكتّاب يستخدمون أساليب العقاب مع الصبيان كالضرب والحبس فالشاعر إبراهيم الموصلي (ت ١٢٥هـ/٧٤٢م) يُضرب ويحبس لعدم إقباله علــى التعليم[1]، وصوّر الشاعر أبو نواس (ت ١٦٩هـ/٧٨٥م) أساليب العقاب في الكتّاب بأبيات من الشعر فقال:

إننـــي أبصـــرتُ شخصـــا	قـــد بـــدا مـــنهُ صـــدودا
جالســـا فـــوق مكتـــب حفـــص	وحوالـــــيه عبـــــيدُ
ذاك فـــي مكتـــبِ حفـــصٍ	إن حفصـــــاً لســـــعيدُ
قـــال حفـــصٌ اجلـــدوهُ	إنـــهُ عـــندي بلـــيدُ[2]

(مجزوء الرمل)

وكــان معلــم الكتّاب يوقع العقوبات حتى مع أبناء الأمراء والخلفاء، فقد قال الرشــيد يومــا لمؤدب ولده: "قومه ما استطعت بالقرب والملاينة، فأن أباهما فعليك بالشدة والغلظة"[3].

نلاحــظ مــن خلال ما سبق أن الرشيد وضع العقوبة البدنية والشدة والغلظة كآخــر وسيلة يلجأ إليها المعلم مع الصبيان في الكتّاب، بل يجب على المعلم أولا أن يحــاول قدر الإمكان التجربة بالوسائل السلمية الأفضل بالقرب والملاينة من العقوبة البدنية.

وقــد تطرق ابن خلدون إلى موضوع الشدة مع المتعلمين بكثير من التفصيل، مبيــنا الآثــار الســلبية التــي قــد تنعكس على الأطفال الذين يتعرضون إلى الشدة والإرهــاق الجســدي، فقال في ذلك: إن الإرهاق الجسدي للأطفال وخاصة صغار الســن، قــد يــؤدي إلى غياب نشاط الطفل، ومن ثم كسله ولجوئه إلى الكذب، وقد يصــبح الكــذب عادة راسخة في نفس الطفل، ويقف ذلك حائلاً دون اكتساب الطفل

---

[1] الأصفهاني، الأغاني، مج٥، ص١٥٧.

[2] أمين، ضحى الإسلام، مج٢، ص٥١، اسماعيل، معاهد التربية، ص١٨٩.

[3] ابن خلدون، المقدمة، ص٤٧٨، الأبراشي، التربية الإسلامية، ص١٥٣.

للخلق الجميل والفضائل، وذلك لخوفه من القهر والعسف لأنه إذا رفع عنه القهر قد يسلك طريق الرذائل، ويبتعد عن الفضائل[1].

وكـــان الآبـــاء وأولياء الأمور يطلبون من المعلمين تأديب أبنائهم وتوجيههم، ولو لجأ المعلم إلى الضرب، فقد طلب القاضي شريك[2] من معلم ولده تأديبه ولو لجأ إلى استعمال الضرب معه، فقال في ذلك أبياتا من الشعر وجهها إلى معلم ولده:

وإذا هممـــت بضـــربه فـــبدرةٍ   وإذا ضـــربت بهـــا ثلاثا فـــأحبس[3]

(الكامل)

---

[1] ابن خلدون، المقدمة، ص٤٧٧.

[2] القاضي شريك بن عبد الله الكوفي؛ ولد ببخارى سنة (٩٥هـ/٧١٣م) وتوفي سنة (١٧٧هـ/٧٩٣م) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج٩، ص٢٨٠-٢٩٠، الزركلي، الأعلام، مج٣، ص٢٣٩.

[3] الجاحظ، الحيوان، مج٢، ص٨٤-٨٥.

خامسا: الإشراف على الكتاتيب:

ويشرف المحتسب على الكتاتيب وكل ما يتعلق بها من مكان إنشائها ومعلمي الكتاتيب وصبيان الكتاتيب، والمناهج التي يتم تعليمها فيها، فيشرف على المكان الذي يتم اتخاذه كتابا، بحيث يلزم المعلم بعدم اتخاذ المسجد مكانا لتعليم الصبيان، لأنهم قد ينجسون أرض المسجد أو يسودون جدرانه، بل يجب أن تتخذ أماكن خاصة لذلك[١].

ويشترط في المعلم أن يكون مؤهلا لتعليم الصبيان، بحيث يكون أميناً ولديه معرفة بالحروف وأشكالها ومبادئ الحساب وآيات القرآن[٢]. وكان المعلم ملزما بنظام معين في التعليم يتدرج به في تعليم الصبيان، بحيث يبدأ بتعليمهم الحروف وضبطها أولا، ثم تعليمهم قصار السور، والعقائد والسنن، وبعد ذلك يعلمهم أساسيات الحساب وبعض المراسلات والأشعار[٣].

أما الصبي الذي يبلغ عمره سبع سنوات يأمره المعلم بتعليم الصلاة، ويعلمه بر الوالدين وطاعتهم والآداب العامة في الأفعال والأقوال[٤]. ويلزم المعلم بعدم ضرب الصبيان بالعصا الغليظة التي قد تكسر العظم، ولا الرقيقة التي قد تؤلم الجسم، بل تكون وسطاً. كما يلزم المعلم بعدم ضرب الصبيان في الأماكن التي قد تسبب لهم ألماً كالرأس، بل في أماكن أخرى كأسافل القدمين[٥]. وإذا ضربه فلا يجوز أن يضربه أكثر من ثلاثة أسواط[٦].

ويلزم المحتسب المعلم بعدم إساءة التعامل مع الصبيان، واستخدامهم في حوائجه الخاصة وعدم إرسالهم إلى داره وهي خالية، وذلك لإبعادهم عن مواضع

---

(١) ابن الأخوة، المغبة والرغبة، ص٧١، التنوخي، الفرج بعد الشدة، مج٢، ص٥٩، الشيرزي، نهاية الرتبة، ص ١٠٣، ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٨١.

(٢) الشيرزي، نهاية الرتبة، ص١٠٣، ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٨١.

(٣) الشيرزي، نهاية الرتبة، ص١٠٣، ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٨١.

(٤) الشيرزي، نهاية الرتبة، ص١٠٣، ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٨٢.

(٥) ابن الأخوة، المغبة والرغبة، ص٧١، الشيرزي، نهاية الرتبة، ص١٠٤، ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٨٢.

(٦) الجاحظ، الحيوان، مج٢، ص٨٤-٨٥، ابن خلدون، المقدمة، ص١٠٧.

الشـبهات، ولا يرسـل صـبيا مـع امرأة يكتب لها كتابا، ولا يعلم الخط لامرأة أو جارية[1].

أما الشخص المكلف بأخذ الصبيان إلى الكتّاب وإعادتهم إلى بيوتهم بعد انتهاء الـدوام فيشترط فيه أن يكون ثقة أمينا[2]، ويلزم المحتسب المعلم بعدم تعليم الصبيان الأشـعار التي تتعارض مع الدين والسياسة، بل يعلمهم ما صلح من الشعر، وخاصة الأشعار التي قيلت في مدح الصحابة[3].

لقـد قامت الكتاتيب في بغداد في العصر العباسي بدورها التعليمي والتربوي، وكانـت أشـبه بالمدارس الابتدائية في وقتنا الحاضر، إلى أن تم إنشاء المدارس في سنة (٤٥٩هـ/١٠٦٧م) [4].

[1] ابن الأخوة، المغبة والرغبة، ص٧١، الشيرزي، نهاية الرتبة، ص١٠٤، ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٨٢.

[2] الشيرزي، نهاية الرتبة، ص١٠٤، ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٨٢.

[3] الشيرزي، نهاية الرتبة، ص١٠٤-١٠٥، ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٨٢-١٨٣.

[4] ابن الجوزي، المنتظم، مج١٦، ص١٠٠، المقريزي، خطط المقريزي، مج٣، ص٤٣٧، غوانمة، تاريخ نيابة بيت المقدس، ص١٤٩-١٥٠.

رابعا: حوانيت الوراقين

أولا: نشأة حوانيت الوراقين.

ثانيا: دور حوانيت الوراقين في الحياة الأدبية.

ثالثا: دور حوانيت الوراقين في الحياة الاقتصادية والدينية.

أولاً: نشأة حوانيت الوراقين:

كانت حوانيت الوراقين قائمة منذ تأسيس الدولة العباسية، يتم فيها بيع وشراء ونسخ الكتب وتجليدها[1]. وقد انتشرت حوانيت الوراقين في الدولة العباسية بشكل كبير، ويعود انتشارها إلى اختراع الورق وانتشار استعماله في الدولة العباسية، بخاصة في عهد الخليفة هارون الرشيد والمأمون، فصناعة الورق في الدولة العباسية دخلت زمن الرشيد ويقول ابن خلدون في هذا الصدد :

"كانت العناية قديماً بالدواوين العلمية والسجلات في نسخها وتجليدها وتصحيحها بالرواية والضبط، وكان سبب ذلك ما وقع من ضخامة الدولة وتوابع الحضارة، وقد ذهب ذلك لهذا العهد بذهاب الدولة وتناقص العمران بعد أن كان منه في الملة الإسلامية بحر زاخر بالعراق والأندلس، أذ هو كله من توابع العمران واتساع نطاق الدولة، ونفاق أسواق ذلك لديهما، فكثرت التأليف العلمية والدواوين... ثم طما بحر التأليف والتدوين وكثر ترسيل السلطان وصكوكه وضاق الرق عن ذلك، فأشار الفضل بن يحيى بصناعة الكاغد وصنعه وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه، واتخذه الناس من بعده صحفاً لمكتوباتهم السلطانية والعلمية"[2].

نلاحظ من ذلك أن صناعة الورق في الدولة العباسية عرفت زمن الخليفة هارون الرشيد وباقتراح من الفضل بن يحيى، ومما يدل على انتشار صناعة الورق في بغداد بشكل كبير، وجود طريق في بغداد يعرف بدرب القراطيس[3].

وعرف المسلمون صناعة الورق في أعقاب معركة نهر طلس التي دارت بين العرب والصينيين سنة (١٥٣هـ/٧٥١م) والتي انتصر فيها العرب، ووقع في أيديهم عدد من الأسرى الصينيين الذين تم إسكانهم في مدينة سمرقند، وقد تعلم

---

[1] ابن خلدون، المقدمة، ص٣٥٢، أمين، ضحى الإسلام، مج٢، ص٢٤، الخازن، الحضارة العباسية، ص٧٦.

[2] عريب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ص٧١، ابن خلدون، المقدمة، ص٣٥٣، حمادة، محمد، ماهر، المكتبات في الإسلام، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٨، ط٢، ص٧٢-٧٣.

[3] أمين، ضحى الإسلام، مج٢، ص٢٢، عبد الرؤوف، الحواضر الإسلامية الكبرى، ص٢٤١، العلي، بغداد، مج١، ص٢٢٢.

المســلمون صناعة الورق من هؤلاء الأسرى. وانتشرت بعد ذلك صناعة الورق في العالم الإسلامي، وصارت سمرقند يضرب بها المثل في صناعة الورق والكاغد[1].

وظهرت نتيجة لذلك مهنة الوراقة وحوانيت الوراقين، وتم تأسيس أول مصنع للــورق في بغداد سنة (١٧٩هــ/٧٩٤م)، وانتشرت هذه الصناعة فيما بعد في جميع أنحــاء بغــداد، فكانــت محلــة طاق الحراني[2] في بغداد مكاناً يتم فيه بيع وشراء المؤلفــات[3]، حــتى إنه في سنة (٢٧٩هــ/٨٩٤م) كان في بغداد سوق يشتمل على حوالي مائة مكتبة أو حانوت يتم فيه بيع الكتب وشراؤها، ويسمى سوق الوراقين[4]، وكان في سوق الحلاويين ما يقارب من الاثني عشر ألف مجلد[5].

ولــم تكن هذه الحوانيت عبارة عن أماكن يتم الاتجار فيها فقط، بل كانت لها أدوار متعددة: أدبية واقتصادية ودينية وغيرها.

ثانياً: دور حوانيت الوراقين في الحياة الأدبية:

كانــت لحوانيت الوراقين في بغداد أبعاد ثقافية وأدبية، فهي عبارة عن مكان يلتقــي فيه العلماء والأدباء والشعراء، وتتم فيه المناقشات والمناظرات بين العلماء، ويمكــثون فيه لفترات طويلة، وأشهر علماء وأدباء وشعراء وفقهاء العصر العباسي بــائعو كتــب وأصــحاب حوانيــت فــي دكاكيــن الوراقيــن. فالإمــام أبو حنيفة (ت ١٥٠هــــ/٧٦٧م) كان بائعاً للخز ويتشاغل بالعلم في الوقت نفسه[6]، والشاعر أبــو العتاهــية (ت ٢١١هــــ/٨٢٥م) يملك حانوتاً يؤدي أدواراً تجارية وثقافية في الوقــت ذاتـــه، فكان حانوته عبارة عن مكان للبيع والشراء وملتقى للعلماء والأدباء

---

[1] ابن الفقيه، البلدان، ص٢٥١، مجهول، حدود العالم، ص٨٤، الثعالبي، ثمار القلوب، مج٢، ص٧٨٢.

[2] طاق الحراني : محلة تقع بالجانب الغربي من بغداد، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص٥.

[3] ابن النديم، الفهرست، ص١٦٧.

[4] اليعقوبي، البلدان، ص٣٥، ابن رستة، الأعلاق النفيسة، مج٧، ص٣٤٥، كمال الدين، بغداد مركز العلم، ص ١٢٨.

[5] ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص٢٨، الحسني، بغداد قديماً وحديثاً، ص١٠٣.

[6] التوحيدي، البصائر والذخائر، مج٥، ص٤٣، عبد الرؤوف، الحواضر الإسلامية الكبرى، ص٢٤٣.

والشعراء في الوقت نفسه [1] والجاحظ (ت ٢٥٥هـ/٨٦٩م) يقصد دكاكين الوراقين ويبيت فيها للإطلاع والبحث والتأليف[2]، والمحدث أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة يحدث في سنة (٣٣٢هـ/٩٤٣م) في حوانيت الوراقين[3]، وأحمد بن السري الرفا[4]، يرفو في سوق البزازين، ويعمل في الوراقة والنسخ في الوقت نفسه [5]، ويذكر أن أبا الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ/٩٦٧م) كان يجمع رواياته من حوانيت الوراقين[6].

ثالثاً: دور حوانيت الوراقين في الحياة الاقتصادية والدينية:

كان لحوانيت الوراقين أبعاد في الحياة الاقتصادية والدينية، فكانت حرفة الوراقة بالنسبة لكثير من بائعي الكتب مصدر عيش، يتم فيها نسخ الكتب مقابل قدر معين من الأجر[7]. ومما يؤيد ذلك ما ذكره المؤرخون من قصة الوراقين مع زكريا بن يحيى الفرّاء، فعندما فرغ الوراقون من نسخ كتاب "المعاني" قرروا نسخه للناس مقابل درهم عن كل خمسة أوراق، فشكا الناس من ذلك للفرّاء، فسأل الوراقين عن ذلك، فقالوا: بأنهم يريدون أن يكسبوا من وراء نسخه للناس، فأخبرهم بأنه سيملي كتابه على الناس للتخلص من احتكار الوراقين له، فقالوا له : نحن نملي للناس كل عشر أوراق بدرهم[8]، وكان الوراقون الذين يعملون لدى الخلفاء في مهنة الوراقة يصرف لهم راتباً مقداره مائة دينار في الشهر[9].

---

(1) الأصفهاني، الأغاني، مج٤، ص٩.

(2) ابن النديم، الفهرست، ص١٣٠، صقر، مطلع العصر العباسي الثاني، ص١٦٤.

(3) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج٥، ص٢١٩.

(4) السرّي الرفا : أحمد بن الحسن الكندي الشاعر المشهور، مدح سيف الدولة الحمداني وعمل في النسخ والوراقة، ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٢، ص٣٥٩.

(5) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مج١٠، ص١٨٥.

(6) ابن النديم، الفهرست، ص١٥٨، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١١، ص٣٩٨.

(7) ابن النديم، الفهرست، ص٨٧، ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مج١٨، ص١٢٦.

(8) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١٤، ص١٥٥، ابن الجوزي، المنتظم، مج١٠، ص١٧٨.

(9) الصابئ، الوزراء، ص٢٢، الخضري بك، تاريخ الأمم الإسلامية، ص٣١٧، حتاملة، المعتمد، ص٨٩.

كما كانت لها أدوار دينية، فتعقد فيها المناظرات الدينية بين العلماء والفقهاء، وكان الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤٠هـ/٨٥٦م) يقوم برواية الأحاديث في حوانيت الوراقين، وتتم فيها مناقشة الأمور المتعلقة بالناحية الدينية[١].

ويمكــن أن نشــبه هذه الحوانيت بأسواق العرب قبل الإسلام كسوقي: عكاظ وذي المجــاز، التــي كانــت مــتعددة الأغراض، حيث تتم فيها المناظرات الأدبية والخطــب وإنشــاد الأشــعار، إضافة إلى الأهداف الاقتصادية، تعقد فيها الصفقات الــتجارية، إلا أن الفارق بين هذه وتلك إن أسواق العرب قبل الإسلام كانت أسواقاً موسمية، أما حوانيت الوراقين فكانت أسواقاً دائمة وليست موسمية.

[١] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١١، ص١٣٧، الصقار "دور المجالس والحلقات" ص٢٨٨.

الخاتمة

بعد هذه الدراسة للمؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية في بغداد في العصر العباسي، يمكن أن نستخلص النتائج التالية :

١. عرف العرب المسلمون المؤسسات بأنواعها المختلفة منذ وقت مبكر من العصر الإسلامي، إلا إن هذه المؤسسات ظهرت بشكلها الواضح في فترات متأخرة من حيث : البناء والتنظيم والإدارة ومساهمتها في خدمة المجتمع الإسلامي.

٢. اهتم خلفاء بني العباس بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية لرعيتهم وعززوا ذلك بإنشاء المؤسسات المختلفة، حيث وضعت العديد من خططها وتم بناؤها منذ بناء بغداد. كما اهتم الخلفاء بالجانب الإداري لهذه المؤسسات على أكمل وجه من حيث : الموظفون والنفقات وغير ذلك.

٣. خضعت المؤسسات بأنواعها المختلفة إلى الإشراف الحكومي، وذلك عن طريق المحتسب وأعوانه وغلمانه، حيث وضعت أسس وقواعد وشروط يجب مراعاتها والتقيد بها في المؤسسات كافة، سواء فيما يتعلق ببناء هذه المؤسسات أو سير عملها وعمل الموظفين فيها، ومدى تأديتها دورها في الحياة العامة.

٤. ساهمت هذه المؤسسات بدور كبير في خدمة المجتمع الإسلامي، فالمؤسسات الاقتصادية كالأسواق خدمت التجارة الداخلية والخارجية، كما كان لهما أدوار في الحياة العامة، سواء أكانت سياسية أو اجتماعية أو أدبية لا تقل أهمية عن دورها الاقتصادي.

٥. كـــان للخانـــات والقياســر الوكـــالات دورٌ بـــارزٌ في خدمة التجارة الداخلية والخارجــية، كما إنها لم تخلُ من بعض الأدوار في الحياة العامة من اجتماعية وأدبية ودينية وغيرها.

٦. للمؤسســـات الاجتماعــية دورٌ كبيرٌ في خدمة المجتمع الإسلامي، فالحمامات عـــلاوة على أدوارها الاجتماعية في العصر العباسي، فقد قامت بأدوار أخرى مـــتعددة وبخاصـــة في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية، كما عكست بعض العادات والتقاليد في المجتمع العباسي، وعكست بعض الأدبيات.

٧. ســـاهمت البيمارستانات بدور كبير في معالجة المرضى في العصر العباسي، وبالإضـــافة إلـــى الجانب العلاجي ساهمت بنشر العلم والمعرفة، فكانت أشبه بكلـــيات الطـــب في العصر الحاضر، يتم فيها تدريس العلوم والمعرفة الطبية بنوعيها العلمية والنظرية.

٨. بالإضافة إلى الجانب الاجتماعي الذي قدمته السجون للعديد من فئات المجتمع، فقـــد لعبـــت دوراً بارزاً في الحياة السياسية والاقتصادية، حيث تتم الاستعانة بالســـجناء فـــي كثـــير من الأحيان كجند غير نظاميين في أثناء الاضطرابات والفتـــن التـــي تعـــود إلى أسباب سياسية واقتصادية، وكثيراً ما ساهمت بدور إيجابي في حل مثل هذه الأزمـــات.

٩. كمـــا لعبت المؤسسات التعليمية دوراً بارزاً في الحياة العامة، فالمساجد علاوة علـــى وظيفـــتها الدينية ساهمت بدور بارز في الحياة العلمية، وذلك من خلال الحلقـــات التعليمـــية المتخصصة بالعديد من أنواع العلم والمعرفة، كما لعبت أدواراً أخـــرى، فكانـــت عـــبارة عـــن أماكـــن اعتصـــام فـــي حالات الفتن والاضـــطرابات التي تعود إلى أسباب سياسية واقتصادية، وكثيراً ما ساهمت بـــدور إيجابـــي فـــي حـــل مـــثل هذه الأزمات، ولعبت دوراً مهماً في الحياة الاجتماعية، فكانت عبارة عن أماكن للقضاء والفصل بين الخصوم.

١٠. ساهمت المكتبات بأنواعها المختلفة بنشر العلم والمعرفة، وشجعت حركة الترجمة وتطوير العلوم بمختلف فروعها، كما ساهمت الكتاتيب وحوانيت الوراقين بدور بارز في الحياة العلمية والأدبية، فكانت الكتاتيب أشبه بالمدارس الابتدائية في وقتنا الحاضر، وكانت حوانيت الوراقين أشبه بالأسواق الأدبية.

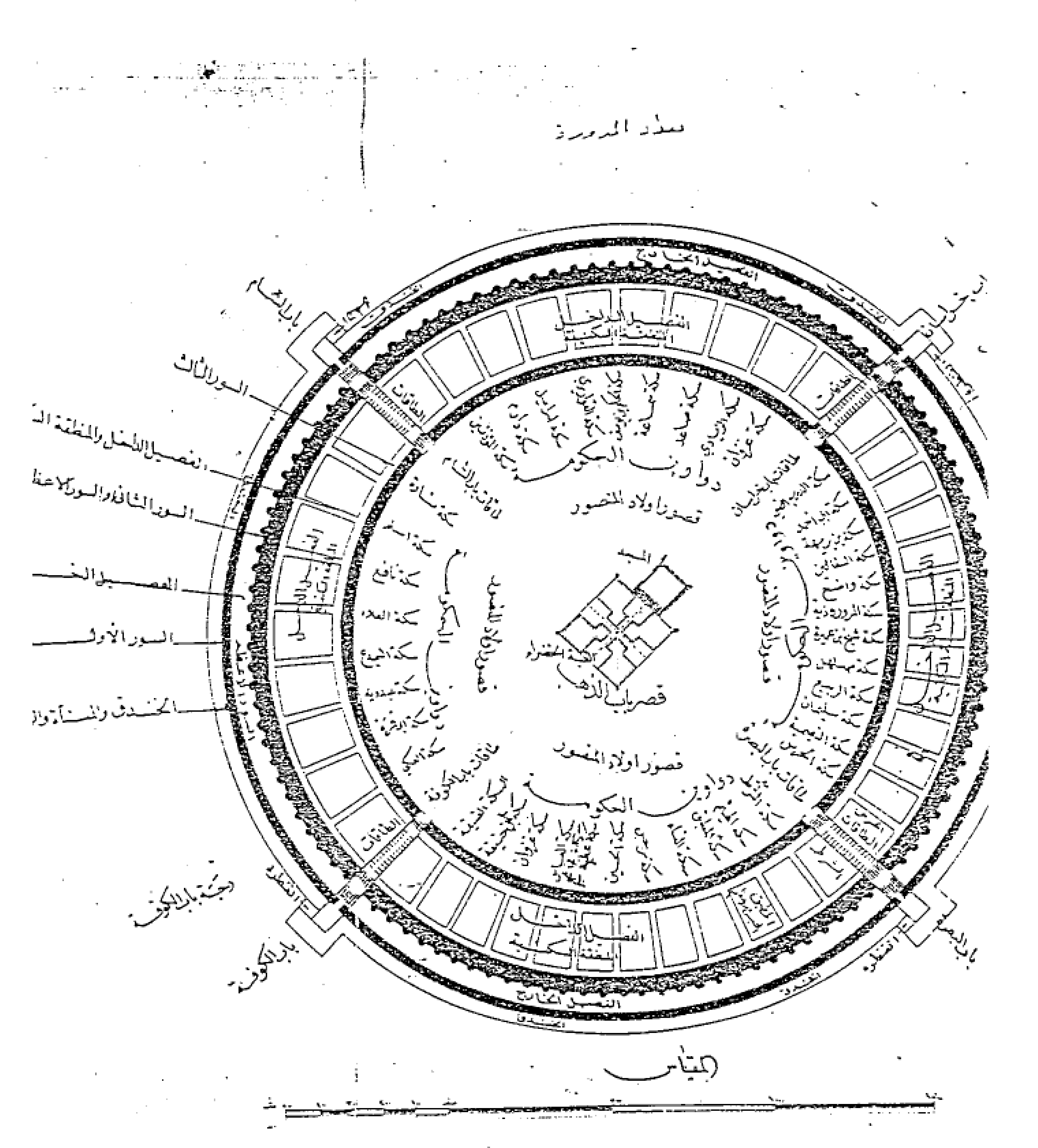
١١. يعتبر العصر العباسي عصر التقدم والازدهار الحضاري للدولة العباسية، فكانت الحياة الاقتصادية موضع اهتمام الخلفاء العباسيين، حيث شجعوا الزراعة والصناعة والتجارة وأنشأوا المؤسسات الاقتصادية في كل ناحية ومحلة في بغداد، لخدمة التجارة الداخلية والخارجية، كما كانت الحياة الاجتماعية موضع اهتمام خلفاء بني العباس، فأنشأوا المؤسسات الاجتماعية في أنحاء بغداد كافة ، وعملوا على النهوض بالحركة العلمية والأدبية، وتشجيع العلماء والأدباء والطلبة، حتى أصبحت بغداد في العصر العباسي مركزاً اقتصادياً واجتماعياً وعلمياً مرموقاً، وأصبحت قبلة التجار والعلماء والأدباء والطلبة والمسافرين والغرباء.

١٢. يمكن القول أن الحضارة الإسلامية اهتمت بالفرد اهتماماً كبيراً، وهذا الاهتمام وهذه العناية هي ترجمة لبعض تعاليم الإسلام والعقيدة الإسلامية التي تحث على النهوض بالفرد، وتقديره واحترامه.

ملحق رقم (١)

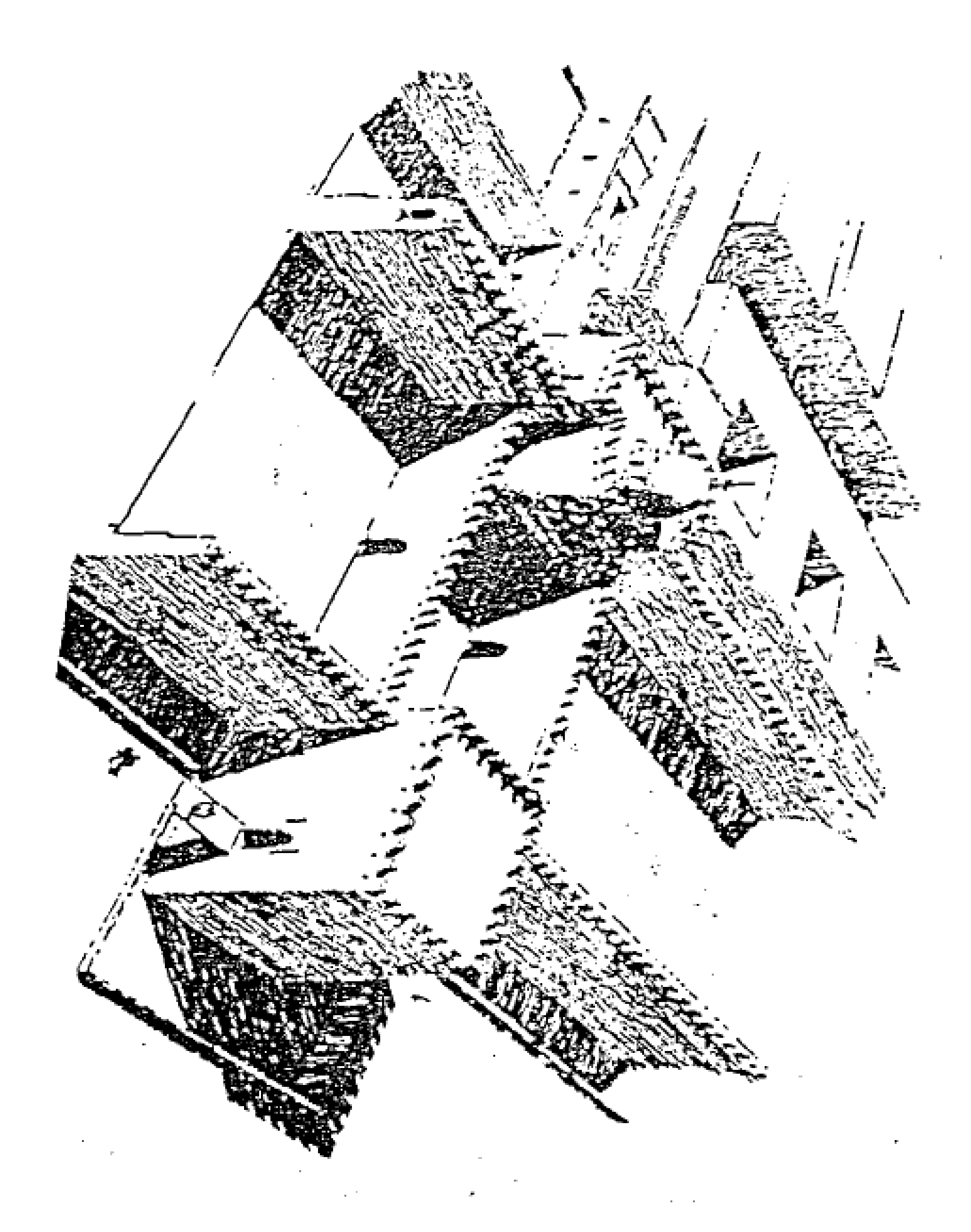
الخلفاء العباسيون في العراق حتى بداية العصر البويهي :

١. السفاح، عبد الله بن محمد بن علي:	١٣٢هـ-١٣٦هـ/٧٤٩م-٧٥٤م.
٢. المنصور، أبو جعفر عبد الله بن محمد:	١٣٦هـ-١٥٨هـ/٧٥٤م-٧٧٥م.
٣. المهدي، محمد بن عبد الله:	١٥٨هـ-١٦٩هـ/٧٧٥م-٧٨٥م.
٤. الهادي، موسى بن محمد :	١٦٩هـ-١٧٠هـ/٧٨م-٧٨٦م.
٥. الرشيد، هارون بن محمد:	١٧٠هـ-١٩٣هـ/٧٨٦م-٨٠٩م.
٦. الأمين، محمد بن هارون:	١٩٣هـ-١٩٨هـ/٨٠٩م-٨١٣م.
٧. المأمون، عبد الله بن هارون:	١٩٨هـ-٢١٨هـ/٨١٣م-٨٣٣م.
٨. المعتصم، إبراهيم بن هارون:	٢١٨هـ-٢٢٧هـ/٨٣٣م-٨٤٢م.
٩. الواثق، هارون بن المعتصم:	٢٢٧هـ-٢٣٢هـ/٨٤٢م-٨٤٧م.
١٠. المتوكل، جعفر بن المعتصم:	٢٣٢هـ-٢٤٧هـ/٨٤٧م-٨٦١م.
١١. المنتصر، محمد بن جعفر المتوكل:	٢٤٧هـ-٢٤٨هـ/٨٦١م-٨٦٢م.
١٢. المستعين، أحمد بن المعتصم:	٢٤٨هـ-٢٥١هـ/٨٦٢-٨٦٦م.
١٣. المعتز، محمد بن جعفر المتوكل:	٢٥١هـ-٢٥٥هـ/٨٦٦م-٨٦٩م.
١٤. المهتدي، جعفر بن هارون الواثق:	٢٥٥هـ-٢٥٦هـ/٨٦٩م-٨٧٠م.
١٥. المعتمد، أحمد بن جعفر المتوكل:	٢٥٦هـ/٢٧٩هـ/٨٧٠م-٨٩٢م.
١٦. المعتضد، أحمد بن جعفر المتوكل:	٢٧٩هـ-٢٨٩هـ/٨٩٢م-٩٠٢م.
١٧. المكتفي، علي بن أحمد المعتضد:	٢٨٩هـ-٢٩٥هـ/٩٠٢م-٩٠٨م.
١٨. المقتدر، جعفر بن أحمد المعتضد:	٢٩٥هـ-٣٢٠هـ/٩٠٨م-٩٣٢م.
١٩. القاهر، محمد بن أحمد المعتضد:	٣٢٠هـ-٣٢٢هـ/٩٣٢م-٩٣٤م.
٢٠. الراضي، محمد بن جعفر المقتدر:	٣٢٢هـ-٣٢٩هـ/٩٣٤م-٩٤٠م.
٢١. المتقي، إبراهيم بن جعفر المقتدر:	٣٢٩هـ-٣٣٣هـ/٩٤٠م-٩٤٤م.
٢٢. المستكفي، عبد الله بن علي المكتفي:	٣٣٣هـ-٣٣٤هـ/٩٤٤م-٩٤٦م.



بغداد المدورة
قصر باب الذهب
القبة الخضراء
قصور اولاد المنصور
قصور اولاد المنصور
دواوين الحكومة
دواوين الحكومة
باب الشام
باب خراسان
باب الكوفة
باب البصرة
السور الثالث
السور الاول
الطاقات
الطاقات
الفصيل الخارج
الفصيل الخارج
الفصيل الداخل
الفصيل الداخل
الخندق
القياس

ملحق رقم (٢)

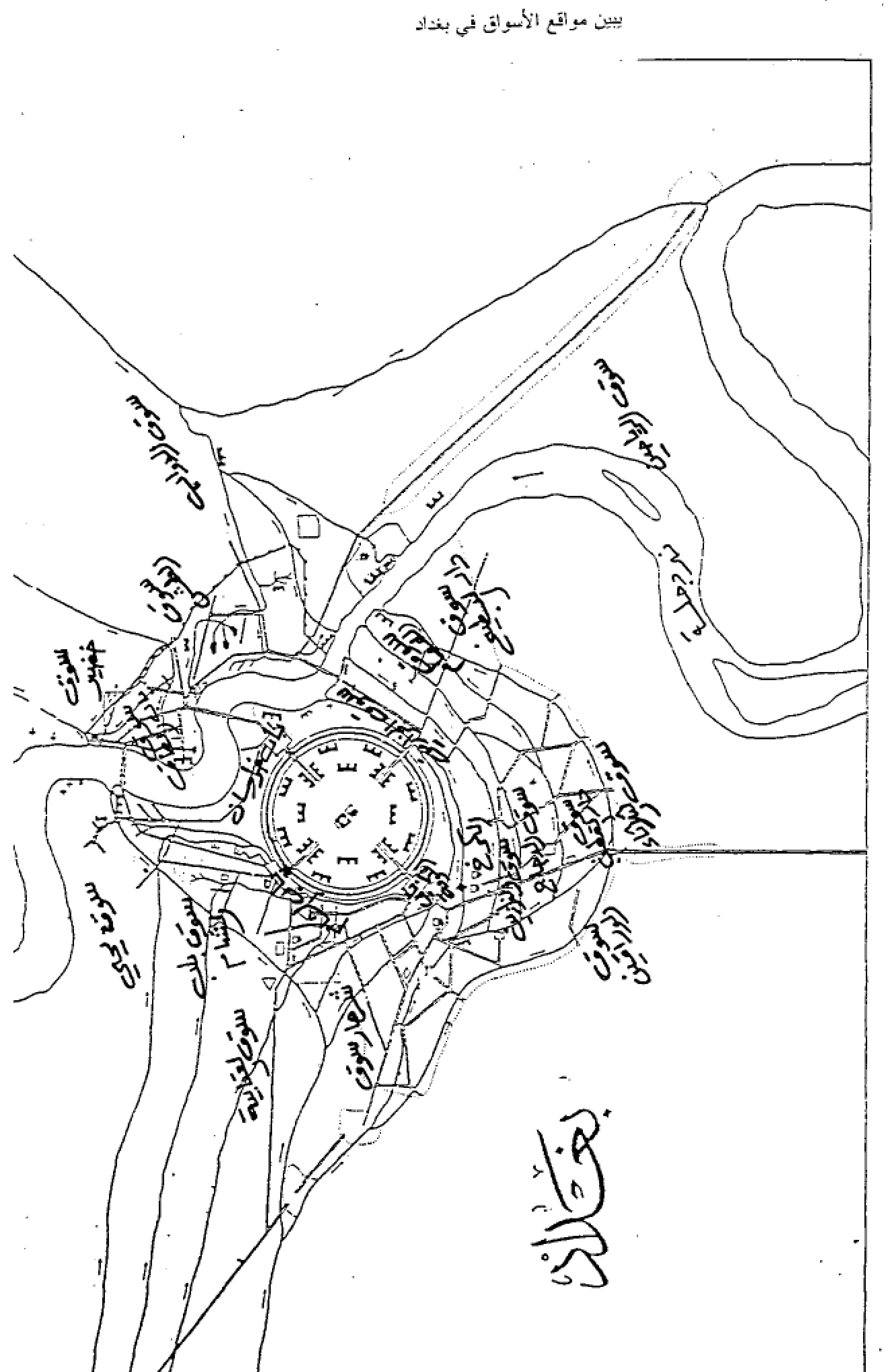


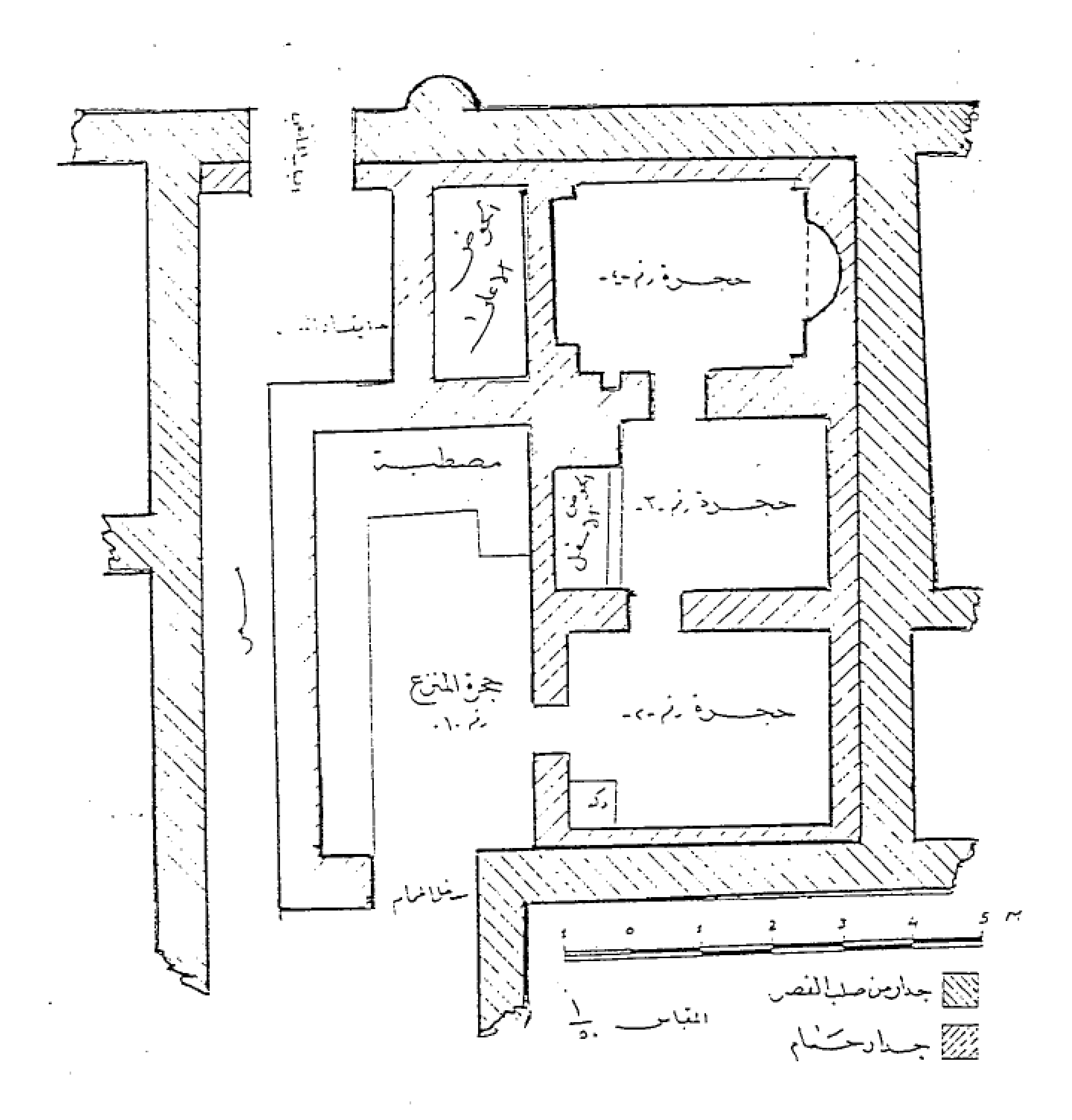
ملحق رقم (٣)

تصوير لمدخل أسوار بغداد المدورة كما جاء من كتاب شريف يوسف،
تاريخ فن العمارة العربية

ملحق رقم (٤)

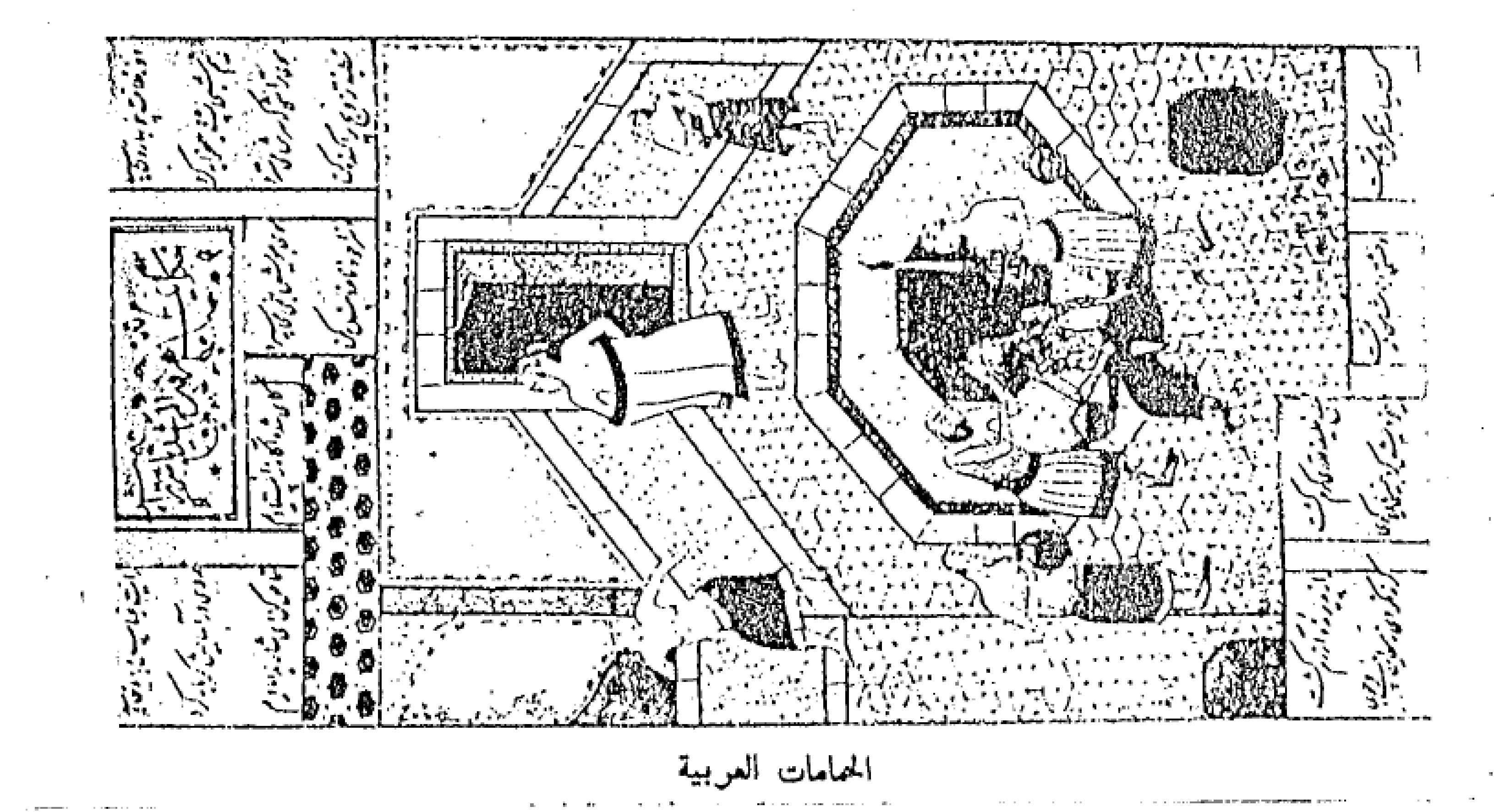
يبين مواقع الأسواق في بغداد





ملحق رقم (٥)

يمثل هذا الملحق مخطط حمام قصر الأخيضر الذي يعود تاريخه إلى العصر العباسي الأول
من كتاب شريف يوسف، تاريخ فن العمارة العراقية



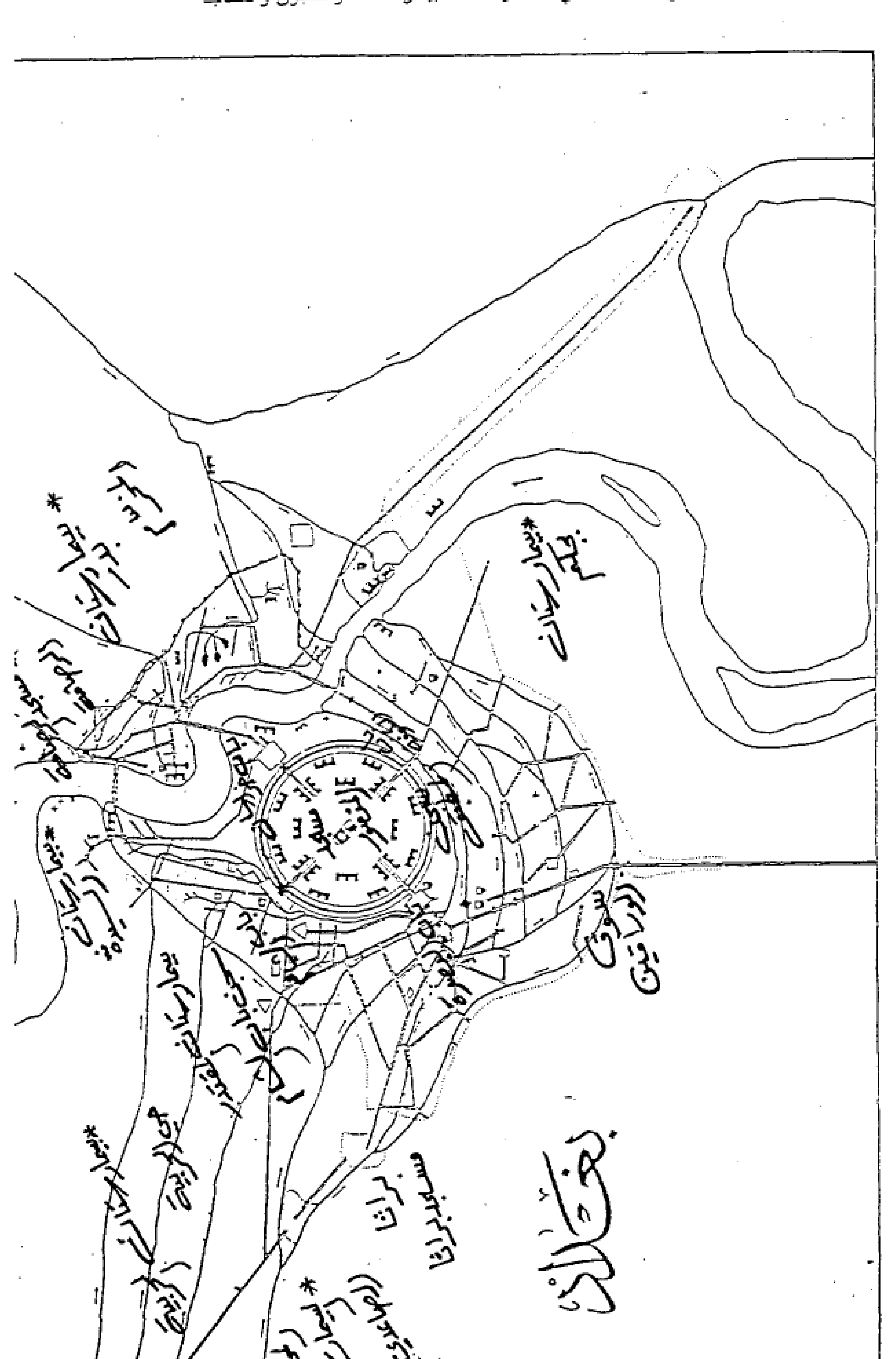
الحمامات العربية

ملحق رقم (٦)

كما جاء من كتاب زيغريد هونكة، شمس العرب

ملحق رقم (٧)

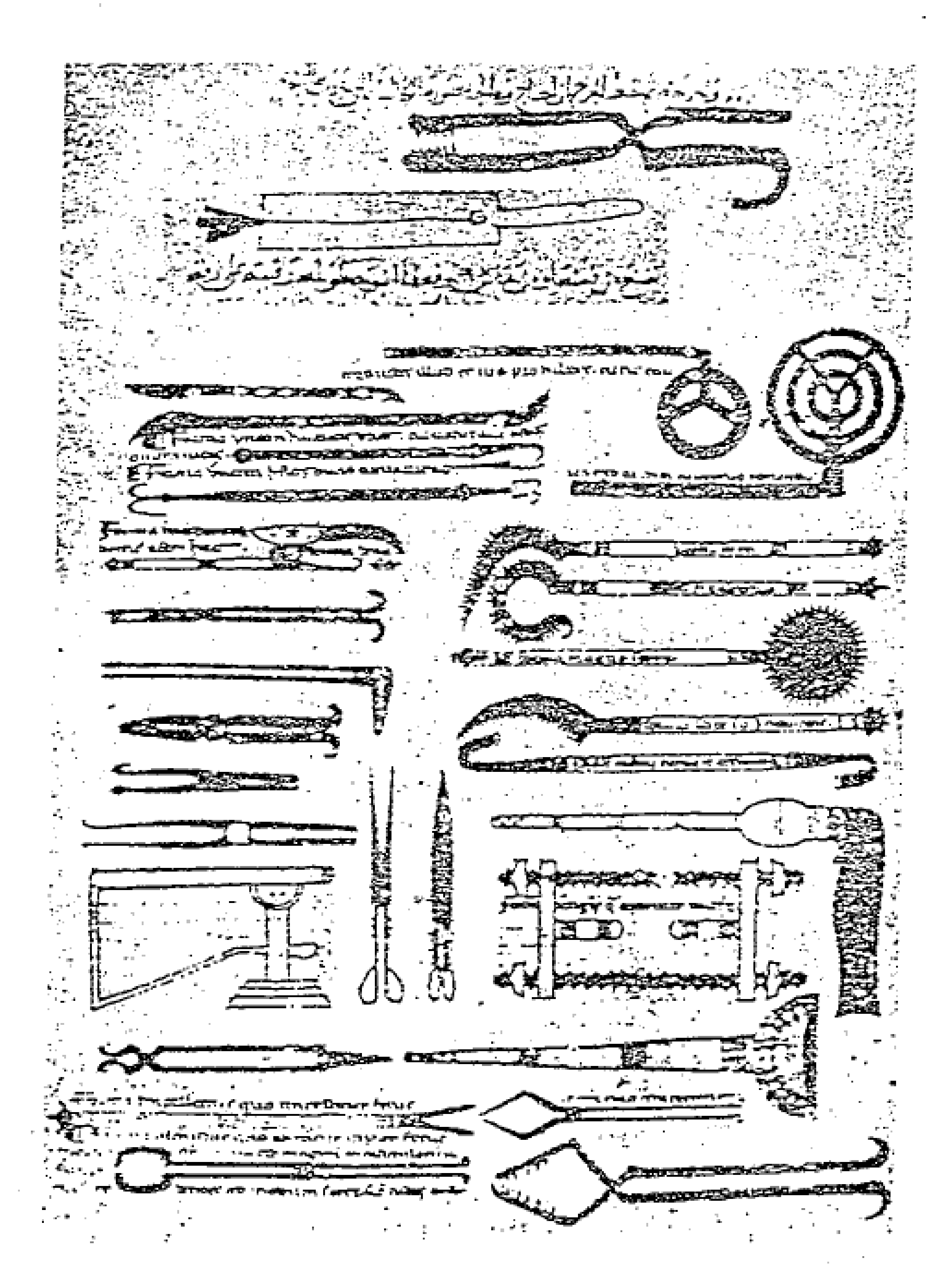
يبين هذا الملحق مواقع المؤسسات في بغداد وخاصة البيمارستانات والسجون والمساجد



ملحق رقم (٨)

يبين هذا الملحق بعض ادوات الجراحة عند العرب من كتاب حنيفة الخطيب،
الطب عند العرب

24	23	22	21	20	19
جفت	مجحف	مكواة موضع الشعر	مكواة الغرب	مكواة الصدغين	مكواة اليافوخ
30	**29**	**28**	**27**	**26**	**25**
جركان وابرة	انبوبة الناله	مبهت مجوف	مبهت مدور	سكين تعرف بالشوكة	ذات الشعيرة
36	**35**	**34**	**33**	**32**	**31**
حلقة	كلبتان نصولية	مجحف دقيق	رصاص التثقيل	مسعط وقرن	دهق التشمير



ملحق رقم (٩)

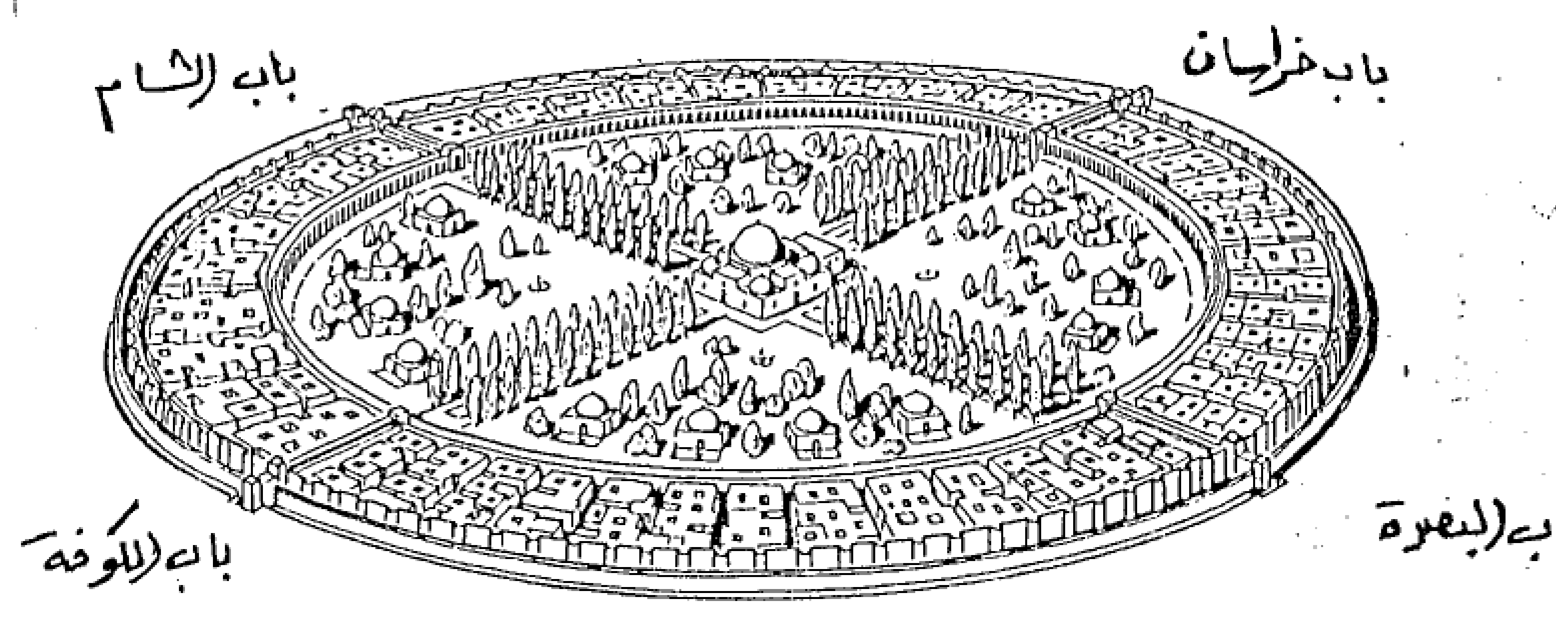
يمثل بعض أدوات الجراحة عند العرب من كتاب زيغريد هونكة،

شمس العرب

ملحق رقم (١٠)

يمثل هذا الملحق بعض أدوات الكحالة وطب العيون عند العرب من كتاب حنيفة الخطيب، الطب عند العرب

1	2	3	4	5	6
ـ	مقراض	كاز بمعنى المقص	قاثات	قمادين	صنانير
	8	9	10	11	12
ـة	نصف ورده	حربة	آسة	طبر	موسى
	14	15	16	17	18
ـرط	مجراد	مبضع مدور الرأس	منجل	منقاش	ملقط



مدينة المنصور (بغداد) مدينة السلام القصر والمسجد في منتصف المدينة المدورة

ملحق رقم (١١)

من كتاب شريف يوسف، تاريخ فن العمارة

٨. ابـن الأخوة، محمد بن أحمد القرشي (ت ٧٢٩هـ/١٣٢٧م)، معالم القربة في أحكـام الحسـبة، تعلـيق إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م، ط١.

٩. الأربلـي، عـبد الرحمـن بن سنبط (ت ٧١٧هـ/١٣١٧م)، خلاصة الذهب المسبوك، تصحيح مكي السيد جاسم، بغداد، مكتبة المثنى، د.ت.

١٠. الأزدي، جمـال الديـن أبو الحسن علي بن منصور (ت٦١٣هـ/١٢١٦م)، أخـبار الدولـة المـنقطعة، تحقيق عصام هزايمة وآخرون، إربد، مؤسسة حمادة، دار الكندي للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م.

١١. الأصـطخري، أبـو إسحاق إبراهيم الفارسي الكرخي (ت٣٤١هـ/٩٥٢م)، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال، الجمهورية العربية المتحدة، دار القلم، ١٩٦١م.

١٢. الأصـفهاني، أبـو الفـرج علي بن الحسين بن محمد (ت٣٥٦هـ/٩٦٧م)، الأغاني، القاهرة، دار إحياء التراث، ١٩٦٣م.

١٣. ـــــــ ، مقاتل الطالبيين، تحقيق أحمد صقر، بيروت، دار المعرفة، د.ت.

١٤. ابـن أبي أصيبعة، موفق الدين أحمد (ت٦٦٨هـ/١٢٧٠م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٦٥م.

١٥. البخاري، الإمام عبد الله بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ/٨٧٠م)، صحيح البخاري، وضع فهارسه محمد نزار وهيثم نزار، بيروت، دار الأرقم، ١٩٩٥م.

١٦. ابـن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إبراهيم اللواتي (ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)، رحلـة ابـن بطوطـة المسماة تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، بيروت، دار التراث، ١٩٦٨م.

١٧. الـبلاذري، أحمـد بـن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)، فتوح البلدان، بيروت، دار الكتب، ١٩٩١م.

١٨. الـبلوي، عـبد الله بـن محمـد المدني (ت٣٣٠هـ/٩٤١م)، سيرة أحمد بن طولون، تحقيق محمد كرد علي، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية ١٩٧٠م.

١٩. البيهقي، إبراهيم بن محمد (ت٤٧٠هـ/١٠٧٧م)، المحاسن والمساوئ، تحقيق محمد سويد، بيروت، دار إحياء العلوم، ١٩٨٨م،ط١.

٢٠. ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن الأتابكي (ت٨٤٧هـ/١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تعليق محمد حسين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م.

٢١.، التنوخي، أبو علي المحسن بن علي (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م)، الفرج بعد الشدة، تحقيق عبود الشالجي، بيروت، دار صادر، ١٩٧٨م، ط١.

٢٢. ـــــ، نشواز المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجي، بيروت، دار صادر، ١٩٧١م.

٢٣. التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (ت٣٨٧هـ/٩٩٧م)، الإمتاع والمؤانسة، تصحيح خليل منصور، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م، ط ١.

٢٤. ـــــ، البصائر والذخائر، تحقيق وداد القاضي، بيروت، دار صادر، ١٩٨٨ م، ط١.

٢٥. الثعالبي، أبو منصور عبد الله البشاري (ت ٤٢٩هـ/١٠٨٣م)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق إبراهيم صالح، دمشق، دار البشائر،١٩٩٤م، ط١.

٢٦. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م)، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، مطابع الدجوى، ١٩٧٥م.

٢٧. ـــــ، التبصر بالتجارة في وصف ما يستطرف في البلدان من الأمتعة الرقيقة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٤ م، ط٣.

٢٨. ـــــ، الحيوان، مصر، مكتبة مصطفى الباني، ١٩٦٥م، ط٤.

٢٩. ـــــ، رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٦٥م.

٣٠. ابـن جبير، محمد بن أحمد الأندلسي (ت٦١٤هـ/١٢١٧م)، رحلة ابن جبير، بيروت، دار الهلال، ١٩٨١م.
٣١. ابـن جلجـل، أبـو داؤود سليمان بن جلجل الأندلسي (ت٣٠٠هـ/٩١٢م)، طـبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، ١٩٥٥م.
٣٢. الجهشياري، أبو عبد الله بن عبدوس (ت٣٣١هـ/٩٤٢م)، الوزراء والكتّاب، تحقيق مصطفى الصقا وآخرون، القاهرة، مطبعة مصطفى الباني، ١٩٣٨م.
٣٣. ابـن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن (ت٥٩٧ هـ/١٢٠١م)، مناقب بغداد، بغداد، مطبعة دار السلام، ١٣٤٢هـ.
٣٤. ــــــــ، المنـتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عطا ومصطفى عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م، ط١.
٣٥. الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ/١٠٠٢م)، الصحاح، تحقيق أحمد عطّار، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٤م، ط٣.
٣٦. ابـن الحـاج، محمد بن محمد (ت٧٣٧ هـ/١٣٣٦م)، المدخل، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٢م، ط٢.
٣٧. الحنبلي الفراء، محمد بن الحسن (ت ٤٥٧هـ/١٠٦٧م)، الأحكام السلطانية، تعليق محمد الفقي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م.
٣٨. ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت ق ٤هـ/١٠م)، صورة الأرض، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ١٩٩٠م.
٣٩. الخطيـب الـبغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، تاريخ بغـداد أو مديـنة السلام، تحقيق مصطفى عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م، ط١.
٤٠. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، تاريخ ابن خلدون كـتاب العـبر وديـوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م.
٤١. ــــــــ، مقدمة ابن خلدون، مصر، المطبعة الأزهرية، ١٩٣٠م.

٤٢. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٦٩م.

٤٣. الدمشقي، أبو الفضل جعفر بن علي (ت ق٦هـ/١٢م)، الإشارة إلى محاسن التجارة وغشوش المدلسين فيها، تعليق محمد الأرناؤوط، بيروت، دار صادر، ١٩٩٩م.

٤٤. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ/١٣٤٨م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٩١م، ط٢.

٤٥. ابن رستة، أحمد بن عمر (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، الأعلاق النفيسة، ليدن، بريل، ١٨٩١م.

٤٦. السبكي، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب (ت٧٧١هـ/١٤١٤م)، طبقات الشافعية الكبرى، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٠م، ط٢.

٤٧. ابن سحنون، محمد بن عبد الله (ت٢٨٩هـ/٩٠١م)، آداب المعلمين، تونس، دار الكتب الشرقية، ١٩٧٢م.

٤٨. ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد الزهري (ت٢٣٠هـ/٨٤٥م)، الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر، ١٩٨٥م.

٤٩. ابن سينا، الحسين بن عبد الله بن علي (ت٤٢٨هـ/١٠٧٢م)، القانون في الطب، بيروت، دار صادر، ١٩٨٨م.

٥٠. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين، مصر، مطبعة السعادة، ١٩٥٢م، ط١.

٥١. الشيرزي، عبد الرحمن بن نصر (ت٥٨٩هـ/١١٩٣م)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق الباز العريني، بيروت، وزارة الثقافة، ١٩٨١م، ط٢.

٥٢. الصابئ، أبو الحسن هلال بن المحسن (ت٤٤٨هـ/١٠٥٦م)، الوزراء، تحقيق عبد الستار فراج، د.م، دار إحياء الكتب العلمية، ١٩٥٨م.

٥٣. الصـــفدي، صلاح الدين خليل أيبك (ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م)، الوافي بالوفيات، فرانز شتاينز، فيسبادون، ١٩٧٤م.
٥٤. الصـــولي، محمد بن يحيى بن عبد الله (ت٣٣٥هـ/٩٤٦م)، أخبار الراضي بالله والمتقي بالله، نشر هيودن ون، بيروت، دار المسيرة، ١٩٧٩م، ط٢.
٥٥. المؤلف نفسه، أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، نشر هيودن ون، بيروت، دار المسيرة، ١٩٧٩م، ط٢.
٥٦. الطـــبري، محمـــد بـــن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار المعارف، ١٩٦٧م.
٥٧. ابـــن الطقطقا، محمد بن علي بن طباطبا (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، بيروت، دار صادر، ١٩٦٦م.
٥٨. ابـــن طيفور، أبو الفضل أحمد بن طاهر الكاتب (ت٢٨٠هـ/٨٩٣م)، بغداد، ترجمة زاهد الكوثري، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٤م، ط١.
٥٩. ابـــن عـــبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م)، العقد الفريد، شرح وتصحيح أحمد أمين وآخرون، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٣م.
٦٠. ابـــن العماد الحنبلي، شهاب الدين عبد الله بن أحمد (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، شـــذرات الذهـــب في أخبار من ذهب، تحقيق محمد الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، دمشق، دار ابن كثير، ١٩٨٦م، ط١.
٦١. ابن الفقيه الهمذاني، أبو بكر أحمد بن محمد (ت٢٩٠هـ/٩٠٢م)، بغداد مدينة السلام، تحقيق صالح العلي، العراق، وزارة الإعلام، ١٩٧٧م، ط١.
٦٢. ـــــــــ، مختصر البلدان، ليدن، بريل، ١٩٦٧.
٦٣. ابن قتيبة، محمد بن عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م)، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، دمشق، دار الكتب، ١٩٦٠م.
٦٤. القرطبـــي، عريب بن سعد (ت٣٦٦هـ/٩٧٦م)، صلة تاريخ الطبري، ليدن، بريل، ١٨٩٧م.
٦٥. القزويني، زكريا بن محمد (ت٦٨٢هـ/١٢٨٢م)، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، ١٩٩٠م.

٦٦. القفطـــي، جمال الدين أبو الحسن علي القاضي (ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، مصر، مطبعة السعادة، ١٣٢٦هـ.
٦٧. القلقشـــندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة، ١٩٦٣م.
٦٨. ابـــن كثـــير، أبـــو الفداء عماد الدين إسماعيل (ت٧٧٤هـ/١١٧٣م)، البداية والنهاية في التاريخ، تحقيق عبد الوهاب فتيح، القاهرة، دار الحديث، ١٩٩٤م.
٦٩. المـــاوردي، أبـــو الحســـن علي بن محمد بن حبيب (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م، ط ١.
٧٠. المتنبـــي، أبـــو الطيب أحمد بن الحسن الكندي الكوفي (ت٣٥٤هـ/٩٦٦م)، ديوان أبي الطيب المتنبي، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٦م، ط١.
٧١. مجهـــول (ت٣٧٢هـ/٩٨٤م)، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق يوسف الهادي، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، ١٩٩٩م، ط١.
٧٢. مجهـــول (ت٤٨١هـ/١٠٨٩م)، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، تحقيق عمر السعيدي، النجف، مطبعة النعمان، ١٩٧٢م.
٧٣. المســـعودي، أبـــو الحســـن علي بن المحسن (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، التنبيـــه والإشراف، ليدن، بريل، ١٩٦٧م.
٧٤. ــــــــــ، مـــروج الذهـــب ومعـــادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٨٨م.
٧٥. مسكويه، أحمد بن محمد (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ١٩٩٠م.
٧٦. مســـلم، الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ/٨٧٥م)، بيروت، دار ابن حزم، ١٩٩٥م، ط١.
٧٧. المقدســـي، شـــمس الديـــن أبو عبد الله البشاري (ت٣٨٧هـ/٩٩٧م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٨٠م.

٧٨. المقدسـي، طاهـر بن المطهر (ت٣٥٥هـ/٩٦٦م)، البدء والتاريخ، ترجمة كلمان هوار، باريز، د.ن، ١٨٩٩م.

٧٩. المقريـزي، تقـي الديـن أحمـد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، المواعظ والاعتـبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٨٨م.

٨٠. المـناوي، عـبد الـرؤوف (ت١٠٣١هـ/١٦٢١م)، النزهة الزهية في أحكام الحمام الشرعية والطبية، تحقيق عبد الحميد صالح، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٨٧م، ط١.

٨١. ابـن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٩٧٠م.

٨٢. الميدانـي، أبـو الفضـل أحمد بن محمد النيسابوري (ت٥١٨هـ/١١٢٤م)، مجمـع الأمثال، تحقيق محمد عبد الحميد، بيروت، المطبعة العصرية،١٩٩٢ م.

٨٣. ابـن النجار، الحافظ محب الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين (ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م)، ذيل تاريخ بغداد، تحقيق مصطفى عبد القادر، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٧٧م.

٨٤. ابـن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب بن إسحاق الوراق (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م)، الفهرست، تحقيق رضا تجدد، طهران، د.ن، ١٩٧١م.

٨٥. النعيمـي، عـبد القـادر بن محمد (ت٩٧٨هـ/١٥٧٠م)، الدارس في تاريخ المدارس، بيروت، دار الكتب، ١٩٩٥م.

٨٦. الـنويري، شـهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، نهاية الأرب فـي فنون الأدب، تحقيق أحمد كمال، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م.

٨٧. الهمدانـي، أحمد بن عبد الملك (ت٥٢١هـ/١١٧٣م)، تكملة تاريخ الطبري، تحقيق ألبرت كنعان، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦١م، ط٢.

٨٨. ابــن وادران، حســين بن محمد (ت١١٧٢هــ/١٧٦٧م)، تاريخ العباسيين، تحقيق المنجي الكعبي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م، ط١.

٨٩. يــاقوت الحمــوي، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي (ت٦٢٦هــ/١٢٢٨م)، معجم الأدباء، بيروت، دار المستشرق، ١٩٢٢م.

٩٠. ـــــــــ، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ١٩٩٥م، ط١.

٩١. اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن واضح (ت٢٨٤هــ/٨٩٨م)، البلدان، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م.

٩٢. ـــــــــ، تاريخ اليعقوبي، بيروت، دار صادر، د.ت.

٩٣. أبــو يوســف، يعقوب بن إبراهيم القاضــي (ت١٨٢هــ/٧٩٧م)، الخراج، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٩م.

ثالثا: المصادر الأجنبية المترجمة:

٩٥. التطلــي، بنيامين (ت٥٦٩هــ/١١٧٣م)، رحلة بنيامين، تحقيق عزار حداد، بغداد، المدرسة الوطنية، ١٩٥٤م.

رابعا: المراجع العربية:

١. الأبراشــي، محمد، التربية الإسلامية وفلاسفتها، مصر، مطبعة عيسى البابي، ١٩٨٦م.

٢. أبــيض، أنــيس، بحوث في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، لبنان، جروس بروس، ١٩٩٤م.

٣. إسماعيل، سعيد، معاهد التربية الإسلامية، القاهرة، دار الفكر العربي،١٩٨٦م.

٤. الأقرطجــي، رمزية، بناء بغداد في عهد أبي جعفر المنصور، النجف، مطبعة النعمان، ١٩٧٥م.

٥. أمين، أحمد، ضحى الإسلام، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٤م، ط٨.

٦. أميــن، حســين "المــدارس الإسلامية في العصر العباسي وأثرها على تطوير التعليم" فصل ضمن كتاب بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٣م.

٧. الأنباري، عبد الرزاق، منصب قاضي القضاة في الدولة العباسية، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٧م، ط١.

٨. البدري، عبد اللطيف، "التعليم الطبي في الإسلام" مقالة ضمن كتاب التربية العربية الإسلامية، عمان، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت، ١٩٩٠م.

٩. ــــــــ، الطب عند العرب، العراق، وزارة الثقافة والفنون، ١٩٧٨م.

١٠. البستاني، بطرس، محيط المحيط، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧٧م.

١١. البكري، عادل "خزائن الكتب في عصر الحضارة العربية ومصيرها عبر العصور المختلفة" فصل ضمن كتاب بغداد مدينة السلام، بغداد، مركز إحياء التراث، ١٩٩٠م.

١٢. جواد، مصطفى وسوسة، أحمد، دليل خارطة بغداد في خطط بغداد قديماً وحديثاً، العراق، مطبعة المجمع العلمي الملكي، ١٩٥٨م.

١٣. الحاج، حسين، حضارة العرب في العصر العباسي، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٩٤م، ط١.

١٤. أبو حبيب، سعدي، مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٢م.

١٥. حتاملة، عبد الكريم، البنية الإدارية للدولة العباسية في القرن الثالث الهجري، عمان، د.ن، ١٩٨٥م.

١٦. ــــــــ، المعتمد في خلافة المعتضد بالله العباسي، عمان، جمعية عمان للمطابع التعاونية، ١٩٨٤م، ط١.

١٧. حتي، فيليب، تاريخ العرب، بيروت، دار غندور، ١٩٧٤م، ط٥.

١٨. حسن، إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، بيروت، دار الجيل، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٦م، ط١٤.

١٩. حسن، نبيله، تاريخ الدولة العباسية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٩م.

٢٠. الحسني، عبد الرزاق، العراق قديماً وحديثاً، صيدا، مطبعة العرفان، ١٩٥٨ م، ط٣.

٢١. الحسني، عبد الرزاق والدوري عبد العزيز، بغداد، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٤م.

٢٢. حمادة، محمد ماهر، المكتبات في الإسلام، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٨ م، ط٢.

٢٣. ــــــ، الوثائق السياسية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٦٧م.

٢٤. الخازن، وليم، الحضارة العباسية، بيروت، دار المشرق، ١٩٩٢م، ط٢.

٢٥. الخربوطلي، علي، الحياة الاجتماعية في بغداد منذ نشأتها حتى نهاية العصر العباسي الأول، بغداد، مطبعة الجامعة، ١٩٨٢م، ط١.

٢٦. الخضري بك، محمد، تاريخ الأمم الإسلامية، د.م، دار الفكر العربي، ١٩٧٠م.

٢٧. الخطيب، حنيفة، الطب عند العرب، بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٨٨م.

٢٨. الخطيب، ياسين، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام، بغداد، دار منشورات البصري، ١٩٦٨م.

٢٩. أبو خليل، شوقي، الحضارة العربية الإسلامية، دمشق، دار الفكر، ١٩٩٤م.

٣٠. ــــــ، هارون الرشيد، دمشق، دار الفكر، ١٩٨١م، ط٣.

٣١. الدجاني، باسم "المستشفيات في الحضارة الإسلامية" مقالة ضمن كتاب جوانب علمية في الحضارة الإسلامية، تحرير عبد القادر عابد وعز الدين الخطيب التميمي، عمان، جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية، ١٩٨٤م.

٣٢. الدوري، عبد العزيز، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، بيروت، دار المشرق، ١٩٧٤م، ط٢.

٣٣. ــــــ، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، بغداد، مطبعة السريان، ١٩٤٥م.

٣٤. ــــــ، العصر العباسي الأول، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨٨م، ط٢.

٣٥. ــــــ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨٧م، ط٥.

٣٦. الديوه جي، سعيد، الموجز في الطب، الكويت، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ١٩٨٩م، ط١.

٣٧. الراوي، طه، بغداد مدينة السلام، د.م، دار المعارف، د.ت.

٣٨. أبـو الـرب، صلاح، الطب والصيدلة عبر العصور، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩١م.

٣٩. رجـب، غـازي، العمارة العربية في العصر الإسلامي في العراق، بغداد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ١٩٨٩م.

٤٠. رفاعي، أحمد، عصر المأمون، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٢٧م، ط ١.

٤١. الرفاعـي، أنـور، الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والفنية، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٦م، ط٣.

٤٢. رمضـان، أحمد، حضارة الدولة العباسية، القاهرة، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية، ١٩٧٨م.

٤٣. الـريحاوي، عـبد القادر، العمارة الإسلامية خصائصها وآثارها في سورية، دمشق، منشورات وزارة الثقافية، ١٩٧٩م.

٤٤. الزركاني، خليل "الأسواق في بغداد" فصل ضمن كتاب بغداد مدينة السلام، بغداد، مركز احياء التراث، ١٩٧٩م.

٤٥. الزركلي، خير الدين، الأعلام، د.م، د.ن، ١٩٦٥م.

٤٦. زكار، سهيل، الجامع في أخبار القرامطة، دمشق، دار إحسان، ١٩٨٧م، ط٣

٤٧. زواهـرة، تيسـير "طرق التجارة والحج في بلاد الشام في العصر العباسي" مقالـة ضـمن كتاب بلاد الشام في العصر العباسي، عمان، مطبعة الجامعة الأردنية، ١٩٩٢م.

٤٨. زيـادة، نقولا، الحسبة والمحتسب في الإسلام، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٣١م.

٤٩. زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٦٧م.

٥٠. الـزيود، محمـد، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للعالم العربي الإسلامي، دمشق، منشورات جامعة دمشق، ٢٠٠١م.
٥١. سـالم، عـبد العزيـز، دراسات في تاريخ العرب والعصر العباسي الأول، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٣م.
٥٢. سـامح، كمـال الديـن، العمارة في صدر الإسلام، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م.
٥٣. السـامرائي، حسام الدين، المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية، د.م، دار الفكر العربي، ١٩٨٣م.
٥٤. سرور، محمد جمال، تاريخ الحضارة الإسلامية في المشرق، د.م، دار الفكر العربي، ١٩٦٥م.
٥٥. سـعد، فهمي، العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجريين، بيروت، دار المنتخب العربي، ١٩٩٣م، ط١.
٥٦. السـعيد، عـبد الله، المستشـفيات الإسلامية من العصر النبوي إلى العصر العثماني، عمان، دار الضياء، ١٩٨٧م، ط١.
٥٧. سـليمان، سوسـن، آثارنـا الإسـلامية، العمارة في صدر الإسلام والعصر العباسي الأول، القاهرة، دار نهضة الشرق، ٢٠٠٠م، ط١.
٥٨. شاكر، خليل "التطور التاريخي لمدينة بغداد بعد مرحلة التأسيس" فصل ضمن كتاب بغداد في التاريخ، بغداد، جامعة بغداد، ١٩٩٥م.
٥٩. أبو شريخ، شاهر، دراسات في علوم المكتبات، عمان، دار صفاء، ٢٠٠٠م.
٦٠. شـلبي، أحمـد، تاريخ التربية الإسلامية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٠م، ط٧.
٦١. الشـيخلي، صـباح، الأصناف في العصر العباسي، بغداد، وزارة الأعلام، ١٩٧٦م.
٦٢. الصـقّار، منـير الدين، تاريخ التعليم عند المسلمين، ترجمة سامي الصقار، الرياض، دار المريخ، ١٩٨١م.

٦٣. ـــــــ، "دور المجالس والحلقات في النظام التربوي حتى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي" مقالة ضمن كتاب التربية العربية الإسلامية، عمان، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت، ١٩٨٩م.

٦٤. صقر، نادية، مطلع العصر العباسي الثاني، السعودية، دار الشروق،١٩٨٣م.

٦٥. أبو طالب، نجيب، الصراع الاجتماعي في الدولة العباسية، تونس، دار المعارف للطباعة والنشر، ١٩٩٠م.

٦٦. عاشور، سعيد عبد الفتاح وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، مصر، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦م.

٦٧. العبادي، أحمد مختار، دراسات في التاريخ العباسي والأندلسي، بيروت، دار النهضة، ١٩٧١م.

٦٨. عبد الباقي، أحمد، معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩١م، ط١.

٦٩. عبد الدايم، عبد الله، التربية عبر التاريخ، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٤ م، ط٥.

٧٠. عبد الرؤوف، عصام، الحواضر الإسلامية الكبرى، د.م، دار الفكر، ١٩٧٦ م، ط١.

٧١. ـــــــ، دراسات في تاريخ الدولة العباسية، القاهرة، دار الفكر،١٩٩٩م.

٧٢. عبد العزيز، شعبان، الكتب والمكتبات في العصور الوسطى، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧م، ط١.

٧٣. عبد القادر، ماهر "البيمارستانات ومجالس التعليم الطبي في العالم الإسلامي" فصل ضمن كتاب أعمال مؤتمر الطب والصيدلة عند العرب، مصر، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨م.

٧٤. ـــــــ، دراسات وشخصيات في تاريخ الطب العربي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩١م.

٧٥. عــزب، خالد، فقه العمارة الإسلامية، مصر، دار النشر للجامعات، ١٩٧٧م، ط١.

٧٦. العــش، يوسف، تاريخ عصر الخلافة العباسية، بيروت، دار الفكر، دمشق، دار الفكر، ٢٠٠٠م.

٧٧. ــــــــــ، الدولة الأموية، دمشق، دار الفكر، ١٩٦٦م.

٧٨. عطوان، حسين، الدعوة العباسية تاريخ وتطور، بيروت، دار الجيل، ١٩٨٤ م.

٧٩. عكاشــة، ثــروت، فــن الواسطي من خلال مقامات الحريري، مصر، دار المعارف، ١٩١٩م.

٨٠. العلــي، صــالح، بغداد مدينة السلام، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٥م.

٨١. ــــــــــ، معــالم بغداد الإدارية والعمرانية، بغداد، دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٨م، ط١.

٨٢. العمــد، إحســان، تــاريخ الدولــة العباســية، د.م، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ١٩٩٥م، ط١.

٨٣. عواد، ميخائيل، صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي، بغداد، دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٦م، ط٢.

٨٤. عيســى بــك، أحمــد، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، بيروت، دار الرائد العربي، ١٩٨١م.

٨٥. غوانمــة، يوســف، التاريخ الحضاري لشرقي الأردن في العصر المملوكي، عمان، دار الفكر للنشر والتوزيع، ١٩٨٢م، ط٢.

٨٦. ــــــــــ، تــاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي، الزرقاء، دار الحياة للنشر والتوزيع، ١٩٨٢م.

٨٧. ــــــــــ، القــدس الشريف، عمان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م، ط١.

٨٨. فـوزي، فاروق عمر، الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية، بغداد، مكتبة المثنى، ١٩٧٧م، ط٢.

٨٩. ــــــــــ، طبـيعة الدعـوة العباسية، بغداد، مكتبة الفكر للنشر والتوزيع، ١٩٨٧م.

٩٠. الفيومي، أحمد، الفرق الإسلامية وحق الأمة السياسي، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٠م، ط١.

٩١. الكبيسـي، حمـدان، أسـواق بغـداد حـتى بداية العصر البويهي، العراق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٧٩م.

٩٢. ــــــــــ، "أصالة أنظمة الأسواق في المدينة الإسلامية" مقالة ضمن كتاب أنظمة المدينة العربية، الموصل، دار الحكمة، ١٩٩١م.

٩٣. الكتانـي، محمـد بـن عـبد الحي الإدريسي، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، تحقيق عبد الله الخالدي، بيروت، دار الأرقم، ١٩٩٠م،ط٢

٩٤. كحالـة، عمـر رضـا، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤م، ط٥.

٩٥. الكـروي، إبراهيم، نظام الوزارة في العصر العباسي الأول، الكويت، شركة كاظمة للنشر، ١٩٨٣م، ط١.

٩٦. الكساسـبة، حسـين، السلطة القضائية في العصر العباسي الأول، الإمارات العربية المتحدة، مركز زايد للتراث، ٢٠٠١م، ط١.

٩٧. كمـال الدين، جليل، بغداد مركز العلم والثقافة العالمية في القرون الوسطى، بغداد، د.ن، ١٩٨٥م، ط١.

٩٨. ليسـنر، يعقـوب، خطـط بغداد في العهود الإسلامية الأولى، ترجمة صالح العلي، بغداد، المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٤م.

٩٩. ماجد، عبد المنعم، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة، مطبعة الرسالة، ١٩٦٣م.

١٠٠. ــــــــــ، العصـر العباسـي الأول، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٤م، ط٣.

١٠١. محمود، حسن أحمد والشريف، أحمد، العالم الإسلامي في العصر العباسي، القاهرة، دار الفكر، ١٩٨٢م، ط٥.

١٠٢. المدوّر، جميل نخلة، حضارة الإسلام في دار السلام، مصر، مطبعة الاعتماد، ١٩٣٢م.

١٠٣. المسرّي، حسين، تجارة العراق في العصر العباسي، الكويت، جامعة الكويت، ١٩٨٢م.

١٠٤. مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، طهران، المكتبة العلمية، ١٩٥٦م.

١٠٥. مصطفى، شاكر، دولة بني العباس، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٢م، ط١.

١٠٦. معروف، ناجي، أصالة الحضارة العربية، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٥م،ط٣

١٠٧. معروف، ناجي والدوري، عبد العزيز، موجز تاريخ الحضارة العربية، بغداد، وزارة المعارف، ١٩٥٢م، ط٣.

١٠٨. المنجد، صلاح الدين، بين الخلفاء والخلفاء في العصر العباسي، بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٧٤م، ط٢.

١٠٩. منير، محمد، التربية الإسلامية، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٧م.

١١٠. مؤنس، حسين، المساجد، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨١م.

١١١. نجم، فائق "التعليم في بغداد" مقالة ضمن كتاب بغداد في التاريخ، بغداد، جامعة بغداد، ١٩٩٥م.

١١٢. نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، بغداد، دار الحرية، ١٩٨٥م.

١١٣. الوشلي، عبد الله، المسجد ودوره التعليمي عبر العصور من خلال الحلق التعليمية، بيروت، مؤسسة الرسالة، صنعاء، مكتبة دار الجيل الجديد، ١٩٨٨م، ط١.

١١٤. ـــــــ، المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٩٠م، ط١.

خامساً: المراجع الأجنبية المعرّبة:

١١٥. ريسلر، جاك، الحضارة العربية، تعريب خليل أحمد، بيروت، منشورات عويدات، ١٩٩٣م، ط١.

١١٦. كوك، ريجارد، بغداد مدينة السلام، ترجمة فؤاد جميل ومصطفى جواد، بغداد، مطبعة شفيق، ١٩٦٢م، ط١.

١١٧. لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، بيروت، دار إحياء التراث، ١٩٧٩م، ط٢.

١١٨. متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة، مكتبة الخانجي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م، ط٤.

١١٩. هنتس، فالتر، المكاييل والأوزان وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، عمان، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٧٠م.

١٢٠. هونكة، زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، بيروت، دار الجيل، دار الآفاق الجديدة، ١٩٩٣م، ط٨.

سادساً: الرسائل الجامعية:-

١٢١. التميمي، أيمن، السجون في العصر العباسي، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١٩٩٧م.

١٢٢. الروسان، محمد، تطور الحمام في بلاد الشام في العصر الإسلامي المبكر في ضوء المصادر التاريخية والمستجدات من المكتشفات الأثرية، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ١٩٨٩م.

١٢٣. أبو زريق، ناصر، دور العصر العباسي في توسيع دائرة الفكر التربوي الإسلامي، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ١٩٩٥م.

١٢٤. سعيد، ميرفت، الحسبة في المشرق الإسلامي حتى القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١٩٧٧م.

١٢٥. سلوم، انتصار، الأهمية الاقتصادية والزراعية لجنوب بلاد الشام في العصر العباسي الأول والثاني، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك،٢٠٠١م.

١٢٦. شطناوي، محمد، المصادرات في العصر العباسي، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ١٩٩٤م.

١٢٧. العماوي، زهير، الخليفة هارون الرشيد وأثره في تنشيط الحركة العلمية، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ١٩٩٥م.

١٢٨. المجالي، بيان، المأمون وعصره، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٢م.

١٢٩. ياغي، سوزان، الحياة الاجتماعية في بغداد منذ تأسيسها حتى عام (٣٣٤ هـ/٩٤٦م)، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ٢٠٠١م.

سابعاً: الأبحاث والمقالات العربية:-

١٣٠. أحمد، حسن "العرب وإثراء الدراسات الطبية" المؤرخ العربي، بغداد، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، ع١٧، ١٩٨١م.

١٣١. الأقرطجي، رمزية "بيت الحكمة البغدادي وأثره في الحركة العلمية" المؤرخ العربي، بغداد، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، ع١٤، ١٩٨٠م.

١٣٢. بارتلد، خان، دائرة المعارف الإسلامية، نقلها إلى العربية أحمد الشنتاوي، تهران، منشورات انتشهارات جيهان ، د.ت.

١٣٣. بشير، محمد "الحمامات تاريخها، فوائدها، أنواعها" المقتطف، ع٦٧، ١٩٢٥م.

١٣٤. بيشه، غازي "نقش عربي من قصر المشتى وأهميته" حولية دائرة الآثار العامة، عمان، مج٢٧، ١٩٨٣م.

١٣٥. الحاج، قاسم محمد "طب العيون عند العرب" المورد، بغداد، مج٤، ع٢، ١٩٧٥م.

١٣٦. حداد، سامي، "المارستانات" المقتطف، مج٩، ع ١+٢، ١٩٣٧م.

١٣٧. الحسني، عبد الرزاق، بغداد، دائرة المعارف الإسلامية، تهران، منشورات انتشهارات جيهان، د.ت.

١٣٨. درادكـة، صـالح "نظـام الشرطة في العصر العباسي" دراسات الجامعة الأردنية، عمان، مج١٦، ع٣، ١٩٨٩م.

١٣٩. زيادة، نقولا "الأسواق الإسلامية" المقتطف، مج١٠٣، ج١، ١٩٤٣م.

١٤٠. زيـتون، عـادل "آل بختيشـوع النساطرة في البلاط العباسي" عالم الفكر، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مج٢٩، ع٤، ٢٠٠١م.

١٤١. السـامرائي، يونـس "علي بن يحيى المنجم" مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، المجمع العلمي العراقي، مج٣٦، ١٩٨٥م.

١٤٢. سـعيد، محمد "عبد الملك بن الزيات" مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، المجمع العلي العراقي، مج٣٧، ١٩٨٦م.

١٤٣. شريف، يوسف "تاريخ فن العمارة العربية الإسلامية" المورد، بغداد، مج٤، ع٢، ١٩٧٥م.

١٤٤. صروف، يعقوب ونمر، فارس، "معنى خان" المقتطف، مج٢٦، ١٩٠١م.

١٤٥. طه، عبد الواحد "مجتمع بغداد من خلال حكاية أبو القاسم البغدادي" المورد، بغداد، مج٣، ع٤، ١٩٧٤م.

١٤٦. عاشـور، سـعيد عبد الفتاح "الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية" عالم الفكـر، الكويـت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مج١١، ع١، ١٩٨٠م.

١٤٧. العمـيد، طاهـر "الأثر العسكري في اختطاط المدن الإسلامية" مجلة كلية الآداب، بغداد، جامعة بغداد، ع٢٩، ١٩٨٩م.

١٤٨. كـرد، محمـد "الحسـبة في الإسلام" مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، المجمع العلمي العراقي، مج١، ص ١٩٢١م.

١٤٩. كـندرمان، السـوق، دائـرة المعـارف الإسلامية، نقلها إلى العربية أحمد الشنتاوي، تهران، منشورات انتشهارات جيهان، د.ت.

١٥٠. ماسـينون، لويس "الهيئات الحرفية والمدينة الإسلامية" ترجمة أكرم فاضل، المورد، بغداد، مج٢، ع١، ١٩٧٣م.

١٥١. المـنجد، صـلاح الدين "سجون بغداد زمن العباسيين" الرسالة، مج١٣، ع ٦٤٠-٦٤٧، ١٩٤٥م.

١٥٢. ناجـي، عـبد الجـبار "الكرخ والرصافة" المدينة العربية، الكويت، منظمة المدن العربية، ع٣٢، السنة السابعة، ١٩٨٨م.

١٥٣. نـوري، دريـد "الشرطة في العراق خلال العصر العباسي الأول" المؤرخ العربـي، بغـداد، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، مج١٢. ع٢٩، ١٩٨٦م.

١٥٤. هـيوار، الحمام، دائرة المعارف الإسلامية، نقلها إلى العربية إبراهيم زكي خورشيد، تهران، منشورات انتشهارات جيهان، د.ت.

١٥٥. يوسـف، مـي أحمـد "أدب السـجون في العصر العباسي" مؤتة للبحوث والدراسات، الكرك، مج١٠، ع٢، ١٩٩٥م.

ثامناً: المراجع الأجنبية :-

١٥٦. Hourain, Albert, Habib, sterns, The Islamic city, oxford, Gassirer, ١٩٧٠.

١٥٧. Levy, Ruben, Baghdad chronicle, Americea, Cambridge University, ١٩٧٧.

تاسعاً: المقالات الأجنبية :-

١٥٨. Duri, A.A, Baghdad, The Encyclopedia of Islam, leiden, Brill, ١٩٧٩.

١٥٩. Elisseff, khan, The Encyclopedia of Islam, leiden, Brill, ١٩٧٩.

الملخص

المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية في بغداد في العصر العباسي

(١٤٥هـ - ٣٣٤هـ/٧٦٢م - ٩٤٦م)

إعـــداد :

فوزية محمد المسلم العليمات

إشراف الدكتور :

سليمان عبد العبد الله الخرابشة

جـاءت هـذه الدراسـة لتبـيان أهمية المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والتعليمـية فـي بغداد في العصر العباسي، وذلك لأهمية هذه المؤسسات في تلك الفترة.

وقـد قسمت الرسالة إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، ففي المقدمة تحدثـت عـن أهمـية الدراسة والدراسات السابقة حول هذا الموضوع، وأسباب اختـياري للموضـوع، أما التمهيد فيتضمن لمحة تاريخية عن الفترة الانتقالية من العصر الأموي إلى العصر العباسي، ثم توجّه العباسيين لبناء عاصمة جديدة لهم.

وقـد خصصـت الفصـل الأول للحديـث عـن المؤسسات الاقتصادية، كالأسـواق، حيـث تطرقت إلى طريقة بنائها، وأشهر الأسواق في بغداد، والسلع المـتاجر فـيها، وأنـواع التجّار. كما تحدثت عن دور السلطة في الإشراف على الأسـواق ومراقبـتها، وبينـت دورهـا في الحياة العامة كالسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. كما تحدثت في هذا الفصل عن الخانات من حيث : تعريفها ونشأتها، وعددت أشهر خانات بغداد في تلك الفترة، ودور هذه المؤسسة في خدمة التجارة الداخلية والخارجية، ودورها في الحياة العامة. منهياً الفصل بالحديث عن القياسر والوكالات، وما قدمته للتجارة والتجّار في هذا العصر.

وخصصـــت الفصل الثاني للحديث عن المؤسسات الاجتماعية كالحمامات مـــن حيث: تعريفها ونشأتها وأنواعها والعاملون فيها، ودور السلطة في الإشراف علـــيها، والـــدور الذي لعبته في الحياة العامة من: سياسية واقتصادية واجتماعية وأدبية. كما تحدثت فيه عن البيمارستانات من حيث تعريفها ونشأتها، وعددت أهم البيمارستانات في تلك الفترة وأنواعها، ودور السلطة في الإشراف عليها، ودورها في الحياة العامة، وبخاصة الحياة العلمية.

وتحدثـــت فيه عن السجون، من حيث تعريفها ونشأتها، ثـــم عـــددت أهـــم الســـجون فـــي تلـــك الفـــترة، وتناولت النظام الإداري لها، ومدى اهتمام الخلفاء العباســـيين بالسجون والسجناء. منهياً الفصل بالحديث عن دور السجون في الحياة العامة، سواء أكانت الحياة السياسية أو الاقتصادية أو الثقافية.

وخصصـــت الفصـــل الثالـــث للحديث عن المؤسسات التعليمية، وبخاصة المســـاجد فتحدثت عن تعريفها ونشأتها، وتعداد لأهم المساجد في هذه الفترة. كما تناولـــت الـــنظام الإداري للمساجد، والإشراف الحكومي عليها، ودورها في الحياة العامـــة من: علمية واجتماعية وسياسية واقتصادية. كما تحدثت فيه عن المكتبات ونشـــأتها وأنواعهـــا، وأشهر المكتبات التي عرفت في تلك الفترة. وتناولت النظام الإداري لهـــا، ومـــن ثـــم دورها في الحياة العلمية. كما تطرقت إلى الكتاتيب من حيث: التعريف والنشأة والمواد التي تدرّس فيه، ونظام الدوام والدراسة فيها. منهياً الفصـــل بالحديث عن حوانيت الوراقين من حيث نشأتها ودورها في الحياة العلمية والأدبية والاقتصادية.

وجاءت الخاتمة لتبين أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة.

The social and economic and educational establishments in Baghdad during the abbaside period

(١٤٥-٣٣٤H - ٧٦٢-٩٤٦A.D)

Prepared by :

Fawziah. M. A. aluiemat

Supervised by :

D. Sulieman. A.A. Al kharabeshah

Abstract:

This study was launched to focus on the Importance of social and economic and educational establishments in Baghdad during the abbaside period Due it's mator role in the society in that era. So for achieving the study objective the proposal was divided into three parts.

Which were an Introduction, preview, three chapters and an epilogue. So at the Introduction the researcher talked about the study Importance and at the past literature which dealt with this subject and about the raesons that made me choose this subject to talk about and study.

But at the preview the researcher talked about the nature of the transitional period between the Abbasids and Umayyad period then the Idea that was the Abbasids who had decided to build anew capital for them to be their center.

So when we reached the first chapter we has focused at the chapter to talk about the economic establishments like markets and

talked about the building and construction method, the most famous markets in Baghdad, the commodities that were sold at it, the authorities controlling and observing the markets and commodities, also I talked about its major role in the public life politically, socially economically and culturally also, we talked about the stables that were Famous in Baghdad with regard to its concept, constitution, the major stables at Baghdad and it prominent social and cultural roles.

At the second chapter I talked about the social establish- ments like the bathes with regard to its concept, types, workers working in it, the authority who controllesit and observe it also, the prominent role that was played by the bathes economically, socially, politically, and literate also at the public life here.

Also at the same chapter we talked about the hospitals at that great Islamic city with regard to its concept, Types and constitution, the most famous hospitals during that period and the authority who supervise and control its activities all around the city and its scientific and public role at the public life.

Also I talked about at that chapter about the prisons and custodies at Baghdad with regard to its concept, constitution, types of it and the system of that special establishments and the kaliph's care about prisons and its support, also about it's role in the public life economically, politically and culturally also.

But with regard to the final third chapter we talked about the educational establishments its concept and constitution specially The mosques so we talked about the managerial system of mosques, the governmental supervision on it, its political, economic, social and

spiritual life. Also we talked about the libraries and book shops at Baghdad during that period with regard concept, constitution, types and the man Algeria system of it. Also we talk about the Katatib (small educational cycles with regad to it's concept and constitution in Baghdad and we talked about the subjects that were taught in that Katatib then we talked about the schooling system at this place, also we talked about its role in the public life, also we talked about the paper shops which were copying and selling papers and books. And its prominent role in scientific and literature life.

At the epilogue the researcher presented the most Import ant results and recommendations at that or study.